

# سورة المؤمنون

سورة المؤمنون مكية  
وآياتها ثمانني عشرة ومائة  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الآية : 1- 3

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ }.

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ: قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، وأقروا بما جاءهم به من عند الله، وعملوا بما دعاهم إليه مما سمي في هذه الآيات، الخلود في جنات ربهم وفازوا بطلبتهم لديه. كما:

19228- حدثنا الحسين بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ قال: قال كعب: لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها: تكلمي فقالت: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ لما علمت فيها من الكرامة.

19229- حدثنا سهل بن موسى الرازي، قال: حدثنا يحيى بن الضريس، عن عمرو بن أبي قيس، عن عبد العزيز بن رفيع، عن مجاهد، قال: لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة، نظر إليها فقال: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ.

19230- قال: ثنا حفص بن عمر، عن أبي خلد، عن أبي العالية، قال: لما خلق الله الجنة قال: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ فأنزل الله به قرآنا.

19231- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جبير، عن عطاء، عن ميسرة، قال: لم يخلق الله شيئا بيده غير أربعة أشياء: خلق آدم بيده، وكتب الألواح بيده، والتوراة بيده، وغرس عدنا بيده، ثم قال: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ.

وقوله: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ يقول تعالى ذكره: الذين هم في صلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها. وقيل: إنها نزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون أبصارهم فيها إلى السماء قبل نزولها، فثبوا بهذه الآية عن ذلك. ذكر الرواية بذلك:

19232- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت خالدًا، عن محمد بن سيرين، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى نظر إلى السماء، فأنزلت هذه الآية: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ قال: فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد.

19233- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون بن المغيرة، عن أبي جعفر، عن الحجاج الصواف، عن ابن سيرين، قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء حتى نزلت: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ فقالوا بعد ذلك برؤوسهم هكذا.

19234- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، قال: أخبرنا أيوب، عن محمد، قال: «نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت آية إن لم تكن الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ

خاشِعُونَ فلا أدري أية آية هي قال: فطأطأ». قال: وقال محمد: وكانوا يقولون: لا يجاوز بصره مصلاه، فإن كان قد استعاد النظر فليغمض. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا هشيم، عن ابن عون، عن محمد نحوه.

واختلف أهل التأويل في الذي عني به في هذا الموضع من الخشوع، فقال بعضهم: عني به سكون الأطراف في الصلاة. ذكر من قال ذلك: 19235- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: السكون فيها.

19236- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: سكون المرء في صلاته. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، مثله.

19237- حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن أبي سفيان الشيباني، عن رجل، عن علي، قال: سئل عن قوله: الَّذِينَ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: لا تلتفت في صلاتك.

19238- حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي، قال: قال صمرة بن ربيعة، عن أبي سؤدب، عن الحسن، في قوله: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك البصر وخفضوا به الجناح.

19239- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا معمر، عن إبراهيم، في قوله: خاشِعُونَ قال: الخشوع في القلب، وقال: ساكنون.

قال: حدثنا الحسن، قال: ثني خالد بن عبد الله، عن المسعودي، عن أبي سنان، عن رجل من قومه، عن علي رضي الله عنه، قال: الخشوع في القلب، وأن تليين للمرء المسلم كتفك، ولا تلتفت.

19240- قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عطاء بن أبي رباح، في قوله: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: التخشع في الصلاة. وقال لي غير عطاء: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة نظر عن يمينه ويساره ووجاهه، حتى نزلت: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ فما رُوي بعد ذلك ينظر إلا إلى الأرض.

وقال آخرون: عني به الخوف في هذا الموضع. ذكر من قال ذلك: 19241- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ قال: خائفون.

19242- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، في قوله: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ قال الحسن: خائفون. وقال قتادة: الخشوع في القلب.

19243- حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ يقول: خائفون ساكنون.

وقد بينا فيما مضى قبل من كتابنا أن الخشوع التذلل والخضوع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وإذ كان ذلك كذلك، ولم يكن الله

تعالى ذكره دلّ على أن مراده من ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خير، كان معلوماً أن معنى مراده من ذلك العموم. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام ما وصفت من قبل من أنه: والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها.

وقوله: وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ يقول تعالى ذكره: والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19244- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ يقول: الباطل. 19245- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن: عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ قال: عن المعاصي.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الحسن، مثله. 19246- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ قال: النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته، ممن آمن به واتبعه وصدقته، كانوا عن اللغو معرضين.

#### الآية : 4 - 7

القول في تأويل قوله تعالى: { وَالَّذِينَ هُمْ لِلرِّكَاتِ قَاعِلُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدّون، وفعلهم الذي وصفوا به هو أدأؤهموها. وقوله: وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ يقول: والذين هم لفروج أنفسهم. وعنى بالفروج في هذا الموضوع: فروج الرجال، وذلك أقبالهم. حَافِظُونَ يحفظونها من أعمالها في شيء من الفروج. إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ يقول: إِلَّا من أزواجهم اللاتي أحلهن الله للرجال بالنكاح. أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ يعني بذلك: إماءهم. و «ما» التي في قوله: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ في محل خفض عطفاً على الأزواج. فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ يقول: فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجه وملك يمينه، وحفظه عن غيره من الخلق، فإنه غير مُؤَبَّحٍ على ذلك ولا مذموم ولا هو بفعله ذلك ركب ذنباً يلام عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19247- حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ يقول: رضي الله لهم إتيانهم أزواجهم وما ملكت أيماهم.

وقوله: فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ يقول: فمن التمس لفرجه من كحاً سوى زوجته وملك يمينه، فأولئك هم العادون يقول: فهم العادون حدود الله، المجاوزون ما أحل الله لهم إلى ما حرم عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19248- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: نهاهم الله نهيا شديدا، فقال: **فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** فسمى الزاني من العادين.

19249- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** قال: الذين يتعدون الحلال إلى الحرام.

19250- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن، في قوله: **فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** قال: من زنى فهو عادٍ.

## الآية : 8- 10

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ }**.

يقول تعالى ذكره: **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ** التي اتتمنوا عليها وعهدهم، وهو عقودهم التي عاقدوا الناس راعون يقول: حافظون لا يضيعون، ولكنهم يوفون بذلك كله.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار إلا ابن كثير: **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ عَلَى الْجَمْعِ**. وقرأ ذلك ابن كثير: «**لَأَمَانَتِهِمْ**» على الواحدة.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: **لَأَمَانَاتِهِمْ لِإِجْمَاعِ الْحِجَّةِ مِنَ الْقِرَاءِ عَلَيْهَا**.

وقوله: **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** يقول: والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون، فلا يضيعونها ولا يشغلون عنها حتى تفوتهم، ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19251- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق: **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** قال: على وقتها.

حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق: **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** على ميقاتها.

19252- حدثنا ابن عبد الرحمن البرقي، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب، قال: أخبرنا ابن رَخْر، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح، قال: **الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** قال: إقام الصلاة لوقتها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: على صلواتهم دائمون. ذكر من قال ذلك:

19253- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم: **عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** قال: دائمون. قال: يعني بها المكتوبة.

وقوله: **أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ** يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا، هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، روي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتأوله أهل التأويل. ذكر الرواية بذلك:

19254- حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنزِلَانِ: مَنزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنزِلٌ فِي النَّارِ، وَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرَثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنزِلَهُ» فذلك قوله: أَوْلَيْكَ هُمْ الْوَارِثُونَ. 19255- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، في قوله: أَوْلَيْكَ هُمْ الْوَارِثُونَ قال: يرثون مساكنهم ومساكن إخوانهم التي أعدت لهم لو أطاعوا الله.

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الأعمش، عن أبي هريرة: أَوْلَيْكَ هُمْ الْوَارِثُونَ قال: يرثون مساكنهم ومساكن إخوانهم الذين أعدت لهم لو أطاعوا الله.

19256- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: الوارثون الجنة أورتتموها، والجنة التي نورث من عبادنا، هن سواء. قال ابن جريج: قال مجاهد: يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره، ومنزل الذين من أهل النار هم يرثون أهل النار، فلهم منزلان في الجنة وأهلان. وذلك أنه منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما المؤمن فَيُنَى منزله الذي في الجنة ويهدم منزله الذي في النار، وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبنى منزله الذي في النار. قال ابن جريج عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، أنه قال مثل ذلك.

## الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}. يقول تعالى ذكره: الَّذِينَ يَرِثُونَ الْبُسْتَانَ ذَا الْكَرَمِ، وهو الْفِرْدَوْسُ عند العرب. وكان مجاهد يقول: هو بالرومية.

19257- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ قال: الفردوس: بستان بالرومية.

19258- قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: عدن حديقة في الجنة قصرها فيها عدننا خلقها بيده، تفتح كل فجر فينظر فيها ثم يقول: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، قال: هي الفردوس أيضا تلك الحديقة، قال مجاهد: غرسها الله بيده فلما بلغت قال: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ثم أمر بها تغلق، فلا ينظر فيها خلق ولا ملك مقرب، ثم تفتح كل سحر فينظر فيها فيقول: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ثم تغلق إلى مثلها.

19259- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قتل حارثة بن سراقه يوم بدر، فقالت أمه: يا رسول الله، إن كان ابني من أهل الجنة لم أبك عليه، وإن كان من أهل النار بالغت في البكاء. قال: «يا أم حارثة، إنها جنتان في جنة، وإن ابنتك قَدْ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ».

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

19260- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، عن كعب، قال: خلق الله بيده جنة الفردوس، غرسها بيده، ثم قال: تكلمي قالت: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ.

19261- قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن حُسام بن مِصَك, عن قَتادة أيضا, مثله, غير أنه قال: تكلمي, قالت: طوبي للمتقين.  
 19262- قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا محمد بن يزيد, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي داود نفيح, قال: لما خلقها الله, قال لها: تزيني فتزينت ثم قال لها: تكلمي فقالت: طوبي لمن رضيت عنه.  
 وقوله: هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يعني ماكثون فيها, يقول: هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون, يعني ماكثون فيها أبدا لا يتحولون عنها.

## الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ}.

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ أَسْلَنَاهُ مِنْهُ، فالسلالة هي المستلة من كل تربة ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنى بالإنسان في هذا الموضع, فقال بعضهم: عني به آدم. ذكر من قال ذلك:

19263- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة: مِنْ طِينٍ قَالَ: استلَّ آدم من الطين.

19264- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ قَالَ: استلَّ آدم من طين, وُخِّلَتْ ذَرِّيَّتُهُ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد خلقنا ولد آدم, وهو الإنسان الذي ذكر في هذا الموضع, من سلالة, وهي النطفة التي استلَّت من ظهر الفحل من طين, وهو آدم الذي خُلِقَ من طين. ذكر من قال ذلك:

19265- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن المنهال بن عمرو, عن أبي يحيى, عن ابن عباس: مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ قَالَ: صفوة الماء.

19266- حدَّثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّنِيِّ آدم. حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد, مثله.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم, وهي صفة مائة وأدم هو الطين, لأنه خُلِقَ مِنْهُ. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية, لدلالة قوله: ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ عَلَى أَنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَصِرْ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ إِلَّا بَعْدَ خُلُقِهِ فِي صَلْبِ الْفَحْلِ, وَمِنْ بَعْدِ تَحَوُّلِهِ مِنْ صَلْبِهِ صَارَ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ وَالْعَرَبُ تَسْمِي وَالدَّجْلُ وَنَطْفَتُهُ: سَلِيلُهُ وَسَلَالَتُهُ, لِأَنَّهُمَا مَسْلُولَانِ مِنْهُ وَمِنَ السَّلَالَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

حَمَلْتُ بِهِ عَصَبَ الْأَدِيمِ عَصَنَقَرٍ  
 اسْلَالَةَ فَرْجٍ كَانَ غَيْرَ حَصِينٍ  
 وقول الآخر:

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُهْرَةً عَرَبِيَّةً سُلَالَةَ جَمْعِهَا سَلَالَاتٌ، وَرَبْمَا جَمَعُوهَا سَلَائِلٌ، وَلَيْسَ بِالكَثِيرِ،  
 لَأَنَّ السَّلَائِلَ جَمْعُ السَّلِيلِ وَمِنْهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: إِذَا أُتِجَتْ مِنْهَا الْمَهَارَى تَشَابَهَ تُعَلَى الْقَوْدِ إِلَّا بِالْأُنُوفِ سَلَائِلُهُ  
 وَقَوْلُ الرَّاجِزِ:  
 يَفْذِفَنَّ فِي أَسْلَابِهَا بِالسَّلَائِلِ

### الآية : 13- 14

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَا نُطْفَةَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَجَعَلْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: {ثُمَّ جَعَلْنَا نُطْفَةَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} ثم جعلنا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين، نطفة في قرار مكين، وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة. ووصفه بأنه مكين، لأنه مكن لذلك وهيء له ليستقر فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قرارا. وقوله: {ثُمَّ جَعَلْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً} يعني: ثم صيرنا النطفة التي جعلناها في قرار مكين علقة، وهي القطعة من الدم. {فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً} يقول: فجعلنا ذلك الدم مضغة، وهي القطعة من اللحم. وقوله: {فَجَعَلْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا} يقول: فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما.

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم: {فَجَعَلْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا} على الجماع، وكان عاصم وعبد الله يقرآن ذلك: «عظما» في الحرفين على التوحيد جميعا.

والقراءة التي نختار في ذلك الجماع، لإجماع الحجة من القراء عليه. وقوله: {فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا} يقول: فألبسنا العظام لحما. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «ثُمَّ جَعَلْنَا النُّطْفَةَ عِظْمًا وَعَصَبًا فَكَسَوْنَا لَحْمًا». وقوله: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} يقول: ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر. وهذه الهاء التي في: {أَنْشَأْنَاهُ} عائدة على «الإنسان» في قوله: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا الْإِنْسَانَ} قد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغ، جعل ذلك كله كالشيء الواحد، ف قيل: ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} فقال بعضهم: إنشأه إياه خلقا آخر: نفخه الروح فيه، فيصير حينئذ إنسانا، وكان قبل ذلك صورة. ذكر من قال ذلك:

19267- حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} قال: نفخ الروح فيه.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا هشيم عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء، عن ابن عباس، بمثله.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} قال: الروح.

19268- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني عن عكرمة، في قوله: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} قال: نفخ الروح فيه.



19269- حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سلمة، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي: ثُمَّ أُنشأناه خَلْقًا آخَرَ قال: نفخ فيه الروح.

19270- قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، بمثله.

19271- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: ثُمَّ أُنشأناه خَلْقًا آخَرَ قال: نفخ فيه الروح، فهو الخلق الآخر الذي ذكر.

19272- حَدَّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ثُمَّ أُنشأناه خَلْقًا يَعْنِي الروح تنفخ فيه بعد الخلق.

19273- حَدَّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ثُمَّ أُنشأناه خَلْقًا آخَرَ قال: الروح الذي جعله فيه.

وقال آخرون: إنشأوه خلقاً آخر تصريحه إياه في الأحوال بعد الولادة: في الطفولة، والكهولة، والاعتداء، ونبات الشعر، والسن، ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا. ذكر من قال ذلك:

19274- حَدَّثني محمد بن سعد، قال: حدثنا أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ثُمَّ أُنشأناه خَلْقًا آخَرَ قَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ يقول: خرج من بطن أمه بعدما خلق، فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل، ثم كان من خلقه دُلَّ على ثدي أمه، ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجله، إلى أن قعد، إلى أن حبا، إلى أن قام على رجله، إلى أن مشى، إلى أن قُطِم، فعلم كيف يشرب وبأكل من الطعام، إلى أن بلغ الحلم، إلى أن بلغ أن يتقلب في البلاد.

19275- حَدَّثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ثُمَّ أُنشأناه خَلْقًا آخَرَ قال: يقول بعضهم: هو نبات الشعر، وبعضهم يقول: هو نفخ الروح.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن قتادة، مثله.

19276- حَدَّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك: ثُمَّ أُنشأناه خَلْقًا آخَرَ قال: يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره.

وقال آخرون: بل عَنَى بإنشائه خلقاً آخر: سوَى شبابه. ذكر من قال ذلك:

19277- حَدَّثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ثُمَّ أُنشأناه خَلْقًا آخَرَ قال: حين استوى شبابه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: حين استوى به الشباب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك نفخ الروح فيه وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحوّل خلقاً آخر إنساناً، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه، يتحوّل عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما



تحوّل أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا وخلقنا آخر غير الطين الذي خلق منه.

وقوله: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه فتبارك الله أحسن الصانعين. ذكر من قال ذلك: 19278- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ قال: يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين.

وقال آخرون: إنما قيل: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ لأن عيسى ابن مريم كان يخلق، فأخبر جل ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق. ذكر من قال ذلك:

19279- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، في قوله: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ قال: عيسى ابن مريم يخلق.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد، لأن العرب تسمي كل صانع خالقا ومنه قول زهير:

وَلَأَنْتَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِي  
ويروى:

وَلَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا قَرَيْتَ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِي

### الآية : 15- 16

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقا آخل وتصيرناكم إنسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم، ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا مبعوثون من التراب خلقا جديدا كما بدأناكم أول مرة. وإنما قيل: ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ لأنه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن. وكذلك تقول العرب لمن لم يموت: هو مائت وميت عن قليل، ولا يقولون لمن قد مات مائت، وكذلك هو طمع فيما عندك إذا وصف بالطمع، فإذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل هو طامع فيما عندك غدا، وكذلك ذلك في كل ما كان نظيرا لما ذكرناه.

### الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ}.

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات بعضهن فوق بعض والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة. وإنما قيل للسموات السبع سبع طرائق، لأن بعضهن فوق بعض، فكل سماء منهن طريقة.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19280- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ قال: الطرائق: السموات.

وقوله: وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ يقول: وما كنا في خلقنا السموات السبع فوقكم عن خلقنا الذي تحتها غافلين, بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم.

### الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقَدِّرُ قَأْسُكُنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ} . يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء ما في الأرض من ماء, فأسكنناه فيها. كما:

19281 حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقَدِّرُ قَأْسُكُنَّاهُ فِي الْأَرْضِ مَا هُوَ مِنَ السَّمَاءِ. وقوله: وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ يقول جل ثناؤه: وَإِنَّا عَلَى الْمَاءِ الَّذِي أَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ لِقَادِرُونَ أَنْ نَذْهَبَ بِهِ فَتَهْلِكُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَطِشًا وَتُخْرِبَ أَرْضُكُمْ, فَلَا تَنْبِتُ زَرْعًا وَلَا غَرْسًا, وَتَهْلِكُ مَوَاشِيَكُمْ, يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جاريًا.

### الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} .

يقول تعالى ذكره: فأحدثنا لكم بالماء الذي أنزلناه من السماء, بساتين من نخيل وأعناب لكم فيها يقول: لكم في الجنات فواكه كثيرة. وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ يقول: ومن الفواكه تأكلون. وقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الجنات, ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والأعناب. وخصَّ جِلَّ ثَنَاؤُهُ الجنات التي ذكرها في هذا الموضع, فوصفها بأنها من نخيل وأعناب دون وصفها بسائر ثمار الأرض لأن هذين النوعين من الثماء كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها, فكانت النخيل لأهل المدينة, والأعناب لأهل الطائف, فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم, بما أنعم به عليهم من ثمارها.

### الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْكَالِبِينَ} .

يقول تعالى ذكره: وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء و «شجرة» منصوبة عطفا على «الجنات», ويعني بها: شجرة الزيتون. وقوله: تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ يقول: تخرج من جبل يُنْبِتُ الْأَشْجَارَ. وقد بيّنت معنى الطور فيما مضى بشواهد, واختلاف المختلفين, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وأما قوله: سَيْنَاءَ فَإِنَّ الْقِرَاءَ اخْتَلَفَتْ فِي قِرَاءَتِهِ, فَقَرَأْتَهُ عَامَةً قِرَاءَ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةَ: «سَيْنَاءَ» بكسر السين. وقرأ ذلك عامة قِرَاءَ الْكُوفَةِ: سَيْنَاءَ بفتح السين, وهما جميعا مجتمعون على مدّها. والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان في قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

واختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: معناه: المبارك, كأن معنى الكلام عنده: وشجرة تخرج من جبل مبارك. ذكر من قال ذلك:

19282- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: طُورِ سَيْنَاءَ قال: المبارك. حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد, مثله.

19283- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ قال: هو جبل بالشام مبارك.

وقال آخرون: معناه: حسن. ذكر من قال ذلك:

19284- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: طُورِ سَيْنَاءَ قال: هو جبل حسن.

19285- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ الطور: الجبل بالنبطية, وسيناء: حسنة بالنبطية.

وقال آخرون: هو اسم جبل معروف. ذكر من قال ذلك:

19286- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن عطاء الخُراساني, عن ابن عباس, في قوله: مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ قال: الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم.

19287- حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: طُورِ سَيْنَاءَ قال: هو جبل الطور الذي بالشام, جبل بيت المقدس, قال: ممدود, هو بين مصر وبين آيلة.

وقال آخرون: معناه: أنه جبل ذو شجر. ذكر من قال ذلك:

19288- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قاله.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به, كما قيل جبلاً طيياً, فأضيفاً إلى طيياً, ولو كان القول في ذلك كما قال من قال معناه جبل مبارك, أو كما قال من قال معناه حسن, لكان «الطور» منوناً, وكان قوله «سيناء» من نعته. على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن, غير معروف في كلام العرب فيجعل ذلك من نعت الجبل, ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس, من أنه جبل عرف بذلك, وأنه الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم, وهو مع ذلك مبارك, لا أن معنى سيناء معنى مبارك.

وقوله: تَبَّئْتُ بِالذَّهْنِ اختلفت القراء في قراءة قوله: تَبَّئْتُ فقرأته عامة قراء الأمصار: تَبَّئْتُ بفتح التاء, بمعنى: تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن, وقراه بعض قراء البصرة: «تَبَّئْتُ» بضم التاء, بمعنى: تنبت الدهن: تخرجه. وذكر أنها في قراءة عبد الله: «تُخْرُجُ الدَّهْنَ» وقالوا: الباء في هذا الموضع زائدة, كما قيل: أخذت ثوبه وأخذته بثوبه وكما قال الراجز:

تَخُنُّ بُوَ جَعْدَةَ أُرْبَابُ الفَلَجْتَصِرْبُ بِالْبَيْضِ وَتَرْجُو بِالْفَرْجِ

بمعنى: ونرجو الفرج. والقول عندي في ذلك أنهما لغتان: نبت, وأنبت ومن أنبت قول زهير:

رَأَيْتَ دَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ مَقَطِينَا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَتَيْتَ الْبَقْلُ

ويروى: «نبت»، وهو كقوله: فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ و «فأسر». غير أن ذلك وإن كان كذلك، فإن القراءة التي لا أختار غيرها في ذلك قراءة من قرأ: تَبَّتْ بفتح التاء، لإجماع الحجة من القرءاء عليها. ومعنى ذلك: تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن. كما:

19289- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: تَبَّتْ بِالذَّهْنِ قال: بثمره. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

والدهن الذي هو من ثمره الزيت، كما:  
19290- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: تَبَّتْ بِالذَّهْنِ يقول: هو الزيت يؤكل ويُدَّهَنُ به. وقوله: وَصَيَّغَ لِلأَكْلِينَ يقول: تنبت بالدهن وبصيغ للأكلين، يُصْطَبَغُ بالزيت الذين يأكلونه. كما:

19291- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَصَيَّغَ لِلأَكْلِينَ قال: هذا الزيتون صيغ للأكلين، يأتدمون به ويصطبغون به. قال أبو جعفر: فالصيغ عطف على الدهن.

## الآية : 21 - 22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَعَلَيْهَا وَعَلَى الفُلْكِ تُحْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَإِنَّ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تعتبرون بها، فتعرفون بها أيادي الله عندكم وقدرته على ما يشاء، وأنه الذي لا يمتنع عليه شيء أَرَادَهُ ولا يُعْجِزُهُ شيء شاءه. نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا من اللبن الخارج من بين الفرث والدم. وَلَكُمْ مع ذلك فِيهَا يعني في الأنعام، مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وذلك كالإبل التي يحمل عليها ويُرْكَبُ ظهرها ويُشْرَبُ دَرَّهَا. وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ يعني من لحومها تأكوله. وقوله: وَعَلَيْهَا وَعَلَى الفُلْكِ تُحْمَلُونَ يقول: وعلى الأنعام وعلى السفن تحملون، على هذه في البرِّ وعلى هذه في البحر.

## الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلى قَوْمِهِ داعيهم إلى طاعتنا وتوحيدنا والبراءة من كلِّ معبود سوانا. فَقَالَ لَهُم نوح: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ يقول: قال لهم: ذلوا يا قوم لله بالطاعة. مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ يقول: ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره. أَفَلَا تَتَّقُونَ يقول: أفلا تخشون عبادتكم غيره عقابه أن يحلَّ بكم.

## الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ}.

يقول تعالى ذكره: فقالت جماعة أشراف قوم نوح، الذين جحدوا توحيد الله وكذبوه، لقومهم: ما نوح أيها القوم إلا بشر مثلكم، إنما هو إنسان مثلكم وكعضكم، يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ يقول: يريد أن يصير له الفضل عليكم، فيكون متبوعاً وأنتم له تبع. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً يقول: ولو شاء الله أن لا نعبد شيئاً سواه لأنزل ملائكة، يقول: لأرسل بالدعاء إلى ما يدعوكم إليه نوح ملائكة تؤدّي إليكم رسالته. وقوله: ما سَمِعْنَا بِهَذَا الذي يدعوننا إليه نوح من أنه لا إله لنا غير الله في القرون الماضية، وهي آباؤهم الأولون.

## الآية : 25 - 27

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَّبُّوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ \* قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ \* فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا قَادًا جَاءَ أَمْرًا وَقَارَ النَّوْرِ فَاسْأَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ}.

يعني ذكره مخبراً عن قيل الملا الذين كفروا من قوم نوح إن هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ: ما نوح إلا رجل به جنون. وقد يقال أيضاً للجن جنة، فيتفق الاسم والمصدر، و«هو» من قوله: إن هو كناية اسم نوح. وقوله: فترَّبُّوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ يقول: فتلبثوا به، وتنظروا به حتى حين يقول: إلى وقت ما. ولم يَعْنُوا بِذَلِكَ وقتاً معلوماً، إنما هو كقول القائل: دعه إلى يوم ما، أو إلى وقت ما.

وقوله: قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ يقول: قال نوح داعياً ربه مستنجراً به على قومه، لما طال أمره وأمرهم وتمادوا في غيهم: رَبِّ انصُرْنِي عَلَىٰ قَوْمِي بِمَا كَذَّبُونَ يعني بتكذيبهم إياي، فيما بلغتهم من رسالتك ودعوتهم إليه من توحيدك. وقوله: فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنَّهُ اصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا يقول: فقلنا له حين استنجرتنا على كفره قومه: اصنع الفلك، وهي السفينة بأعْيُنِنَا يقول: بمرأى ومنظر، وَوَحَيْنَا يقول: وبتعليمنا إياك صنعتها. فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا يقول: فإذا جاء قضاؤنا في قومك، بعدابهم وهلاكهم وَوَقَارَ النَّوْرِ، وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين في صفة فور التنور، والصواب عندي من القول فيه بشواهد، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع. فَاسْأَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يقول: فأدخل في الفلك واحمل. والهاء والألف في قوله: فيها من ذكر الفلك. مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه ومن سلكته قوم الشاعر:

وَكُنْتُ لِرَارٍ حَصْمِكَ لَمْ أَعَرِّدْ وَقَدْ سَلَكَوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ

وبعضهم يقول: أسلكت بالألف ومنه قولني الهدائي:

حَتَّىٰ إِذَا اسْلُوكَهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ سَلَا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19292- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس، قوله: فَاسْأَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يقول لنوح: اجعل في السفينة من كل زوجين اثنين.

وَأَهْلَكَ وَهُمْ وَلَدَهُ وَنِسَاءَهُمْ: إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْ اللَّهِ بَأَنَّهُ هَالِكٌ فَيَمُنْ يَهْلِكُ مِنْ قَوْمِكَ فَلَا تَحْمِلْهُ مَعَكَ، وَهُوَ يَوْمَ الَّذِي غَرِقَ. ويعني بقوله: مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِكَ، والهَاءُ والميم في قوله «منهم» من ذكر الأهل. وقوله: وَلَا تَخَاطِبُنِي... الآية، يقول: وَلَا تَسْأَلْنِي فِي الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أَنْ أَنْجِيَهُمْ. إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ يَقُولُ: فَإِنِّي قَدْ حَتَمْتُ عَلَيْهِمْ أَنْ أَغْرُقَ جَمِيعَهُمْ.

### الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَجَانَّ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}. يعني تعالى ذكره بقوله فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ: فإذا اعتدلت في السفينة أنت ومعك ممن حملته معك من أهلِكَ، رَاكِبًا فِيهَا عَالِيَا فَوْقَهَا فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَجَانَّ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ يعني من المشركين.

### الآية : 29 - 30

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ}. يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عليه السلام: وَقُلِ إِذَا سَلِمْتُكَ اللَّهُ وَأَخْرَجَكَ مِنَ الْفُلِكِ فَنَزَلَتْ عَنْهَا: رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مِنَ الْأَرْضِ مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ أَنْزَلَ عِبَادَهُ الْمَنَازِلَ.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19293- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: مُنْزَلًا مُبَارَكًا قَالَ: لَنُوحٍ حِينَ نَزَلَ مِنَ السَّفِينَةِ.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار: رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا بضم الميم وفتح الزاي، بمعنى: أَنْزِلْنِي إِنْزَالًا مُبَارَكًا. وقرأه عاصم: «مَنْزِلًا» بفتح الميم وكسر الزاي، بمعنى: أَنْزِلْنِي مَكَانًا مُبَارَكًا وَمَوْضِعًا.

وقوله: إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ يقول تعالى ذكره: إِنْ فِيهَا فَعَلْنَا بِقَوْمِ نُوحٍ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ إِهْلَاكِنَاهُمْ إِذْ كَذَبُوا رِسْلَنَا وَجَحَدُوا وَحَدَانِيَّتَنَا وَعَبَدُوا الْأَلْهَةَ وَالْأَصْنَامَ، لَعِبْرًا لِقَوْمِكَ مِنْ مُشْرِكِي قَرِيشٍ، وَعُظَاتٍ وَحَجَجًا لَنَا، يَسْتَدْلُونَ بِهَا عَلَيَّ سَنَتَنَا فِي أَمْثَالِهِمْ، فَيَنْزَجِرُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَيُرْتَدِعُوا عَنِ تَكْذِيبِكَ، حَذْرًا أَنْ يَصِيبَهُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ. وقوله: وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ يقول تعالى ذكره: وَكُنَّا مُخْتَبِرِيهِمْ بِتَذْكِيرِنَا إِيَّاهُمْ بِآيَاتِنَا، لِنَنْظُرَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ نَزُولِ عِقَابِنَا بِهِمْ.

### الآية : 31 - 32

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ \* فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد مهلك قوم نوح قرنا آخرين فأوجدناهم. فأرسلنا فيهم رسولا منهم داعيا لهم، إن اعبدوا الله يا قوم، وأطيعوه دون الآلهة والأصنام، فإن العبادة لا تنبغي إلا له. ما لكم من إله غيرة يقول: ما لكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه. أفلا تتقون: أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيئا دونه، وهو الإله الذي لا إله لكم سواه.

### الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: { وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وقالت الأشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح. وعنتي بالرسول في هذا الموضوع: صالحا، وبقومه: ثمود. الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ يَقُولُ: الَّذِينَ جحدوا توحيد الله وكذبوا بإيقاء الآخرة يعني كذبوا بقاء الله في الآخرة. وقوله: وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَقُولُ: ونعمناهم في حياتهم الدنيا بما وسعنا عليهم من المعاش وبسطنا لهم من الرزق، حتى بطروا وعتوا على ربهم وكفروا ومنه قول الراجز:

وَقَدْ أَرَانِي بِالذِّبَارِ مُتْرَفَا

وقوله: مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَقُولُ: قالوا: بعث الله صالحا إلينا رسولا من بيننا، وخصه بالرسالة دوننا، وهو إنسان مثلنا يأكل مما نأكل منه من الطعام ويشرب مما نشرب، وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته؟ قال: وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ معناه: مما تشربون منه، فحذف «من» الكلام «منه»، لأن معنى الكلام: ويشرب من شرابكم، وذلك أن العرب تقول: شربت من شرابك.

### الآية : 34 - 35

القول في تأويل قوله تعالى: { وَلَئِنِ أَطَعْتُمْ بَشِيرًا مِثْلَكُمْ إِيَّاكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ \* أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملا من قوم صالح لقومهم: وَلَئِنِ أَطَعْتُمْ بَشِيرًا مِثْلَكُمْ فاتبعتموه وقبلتم ما يقول وصدقتموه. إِيَّاكُمْ من القوم إِذَا لَخَاسِرُونَ: يقول: قالوا: إنكم إذن لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا، باتباعكم إياه.

قوله: أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا... الآية، يقول تعالى ذكره: قالوا لهم: أيعدكم صالح أنكم إذا متم وكنتم ترابا في قبوركم وعظاما قد ذهبت لحوم أجسادكم وبقيت عظامها، أنكم مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتم قبل مماتكم؟ وأعيدت «أنكم» مرتين، والمعنى: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما مخرجون مرة واحدة، لما فرق بين «أنكم» الأولى وبين خبرها ب«إذا»، وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظن وأخواته، ثم اعترضت بالجزاء دون خبره، فتكرر اسمه مرة وتحذفه أخرى، فتقول: أظن أنك إن جالستنا أنك محسن، فإن حذف «أنك» الأولى الثانية صلح، وإن أبيتها صلح، وإن لم تعترض بينهما بشيء لم يجز، خطأ أن يقال: أظن أنك أنك جالس. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «أَيْعِدْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ».



## الآية : 36 - 37

القول في تأويل قوله تعالى: {هَيَّاتِ هَيَّاتِ لِمَا تُوعَدُونَ \* إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}.

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول الملائكة من ثمود أنهم قالوا: هَيَّاتِ هَيَّاتِ أي بعيد ما توعدون أيها القوم، من أنكم بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما مخرجون أحياء من قبوركم، يقولون: ذلك غير كائن.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19294- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: هَيَّاتِ هَيَّاتِ يقول: بعيد بعيد.

19295- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: هَيَّاتِ هَيَّاتِ لِمَا تُوعَدُونَ قال: يعني البعث.

والعرب تُدخل اللام مع «هيات» في الاسم الذي يصحبها، وتنزعها منه، تقول: هيات لك هيات، وهيات ما تنبغي هيات وإذا أسقطت اللام رفعت الاسم بمعنى هيات، كأنه قال: بعيد ما ينبغي لك كما قال جرير:

فَهَيَّاتِ هَيَّاتِ العَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيَّاتِ خِلِّ بالعَقِيقِ تُوَاصِلُهُ  
كأنه قال: العقيق وأهله، وإنما دخلت اللام مع هيات في الاسم لأنهم قالوا: «هيات» أداة غير مأخوذة من فعل، فأدخلوا معها في الاسم اللام، كما أدخلوها مع هلم لك، إذ لم تكن مأخوذة من فعل، فإذا قالوا أقبل، لم يقولوا لك، لاحتمال الفعل ضمير الاسم.

واختلف أهل العربية في كيفية الوقف على هيات، فكان الكسائي يختار الوقوف فيها بالهاء، لأنها منصوبة وكان الفراء يختار الوقوف عليها بالتاء، ويقول: من العرب من يخفض التاء، فدل على أنها ليست بهاء التانيث، فصارت بمنزلة دَرَاكِ وَتَظَارِ وأما نصب التاء فيهما، فلأنهما أداتان، فصارتا بمنزلة خمسة عشر. وكان الفراء يقول: إن قيل إن كل واحدة مستغنية بنفسها يجوز الوقوف عليها، وإن نصبها كنصب قوله:

ثُمَّتْ جَلِسَتْ وَبِمَنْزِلَةِ قَوْلِ الشَّاعِرِ:  
مَآوِيَّ يَأْزُبُتْمَا غَارِيَّةً شَعْوَاءَ كَاللَّدَعَةِ بِالْمَيْسَمِ  
قال: فنصب «هيات» بمنزلة هذه الهاء التي في «ربت»، لأنها دخلت على حرف، على «رب» وعلى «ثم»، وكانا أداتين، فلم تغيرها عن أداتهما فنصبا.

واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته قراء الأمصار غير أبي جعفر: هَيَّاتِ هَيَّاتِ بفتح التاء فيهما. وقرأ ذلك أبو جعفر: «هَيَّاتِ هَيَّاتِ» بكسر التاء فيهما. والفتح فيهما هو القراءة عندنا، لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا يقول: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نَمُوتُ وَنَحْيَا يقول: تموت الأحياء منا فلا تحيا ويحدث آخرون منا فيولدون أحياء. وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ يقول: قالوا: وما نحن بمبعوثين بعد الممات. كما:

19296- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ قال: يقول ليس آخره ولا بعث، يكفرون بالبعث، يقولون: إنما هي حياتنا هذه ثم

نموت ولا نحيا، يموت هؤلاء ويحيا هؤلاء، يقولون: إنا الناس كالزرع يجصد هذا وينبت هذا: يقولون: يموت هؤلاء ويأتي آخرون. وقرأ: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبْسِتُكُمْ إِذَا مَرَّكُمْ كُلُّ مُمْرِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي حَلْقٍ جَدِيدٍ وقرأ: لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ.

### الآية : 38 - 40

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ} \* قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ \* قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِحُنَّ نَادِمِينَ {.

يقول تعالى ذكره: قالوا ما صالح إلا رجل اختلق على الله كذبا في قوله ما لكم من إله غير الله وفي وعده إياكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون. وقوله: هُوَ من ذكر الرسول، وهو صالح. وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ يقول: وما نحن له بمصدقين فيما يقول أنه لا إله لنا غير الله، وفيما يعدنا من البعث بعد الممات. وقوله: قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ يقول: قال صالح لما أيس من إيمان قومه بالله ومن تصديقهم إياه بقولهم وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ: رَبِّ انصُرْنِي عَلَى هَؤُلَاءِ بِمَا كَذَّبُونَ يقول: بتكذيبهم إياي فيما دعوتهم إليه من الحق. فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم إياه وتكذيبهم له، فقال الله له مجيبا في مسئلته إياه ما سألت: عن قليل يا صالح ليصحن مكدبوك من قومك على تكذيبهم إياك نادمين، وذلك حين تنزل بهم نقمنا فلا ينفعهم الندم.

### الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُنُتًا قَبْعًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.

يقول تعالى ذكره: فانتقمنا منهم، فأرسلنا عليهم الصيحة فأخذتهم بالحق وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه بكفرهم به وتكذيبهم رسوله. فَجَعَلْنَاهُمْ عُنُتًا يقول: فصيرناهم بمنزلة العنقاء، وهو ما ارتفع على السيل ونحوه، كما لا ينتفع به في شيء. فإنما هذا مثل، والمعنى: فأهلكناهم فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19297- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: فَجَعَلْنَاهُمْ عُنُتًا قَبْعًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ يقول: جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر.

19298- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: عُنُتًا كالريميم الهامد، الذي يحتمل السيل.

19299- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح: فَجَعَلْنَاهُمْ عُنُتًا قال: كالريميم الهامد الذي يحتمل السيل.

19300- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: فَجَعَلْنَاهُمْ عُنُتًا قال: هو الشيء البالي.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

19301\_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَجَعَلْنَاهُمْ غُنَاءً قال: هذا مثل ضربه الله. وقوله: قَبُعْدَا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ يقول: فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم, إذ كفروا بربهم وَعَصَوْا رِسله وظلموا أنفسهم.

19302\_ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد, قال: أولئك ثمود, يعني قوله: فَجَعَلْنَاهُمْ غُنَاءً قَبُعْدَا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

### الآية : 42 - 43

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ \* مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ} .

يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين. وقوله: ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا يقول: ما يتقدم هلاك أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود قبل الأجل الذي أجلنا لهلاكها, ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا لهلاكها والوقت الذي وقتنا لفنائها ولكنها تهلك لمجيئه. وهذا وعيد من الله لمشركي قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإعلام منه لهم أن تأخيره في آجالهم مع كفرهم به وتكذيبهم رسوله, ليلبغوا الأجل الذي أجل لهم فيحل بهم نقمته, كسنته فيمن قبلهم من الأمم السالفة.

### الآية : 44

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلًّا مِمَّا جَاءَ أُمَّةً رُسُلُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ قَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} .

يقول تعالى ذكره: ثم أرسلنا إلى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود رُسُلَنَا تَتْرَى يعني: يتبع بعضها بعضا, وبعضها في أثر بعض. وهي من المواترة, وهي اسم لجمع مثل «شيء», لا يقال: جاءني فلان تترى, كما لا يقال: جاءني فلان مواترة, وهي تنوّن ولا تنوّن, وفيها الياء, فمن لم ينوّنوها فَعَلَى من وترت, ومن قال «تترا» يوهم أن الياء أصلية كما قيل: مَعْرَى بالياء, وَمَعْرَا وَنُهْمَى بُوهُمَا ونحو ذلك, فأجريت أحيانا وترك إجراؤها أحيانا, فمن جعلها «فَعَلَى» وقف عليها, أشاء إلى الكسر, ومن جعلها ألف إعراب لم يشر, لأن ألف الإعراب لا تكسر, لا يقال: رأيت زيدا, فيشار فيه إلى الكسر.

ونحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19303\_ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى} يقول: يتبع بعضها بعضا. حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى} يقول: بعضها على أثر بعض.

19304\_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: تَتْرَى قال: اتباع بعضها بعضا.

حدثنا القايم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى** قال: يتبع بعضها بعضا.

19305\_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى** قال: بعضهم على أثر بعض، يتبع بعضهم بعضا. واختلفت قراء الأمصار في قراءة ذلك، فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة وبعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة: «تَتْرَى» بالتنوين. وكان بعض أهل مكة وبعض أهل المدينة وعامة قراء الكوفة يقرءونه: تَتْرَى بإرسال الياء على مثال «فَعَلَى». والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان في كلام العرب بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القاريء فمصيب غير أتى مع ذلك أختار القراءة بغير تنوين، لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما.

وقوله: **كَلِمًا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ** يقول: كلما جاء أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود رسولها الذي نرسله إليهم، كذَّبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا. وقوله: **فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا** يقول: فأتبعنا بعض تلك الأمم بعضا بالهلاك فأهلكنا بعضهم في إثر بعض. وقوله: **وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ لِلنَّاسِ وَمِثْلًا يُتَّحَدَّثُ بِهِمْ**، وقد يجوز أن يكون جمع حديث. وإنما قيل: **وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ** لأنهم جعلوا حديثا ومثلا يتمثل بهم في الشر، ولا يقال في الخير: جعلته حديثا ولا أحوثة. وقوله: **فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ** يقول: فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله ولا يصدقون برسوله.

#### **الآية : 45 - 46**

القول في تأويل قوله تعالى: **{ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ}**. يقول تعالى ذكره: ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية، موسى وأخاه هارون إلى فرعون وأشراف قومه من القبط بآياتنا يقول: بحجنا، فاستكبروا عن اتباعها والإيمان بما جاءهم به من عند الله. وكانوا قوما عالين يقول: وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم ومن في بلادهم من بني إسرائيل وغيرهم بالظلم، قاهرين لهم. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

19306\_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وقوله: **وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ** قال: علوا على رسلهم وعصوا ربهم ذلك علوهم. وقرأ: **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ... الآية.**

#### **الآية : 47 - 48**

القول في تأويل قوله تعالى: **{فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ \* فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ}**.

يقول تعالى ذكره: فقال فرعون وملؤه: أتؤمن لبشرين مثلنا فنتبعهما وقومهما من بني إسرائيل لنا عابدون يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون، ياتمرون لأمرهم وبيدنون لهم. والعرب تسمى كل من دان الملك عابدا له، ومن ذلك قيل لأهل الحيرة: العباد، لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19307\_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: قال فرعون: **أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا... الآية**، نذهب نرفعهم فوقنا، ونكون تحتهم،

ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا، كيف نصنع ذلك؟ وذلك حين أتوهم بالرسالة. وقرأ: وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ قَالَ: العلو في الأرض. وقوله: فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلِكِينَ يقول: فكذب فرعون وملؤه موسى وهارون، فكانوا ممن أهلكهم الله كما أهلك من قبلهم من الأمم بتكذيبها رسلها.

### الآية : 49 - 50

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ \* وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} .  
يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة، ليهتدي بها قومه من بني إسرائيل، ويعلموا بما فيها. وجعلنا ابن مريم وأمه آية، وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم، وعلى قدرتنا على إنشاء الأجسام من غير أصل، كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب. كما:  
19308- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا مَعْمَرٌ، عن قَنَادَةَ، في قوله: وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ قَالَ: ولدته من غير أب هو له.

ولذلك وُجِدَت الآية، وقد ذكر مريم وابنها.  
وقوله وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ يقول: وضممناهما وصيرناهما إلى ربوة، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا، فهو يَأْوِي إليه. إذا صار إليه وعلى مثال «أفعلته» فهو يُؤْوِيه. وقوله إلى رَبْوَةٍ يعني: إلى مكان مرتفع من الأرض على ما حوله ولذلك قيل للرجل يكون في رفعة من قومه وعزٍّ وشرف وعدد: هو في ربوة من قومه، وفيها لغتان: ضمّ الراء وكسرهما إذا أريد بها الاسم، وإذا أريد بها الفعلة من المصدر قيل رَبَا رَبْوَةً.

واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة وأوى إليه مريم وابنها، فقال بعضهم: هو الرملة من فلسطين. ذكر من قال ذلك:  
19309- حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا صفوان بن عيسى، قال: حدثنا بشر بن رافع، قال: ثني ابن عمّ لأبي هريرة، يقال له أبو عبد الله، قال: قال لنا أبو هريرة: الزموا هذه الرملة من فلسطين، فإنها الربوة التي قال الله: وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

19310- حدثني عصام بن رَوَادٍ بن الجراح، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا عباد أبو عتبة الخوّاص، قال: حدثنا يحيى بن أبي عمرو السيباني، عن ابن وعلّة، عن كريب، قال: ما أدري ما حدثنا مُرَّةُ التَّبَهْزِيّ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذكر أن الربوة هي الرملة».

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن بشر بن رافع، عن أبي عبد الله بن عمّ أبي هريرة، قال: سمعت أبا هريرة يقول في قول الله: إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ قال: هي الرملة من فلسطين.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا صفوان، قال: حدثنا بشر بن رافع، قال: حدثنا أبو عبد الله ابن عمّ، أبي هريرة، قال: قال لنا أبو هريرة: الزموا هذه الرملة التي بفلسطين، فإنها الربوة التي قال الله: وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

وقال آخرون: هي دمشق. ذكر من قال ذلك:

19311- حدثنا أحمد بن الوليد القرشي, قال: حدثنا محمد بن جعفر,  
قال: حدثنا شعبة, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب أنه قال في  
هذه الآية: وَأَوْيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ دَاتٍ قَرَارٍ وَمَعِينٍ قال: زعموا أنها دمشق.  
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: بلغني, عن  
ابن المسيب أنه قال دمشق.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن يحيى بن  
سعيد, عن سعيد بن المسيب, مثله.

19312- حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي, قال: حدثنا ابن بكير,  
قال: حدثنا الليث بن سعد, قال: ثني عبد الله بن لهيعة, عن يحيى بن  
سعيد, عن سعيد بن المسيب, في قوله: وَأَوْيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ دَاتٍ قَرَارٍ  
وَمَعِينٍ قال: إلى ربوة من رُبا مصر. قال: وليس الرُّبَا إِلَّا فِي مِصْرَ,  
وَالْمَاءُ حِينَ يُرْسَلُ تَكُونُ الرَّبَا عَلَيْهَا الْقَرْيَ, لَوْلَا الرَّبَا لَغَرَقَتْ تِلْكَ الْقَرْيَ.  
وقال آخرون: هي بيت المقدس. ذكر من قال ذلك:

19313- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة,  
قال: هو بيت المقدس.

19314- قال: ثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة قال: كان كعب  
يقول: بيت المقدس أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.  
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن كعب,  
مثله.

وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر  
وليس كذلك صفة الرملة, لأن الرملة لا ماء بها مُعِين, والله تعالى ذكره  
وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار وَمَعِين.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:  
19315- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال:  
ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَأَوْيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ قال:  
الربوة: المستوية.

19316- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا  
عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً,  
عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إِلَى رَبْوَةٍ قال: مستوية.  
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن  
مجاهد, مثله.

وقوله: دَاتٍ قَرَارٍ وَمَعِينٍ يقول تعالى ذكره: من صفة الربوة التي آوينا  
إليها مريم وابنها عيسى, أنها أرض منبسطة وساحة وذات ماء ظاهر لغير  
الباطن جارٍ.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:  
19317- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال:  
ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَمَعِينٍ قال: المَعِين: الماء الجاري,  
وهو النهر الذي قال الله: قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا.

19318- حدثني محمد بن عمارة الأسدي, قال: حدثنا عبيد الله بن  
موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد, في قوله: دَاتٍ  
قَرَارٍ وَمَعِينٍ قال: المَعِين: الماء.

حدثني محمد بن عمارة الأسديّ، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: مَعِين، قال: ماء. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله.

19319- حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: حدثنا محمد بن الصَّلْت، قال: حدثنا شريك، عن سالم، عن سعيد، في قوله: ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ قال: المكان المستوى، والمَعِين: الماء الظاهر.

19320- حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: وَمَعِينٍ: هو الماء الظاهر.

وقال آخرون: عُنِي بالقرار الثمار. ذكر من قال ذلك: 19321- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ هي ذات ثمار، وهي بيت المقدس. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله قتادة في معنى: ذَاتِ قَرَارٍ وإن لم يكن أراد بقوله: إنها إنما وصفت بأنها ذات قرار، لما فيها من الثمار، ومن أجل ذلك يستقرّ فيها ساكنوها، فلا وجه له نعرفه. وأما مَعِينٍ فإنه مفعول من عَنَيْته فأنا أعينه، وهو معين وقد يجوز أن يكون فعلاً من مَعَنَ يمعن، فهو معين من الماعون ومنه قول عبيد بن الأبرص: وَاهِيَةٌ أَوْ مَعِينٌ مُمَعِنًا وَهَضْبَةٌ دُونَهَا لَهُوبٌ

## الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذي طيبه الله لكم دون الحرام، وَاعْمَلُوا صَالِحًا تقول في الكلام للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عتاً إذاكم، وكما قال: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ، وهو رجل واحد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19322- حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل، قال: ثني عبيد بن إسحاق الضبيّ العطار، عن حفص بن عمر الفراريّ، عن أبي إسحاق السبيعيّ، عن عمرو بن شربيل: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا قال: كان عيسى ابن مريم يأكل من غزل أمه.

وقوله: إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ يقول: إني بأعمالكم ذو علم، لا يخفى عليّ منها شيء، وأنا مجازيكم بجميعها، وموفّيكم أجوركم وثوابكم عليها، فخذوا في صالحات الأعمال واجتهدوا.

## الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ }.



اختلفت القراء في قراءة قوله: **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**, فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة: «وَأَنَّ» بالفتح, بمعنى: إني بما تعملون عليم, وأن هذه أمتكم أمة واحدة. فعلى هذا التأويل «أَنَّ» في موضع خفض, عطف بها على «ما» من قوله: **يَمَا تَعْمَلُونَ**, وقد يحتمل أن تكون في موضع نصب إذا قرئ-ء ذلك كذلك, ويكون معنى الكلام حينئذ: واعلموا أن هذه, ويكون نصيها بفعل مضمرة. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بالكسر: **وَإِنَّ هَذِهِ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ**. والكسر في ذلك عندي على الابتداء هو الصواب, لأن الخبر من الله عن قيله لعيسى: **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ مَبْتَدَأُ**, فقوله: **وَإِنَّ هَذِهِ** مردود عليه عطفاً به عليه فكان معنى الكلام: **وَقُلْنَا لِعَيْسَى: يَا أَيُّهَا الرِّسَلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ**, **وَقُلْنَا: وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**. وقيل: إن الأمة الذي في هذا الموضع: **الْمَدِينِ وَالْمَلَّة**. ذكر من قال ذلك:

19323- حدثنا القاسم, قال: **حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ**, قال: **حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ**, عن ابن جريح, في قوله: **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** قال: **الْمَلَّةُ وَالِدِينِ**. وقوله: **وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** يقول: **وَأَنَا مَوْلَاكُمْ فَاتَّقُونِ** بطاعتي تأمنوا عقابي. ونصبت «أمة واحدة» على الحال. وذكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك رفعاً. وكان بعض نحويي البصرة يقول: **رَفَعَ ذَلِكَ إِذَا رَفَعَ عَلَيَّ الْخَبَرَ**, ويجعل أمتكم نصبا على البدل من هذه. وأما نحويو الكوفة فيأبون ذلك إلا في ضرورة شعر, وقالوا: لا يقال: **مَرَرْتُ بِهَذَا غَلَامِكُمْ لِأَنَّ «هَذَا» لَا تَتَّبِعُهُ إِلَّا الْأَلْفُ وَاللَّامُ وَالْأَجْنَاسُ**, لأن «هذا» إشارة إلى عدد, فالحاجة في ذلك إلى تبيين المراد من المشار إليه أي الأجناس هو؟ وقالوا: وإذا قيل: **هَذِهِ أُمَّتُكُمْ وَاحِدَةً**, والأمة غائبة وهذه حاضرة, قالوا: **فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَبِينَنَّ عَنِ الْحَاضِرِ بِالْغَائِبِ**, قالوا: **فَلِذَلِكَ لَمْ يَجْزَ: إِنْ هَذَا زَيْدٌ قَائِمٌ**, من أجل أن هذا محتاج إلى الجنس لا إلى المعرفة.

### **الآية : 53**

**القول في تأويل قوله تعالى: { فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرْحُونَ }**.

اختلفت القراء في قراءة قوله: **زُبُرًا** فقرأته عامة قراء المدينة والعراق: **زُبُرًا** بمعنى جمع الزبور. فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء: **فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ الَّذِينَ أَمَرَهُمُ اللَّهُ مِنْ أُمَّةِ الرَّسُولِ عَيْسَى بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى الدِّينِ الْوَاحِدِ وَالْمَلَّةِ الْوَاحِدَةِ**, دينهم الذي أمرهم الله بلزومه **زُبُرًا كُتُبًا**, فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذين دان به الفريق الآخر, كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة وكذبوا بحكم الإنجيل والقرآن, وكالنصارى الذين دانوا بالإنجيل بزعمهم وكذبوا بحكم الفرقان. ذكر من تأول ذلك كذلك:

19324- **حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى**, قال: **حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ**, عن معمر, عن قتادة **زُبُرًا** قال: **كُتُبًا**.

**حَدَّثَنَا الْحَسَنُ**, قال: **أَخْبَرَنَا عَبْدِ الرَّزَّاقِ**, قال: **أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ**, عن قتادة, مثله.

19325- **حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو**, قال: **حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ**, قال: **حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ**, قال: **حَدَّثَنَا الْحَسَنُ**, قال: **حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا**, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد: **بَيْنَهُمْ زُبُرًا** قال: **كُتِبَ اللَّهُ فَرَّقُوهَا قِطْعًا**.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: قَتَقَطُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا قال مجاهد: كُتِبَ فَرَّقُوا قِطْعًا. وقال آخرون من أهل هذه القراءة: إنما معنى الكلام: فتنفروا دينهم بينهم كتبًا أحدثوها يحتجون فيها لمذاهبهم. ذكر من قال ذلك:

19326\_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: قَتَقَطُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا كُلُّ حَرْبٍ يَمَّا لَدَيْهِمْ قَرِحُونَ قال: هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب، كلُّ معجون برأيهم، ليس أهل هواء إلا وهم معجون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذي اخترق ذلك لهم. وقرأ ذلك عامة قرأه الشام: «قَتَقَطُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا» بضم الزاء وفتح الباء، بمعنى: فتنفروا أمرهم بينهم قِطْعًا كزُبْرِ الحديد، وذلك القِطْع منها، وأحدثها زُبْرَةٌ، من قول الله: أَتُونِي زُبْرَ الْحَدِيدِ فصار بعضهم يهودا وبعضهم نصارى.

والقراءة التي نختار في ذلك: قراءة من قرأه بضم الزاء والياء، لإجماع أهل التأويل في تأويل ذلك على أنه مراد به الكتب، فذلك يبين عن صحة ما اخترنا في ذلك، لأن الزُبْر هي الكتب، يقال منه: زَبَرَتِ الْكِتَابَ: إذ كتبتة. فتأويل الكلام: فتنفروا الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الأمم دينهم بينهم كتبًا، كما بينا قبل.

وقوله: كُلُّ حَرْبٍ يَمَّا لَدَيْهِمْ قَرِحُونَ يقول: كل فريق من تلك الأمم بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب فرحون، معجون به، لا يرون أن الحق سواه. كما:

19327\_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعًا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: كُلُّ حَرْبٍ يَمَّا لَدَيْهِمْ قَرِحُونَ قطعة، وهؤلاء هم أهل الكتاب.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: كُلُّ حَرْبٍ قِطْعَةٌ، أهل الكتاب.

### الآية : 54 - 55

القول في تأويل قوله تعالى: { قَدَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ \* أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ \* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ } . قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرًا، في عَمَرَتِهِمْ في ضلالتهم وغيهم، حَتَّىٰ حِينٍ يعني إلى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19328\_ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: قَدَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ قال: في ضلالهم.

19329\_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: قَدَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ قال: العَمْرَةُ: العَمْر.

وقوله: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ يقول تعالى ذكره: أيجسب هؤلاء الأحزاب الذين فرقوا دينهم زُبْرًا، أن الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين نُسَارِعُ لَهُمْ يقول: نسابق لهم في خيرات الآخرة، ونبادر لهم فيها؟ و «ما» من قوله: أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ نَصَبٌ، لأنها بمعنى «الذي». بَلْ لَا يَشْعُرُونَ يقول تعالى ذكره تكذيبًا لهم: ما ذلك كذلك، بل لا

يعلمون أن إمدادي إياهم بما أمدهم به من ذلك، إنما هو إملاء واستدراج لهم.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:  
19330- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أَمَّا تُمِدُّهُمْ قَالَ: نعطيهم، نسارع لهم، قال: تزيدهم في الخير، تُملي لهم، قال: هذا لقريش.  
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

19331- حدثني محمد بن عمر بن عليّ، قال: ثني أشعث بن عبد الله، قال: حدثنا شعبة، عن خالد الحذاء، قال: قلت لعبد الرحمن بن أبي بكرة، قول الله: تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ؟ قال: يسارع لهم في الخيرات.  
وكان عبد الرحمن بن أبي بكرة وجه بقراءته ذلك كذلك، إلى أن تأويله: يسارع لهم إمدادنا إياهم بالمال والبنين في الخيرات.

### الآية : 57 - 59

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مَشْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ} .  
يعني تعالى ذكره: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مَشْفِقُونَ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَتِهِمْ وَخَوْفِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَشْفِقُونَ، فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته جادون في طلب مرضاته. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ يقول: والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدقون. الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ يقول: والذين يُخلصون لربهم عبادتهم، فلا يجعلون له فيها لغيره شركاً لوثن ولا لصنم، ولا يُراءون بها أحداً من خلقه، ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصاً، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه.

### الآية : 60 - 61

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ \* أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} .  
يعني تعالى ذكره بقوله: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا يعطون أهل سُهْمَانِ الصَّدَقَةِ مَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ. مَا آتَوْا يعني: ما أعطوهم إياه من صدقة، ويؤدون حقوق الله عليهم في أموالهم إلى أهلها. وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ يقول: خائفة من أنهم إلى ربهم راجعون، فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله، فهم خائفون من المرجع إلى الله لذلك، كما قال الحسن: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:  
19332- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن ابن أبي جري، عن رجل، عن ابن عمر: يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قَالَ: الزكاة.

19333- حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد: وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قَالَ: الْمُؤْمِنُ يَنْفِقُ مَالَهُ وَقَلْبُهُ وَجِلٌ.

19334- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي الأشهب, عن الحسن, قال: يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قَالَ: يَعْمَلُونَ مَا عَمِلُوا مِنْ أَعْمَالِ الرَّبِّ, وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا يَنْجِيَهُمْ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ.

19335- حدثنا القاسم, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قَالَ: الْمُؤْمِنُ يَنْفِقُ مَالَهُ وَبِتَصَدَّقَ وَقَلْبُهُ وَجِلٌ أَنَّهُ إِلَى رَبِّهِ رَاجِعٌ.

19336- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُليّة, عن يونس, عن الحسن أنه كان يقول: إِنْ الْمُؤْمِنُ جَمَعَ إِحْسَانًا وَشَفِيقَةً, وَإِنْ الْمُنَافِقُ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا. ثُمَّ تَلَا الْحَسَنُ: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَشِيَّةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِلَى: وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ وَقَالَ الْمُنَافِقُ: إِنَّمَا أَوْتَيْتَهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي. 19337- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين بن واقد, عن يزيد, عن عكرمة: يُؤْتُونَ مَا آتَوْا قَالَ: يُعْطُونَ مَا أُعْطُوا. وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ يَقُولُ: خَائِفَةٌ.

19338- حدثنا خلاد بن أسلم, قال: حدثنا النضر بن شميل, قال: أخبرنا إسرائيل, قال: أخبرنا يسالم الأبطس, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قَالَ: يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهِيَ مِنَ الْمَبْشَرَاتِ.

19339- حدثنا ابن عبيد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قَالَ: يُعْطُونَ مَا أُعْطُوا وَيَعْمَلُونَ مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ, وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ خَائِفَةٌ.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

19340- حدثنا عليّ, قال: ثني معاوية, عن ابن عباس, قوله: وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ يَقُولُ: يَعْمَلُونَ خَائِفِينَ.

19341- قال: حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قَالَ: يَعْطُونَ مَا أُعْطُوا قَرَقًا مِنَ اللَّهِ وَوَجَلًا مِنَ اللَّهِ.

19342- حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ, قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرْنَا عُبَيْدٌ, قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: يُؤْتُونَ مَا آتَوْا يَنْفِقُونَ مَا أَنْفَقُوا.

19343- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قَالَ: يَعْطُونَ مَا أُعْطُوا وَيَنْفِقُونَ مَا أَنْفَقُوا وَيَتَصَدَّقُونَ بِمَا تَصَدَّقُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ, اتِّقَاءً لِسَخَطِ اللَّهِ وَالنَّارِ.

وعلى هذه القراءة, أعني على: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا قرأه الأمصار, وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرأ, لإجماع الحجة من القراء عليه ووفائه خط مصاحف المسلمين.

وروي عن عائشة رضي الله عنها في ذلك, ما:

19344- حدثنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا عليّ بن ثابت, عن طلحة بن عمر, عن أبي خلف, قال: دخلت مع عبيد بن عمير

على عائشة، فسألها عبيد: كيف نقرأ هذا الحرف وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا؟  
فقالت: «يَأْتُونَ مَا آتَوْا».

وكانها تأولت في ذلك والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون  
من الله. وكانها تأولت في ذلك: والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات  
وهم وجلون من الله، كالذي:

19345- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمر بن  
قيس، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني، عن أبي حازم، عن  
أبي هريرة، قال: قالت عائشة: يا رسول الله «وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا  
وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ» هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه؟ فقال: «لا، وَلَكِنْ مَنْ  
يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ وَجِلٌ».

19346- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، عن مالك بن مغول، عن  
عبد الرحمن بن سعيد بن وهب، أن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله الَّذِينَ  
يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَهْم الَّذِينَ يُذْنِبُونَ وَهُمْ مُشْفِقُونَ وَهُمْ  
مُشْفِقُونَ؟

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: حدثنا ليث، عن مغيب، عن  
رجل من أهل مكة، عن عائشة، قالت: قلت: يا رسول الله: الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا  
آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قَالَ: فذكر مثل هذا.

حدثنا سفيان بن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن مالك بن مغول، عن عبد  
الرحمن بن سعيد، عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا  
وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَهْوِ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرِبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «لَا يَا ابْنَةَ  
أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا ابْنَةَ الصَّدِيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَنْ  
لَا يُقْبَلَ مِنْهُ».

19347- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني جرير، عن ليث  
بن أبي سليم، وهشيم عن العوام بن حوشب جميعا، عن عائشة، أنها  
قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يَا ابْنَةَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا  
بَنَةَ الصَّدِيقِ هُمُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ» و «أَنَّ» من  
قوله: أَتُهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ: في موضع نصب، لأن معنى الكلام:  
وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ مِنْ أَنَّهُمْ، فلما حذف «مِنْ» اتصل الكلام قبلها، فنصبت.  
وكان بعضهم يقول: هو في موضع خفض، وإن لم يكن الخافض ظاهرا.  
وقوله: أَوْلَيْكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين  
هذه الصفات صفاتهم، يبادرون في الأعمال الصالحة ويطلبون الزلفة  
عند الله بطاعته. كما:

19348- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في  
قوله: أَوْلَيْكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ.

وقوله: وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ كان بعضهم يقول: معناه: سبقت لهم من الله  
السعادة، فذلك سبقهم الخيرات التي يعملونها. ذكر من قال ذلك:

19349- حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي،  
عن ابن عباس، قوله: وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ يقول: سبقت لهم السعادة.

19350- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في  
قوله: وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ، فتلك الخيرات.

وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى: وهم إليها سابقون. وتأوله آخرون: وهم  
من أجلها سابقون.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله ابن عباس، من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها.  
 وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام لأن ذلك أظهر معنييه، وأنه لا حاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك، إلى تحويل معنى «اللام» التي في قوله: وَهُمْ لَهَا إِلَى غير معناها الأغلب عليها.

### الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ولا نكلف نفساً إلا ما يسعها ويصلح لها من العبادة ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله، وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع. وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ يَقول: وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من خير وشرٍّ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ يَقول: يبين بالصدق عما عملوا من عمل في الدنيا، لا زيادة عليه ولا نقصان، ونحن موفو جميعهم أجورهم، المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته. وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ يَقول: وهم لا يظلمون، بأن يزداد على سيئات المسيء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جُزْمه، وينقص المحسن عما عمل من إحسانه فينقص عما له من الثواب.

### الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون، من أن إمدادناهم بما نمدّهم به من مال وبنين، بخير نسوقه بذلك إليهم والرضا منا عنهم ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن. وعنى بالغمرة: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج. وعنى بقوله: مِنْ هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19351- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: فِي عَمْرَةٍ مِنْ هَذَا قَالَ: فِي عَمَى مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: فِي عَمْرَةٍ مِنْ هَذَا قَالَ: مِنَ الْقُرْآنِ.

وقوله: وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ يَقول تعالى ذكره: ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصي. مِنْ دُونِ ذَلِكَ يَقول: من دون أعمال أهل الإيمان بالله وأهل التقوى والخشية له.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19352- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد: وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ قَالَ: الْخَطَايَا.

19353- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ قَالَ: الحق.

حدثنا علي بن سهل, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ قَالَ: خطايا من دون ذلك الحق. 19354- قال: حدثنا حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, في قوله: وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ... الآية, قال: أعمال دُونَ الحق.

19355- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة, ثم قال للكفار: بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ قَالَ: من دون الأعمال التي منها قوله: مِنْ حَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ والذين, والذين.

19356- حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن العلاء بن عبد الكريم, عن مجاهد, قال: أعمال لا بدّ لهم من أن يعملوها.

19357- حدثنا علي بن سهل, قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء, عن حماد بن سلمة, عن حميد, قال: سألت الحسن عن قول الله: وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ قَالَ: أعمال لم يعملوها سيعملونها.

19358- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ قَالَ: لم يكن له بدّ من أن يستوفي بقية عمله, ويصلى به.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن الثوري, عن العلاء بن عبد الكريم, عن مجاهد, في قوله: وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ قَالَ: أعمال لا بدّ لهم من أن يعملوها.

حدثنا عمرو, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن العلاء بن عبد الكريم, عن مجاهد, في قول الله تبارك وتعالى: وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ قَالَ: أعمال لا بدّ لهم من أن يعملوها.

### الآية : 64 - 65

القول في تأويل قوله تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ \* لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِلَيْكُمْ مِّنَّا لَا تَنْصُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وللهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون, إلى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب. كما:

19359- حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ, قال: الْمُتْرَفُونَ: العظماء. إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ يقول: فإذا أخذناهم به جأروا, يقول: ضجوا واستغاثوا مما حلّ بهم من عذابنا.

ولعلّ الجوّار: رفع الصوت, كما يجار الثور ومنه قول الأعشى:

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارًا

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19360- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ يقول: يستغيثون.



19361- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن, قالوا: حدثنا سفيان, عن علقمة بن قريظ, عن مجاهد, في قوله: حتى إذا أخذنا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأُرُونَ قال: بالسيف يوم بدر.

19362- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, في قوله: إِذَا هُمْ يَجْأُرُونَ قال: يجزعون.

19363- قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج: حتى إذا أخذنا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ قال: عذاب يوم بدر. إِذَا هُمْ يَجْأُرُونَ قال: الذين بمكة.

19364- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: حتى إذا أخذنا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ يعني أهل بدر, أخذهم الله بالعذاب يوم بدر.

19365- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: سمعت ابن زيد يقول في قوله: إِذَا هُمْ يَجْأُرُونَ قال: يجزعون.

وقوله: لا تَجْأُرُوا الْيَوْمَ يَقُول: لا تَضْجُوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم, فإن ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيئاً مما قد نزل بكم من سخط الله. إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنصِرُونَ يقول: إنكم من عذابنا الذي قد حل بكم لا تستنقذون, ولا يخلصكم منه شيء.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19366- حدثنا القاسم, قال حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس: لا تَجْأُرُوا الْيَوْمَ: لا تجزعوا اليوم.

19367- حدثني يونس, قال: أخبرنا الربيع بن أنس: لا تَجْأُرُوا الْيَوْمَ لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب, إنه لا ينفعكم, فلو كان هذا الجزع قبل نفعكم.

## الآية : 66 - 67

القول في تأويل قوله تعالى: { قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ \* مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش: لا تضجوا اليوم وقد نزل بكم سخط الله وعذابه, بما كسبت أيديكم واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم. قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ يعني: آيات كتاب الله, يقول: كانت آيات كتابي تقرأ عليكم فتكذبون بها وترجعون مولين عنها إذا سمعتموها, كراهية منكم لسماعها. وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء: نكص فلان على عقبه.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19368- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ قال: تستأخرون.

19369- حدثني علي, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ يقول: تدبرون.

19370- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن ابن عباس, قوله: قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ يعني أهل مكة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى  
وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن. قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن  
أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: تَكْبُرُونَ قال: تستأخرون.  
وقوله: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ يقول: مستكبرين بحرم الله، يقولون: لا يظهر علينا  
فيه أحد، لأننا أهل الحرم.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:  
19371- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال:  
ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ يقول:  
مستكبرين بحرم البيت أنه لا يظهر علينا فيه أحد.

19372- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا  
عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً،  
عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ قال: بمكة  
بالبلد.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن  
مجاهد، نحوه.

19373- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا هُوَ، قال: حدثنا عوف، عن  
الحسن: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ قال: مستكبرين بحرمي.

19374- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، عن سفيان، عن حصين، عن  
سعيد بن جبير، في قوله: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ بالحرم.

19375- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة:  
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ قال: مستكبرين بالحرم.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، مثله.  
19376- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد،

قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ قال: بالحرم.

وقوله: سامِراً يقول: تَسْمُرُونَ بالليل. ووحد قوله: سامِراً وهو بمعنى  
السَّمَار، لأنه وضع موضع الوقت. ومعنى الكلام: وتهجرون ليلاً، فوضع  
السامر موضع الليل، فوحد لذلك. وقد كان بعض البصريين يقول: وُحِدَ  
ومعناه الجمع، كما قيل: طفل في موضع أطفال. ومما يبين عن صحة  
ما قلنا في أنه وضع موضع الوقت فوحد لذلك، قول الشاعر:

مِنْ دُونِهِمْ إِنْ جَنَّتْهُمْ سَمَرًا عَرَفُ الْقِيَانِ وَمَجْلِسُ عَمْرٍ  
فقال: «سمرًا» لأن معناه: إن جنتهم ليلاً وهم يسمرون، وكذلك قوله:  
سامِراً.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19377- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال:  
ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: سامِراً يقول: يَسْمُرُونَ حول  
البيت.

19378- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا  
عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً،  
عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: سامِراً قال: مجلساً بالليل.

حدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج،  
عن مجاهد: سامِراً قال: مجالس.

19379- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن  
حصين, عن سعيد بن جبير: سأمرا قال: تَسْمُرُونَ بالليل.

19380- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في  
قوله: سأمرا قال: كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون: يتكلمون بالشعر  
والكهانة وبما لا يدرون.

19381- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد,  
قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: سأمرا قال: يعني سَمَرَ الليل.  
وقال بعضهم في ذلك, ما:

19382- حدثنا به ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن  
قتادة: سأمرا يقول: سأمرا من أهل الحرم آمنا لا يخاف, كانوا يقولون:  
نحن أهل الحرم لا يخافون.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قتادة: سأمرا  
يقول: سأمرا من أهل مكة آمنا لا يخاف, قال: كانوا يقولون: نحن أهل  
الرحم لا نخاف.

وقوله: تَهْجُرُونَ اختلفت القراء في قراءته, فقرأته عامة قراء الأمصار:  
تَهْجُرُونَ بفتح التاء وضم الجيم. ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان من  
المعنى: أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالإعراض عن القرآن أو البيت,  
أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه. والآخر: أن يكون عنى أنهم  
يقولون شيئا من القول كما يهجر الرجل في منامه, وذلك إذا هدى فكأنه  
وصفهم بأنهم يقولون في القرآن ما لا معنى له من القول, وذلك أن يقولوا  
فيه باطلاً من القول الذي لا يضروه. وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل  
التأويل. ذكر من قال: كانوا يُعْرِضُونَ عن ذكر الله والحق ويهجرونه:

19383- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال ثني عمي, قال:  
ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: تَهْجُرُونَ قال: يهجرُونَ ذكر الله  
والحق.

19384- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, عن  
السدي, عن أبي صالح, في قوله: سأمرا تَهْجُرُونَ قال: السب.

ذكر من قال: كانوا يقولون الباطل والسيء من القول في القرآن:  
19385- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن  
حصين, عن سعيد بن جبير: تَهْجُرُونَ قال: يهجرُونَ في الباطل.

قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن حصين, عن سعيد بن جبير: سأمرا  
تَهْجُرُونَ قال: يسمرون بالليل يخوضون في الباطل.

19386- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا  
عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا,  
عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: تَهْجُرُونَ قال: بالقول السيء في  
القرآن.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن  
مجاهد, مثله.

19387- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في  
قوله: تَهْجُرُونَ قال: الهديان الذي يتكلم بما لا يريد, ولا يعقل كالمرضى  
الذي يتكلم بما لا يدري. قال: كان أبي يقرؤها: سأمرا تَهْجُرُونَ.

وقرأ ذلك آخرون: «سامرا تُهَجِرُونَ» بضم التاء وكسر الجيم. وممن قرأ ذلك كذلك من قرءاء الأمصار نافع بن أبي نعيم، بمعنى: يُفحشون في المنطق، ويقولون الحَتَا، من قولهم: أهرج الرجل: إذا أفحش في القول. وذكر أنهم كانوا يسُبُّون رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك: 19388. حدثنا عليٌّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس: «تُهَجِرُونَ» قال: تقولون هُجْرًا.

19389. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا عبد المؤمن، عن أبي تَهِيك، عن عكرمة، أنه قرأ: «سامرا تَهَجِرُونَ»: أي تَسُبُّون.

19390. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا هوزة، قال: حدثنا عون، عن الحسن، في قوله: «سامرا تُهَجِرُونَ» رسولي.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن: «تُهَجِرُونَ» رسول الله صلى الله عليه وسلم.

19391. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: «تُهَجِرُونَ» يقول: يقولون سوءًا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال الحسن: «تُهَجِرُونَ» كتاب الله ورسوله.

19392. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «تُهَجِرُونَ» يقول: يقولون المنكر والحَتَا من القول، كذلك هَجْر القول.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا القراءة التي عليها قرءاء الأمصار، وهي فتح التاء وضم الجيم، لإجماع الحجة من القرءاء.

## الآية : 68 - 70

القول في تأويل قوله تعالى: {أَقْلَمَ يَدَّبُرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ \* أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ \* أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرَهُمُ لِلْحَقِّ كَارَهُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليه فيه؟ أم جاءهم ما لم يأت آباءهم من أسلافهم، فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأنزلت معهم الكتب. وقد يحتمل أن تكون «أم» في هذا الموضع بمعنى: «بل»، فيكون تأويل الكلام: أفلم يدبّروا القول؟ بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه، إذ لم يكن فيمن سلف من آبائهم ذلك. وقد ذكر عن ابن عباس في نحو هذا القول، ما:

19393. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: {أَقْلَمَ يَدَّبُرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ} قال: لعمرى لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، ولكن أو لم يأتهم ما لم يأت آباءهم الأولين.

وقوله: {أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ} يقول تعالى ذكره: أم لم يعرف هؤلاء المكذّبون محمداً، وأنه من أهل الصدق والأمانة، فهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ يقول: فينكروا قوله، أو لم يعرفوه بالصدق، ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه. يقول

جل ثناؤه: فكيف يُكذّبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والأمانة. أم يقولون به جنة يقول: أيقولون بمحمد جنون، فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدري ما يقول: بل جاءهم بالحق يقول تعالى ذكره: فإن يقولوا ذلك فكذبهم في قيلهم ذلك واضح بين وذلك أن المجنون يهذي فيأتي من الكلام بما لا معنى له، ولا يعقل ولا يفهم، والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها والحق الذي لا تخفى صحته على ذي فطرة صحيحة، فكيف يجوز أن يقال: هو كلام مجنون؟ وقوله: وأكثرهم للحق كارهون يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون، بل قد علموه صادقا محققا فيما يقول وفيما يدعوهم إليه، ولكن أكثرهم للإذعان للحق كارهون ولأتباع محمد ساخطون، حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا في الأرض.

### الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾. يقول تعالى ذكره: ولو عمل الربّ تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم وترك الحقّ الذي هم له كارهون، لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح من التدبير والفساد. فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إثارة أكثرهم الباطل على الحقّ، لم تقرّ السموات والأرض ومن فيهنّ من خلق الله، لأن ذلك قام بالحقّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19394- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا السديّ، عن أبي صالح: وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ قَالَ: اللهُ.

قال: حدثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح: وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ قَالَ: الْحَقُّ: اللهُ. 19395- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ قَالَ: الْحَقُّ: اللهُ. وقوله: بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ اختلف أهل التأويل في تأويل الذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو بيان الحقّ لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن. ذكر من قال ذلك: 19396- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ يَقُول: بَيْنَا لَهُمْ. وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل أتيناهم بشرفهم وذلك أن هذا القرآن كان شرفا لهم، لأنه نزل على رجل منهم، فأعرضوا عنه وكفروا به. وقالوا: ذلك نظير قوله وَإِنَّهُ لَدِكُّ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وهذا القولان متقاربا المعنى. وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما لخلقه إليه الحاجة من أمر دينهم، وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه وشرف لهم.

### الآية : 72 - 73

القول في تأويل قوله تعالى: { أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجٌ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } \* وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { .

يقول تعالى ذكره: أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خراجا، يعني أجرا على ما جنتهم به من عند الله من النصيحة والحق فخرجا، ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا، قال لهم كما قال الله له، وأمره بقبيله لهم: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَإِنَّمَا مَعْنَى الْكَلَامِ: أَمْ تَسْأَلُهُمْ عَلَى مَا جنتهم به أجرا، فنكصوا على أعقابهم إذا تلوته عليهم، مستكبرين بالحرم، فخراج ربك خير.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19397- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن: أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجٌ رَبُّكَ خَيْرٌ قَالَ: أَجْرًا. حدثنا الحسن، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن الحسن، مثله.

وأصل الخراج والخرج: مصدران لا يُجمعان. وقوله: وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ يقول: والله خير من أعطى عوضا على عمل ورزق رزقا.

وقوله: وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام، وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

### الآية : 74 - 75

القول في تأويل قوله تعالى: { وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ } \* وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ { .

يقول تعالى ذكره: الذين لا يصدقون بالبعث بعد الممات، وقيام الساعة، ومجازاة الله عباده في الدار الآخرة عن الصراط لَنَّاكِبُونَ يقول: عن مَحَجَّةِ الْحَقِّ وَقصد السبيل، وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده لَعَادِلُونَ، يقال منه: قد نكب فلان عن كذا: إذا عدل عنه، ونكب عنه: أي عدل عنه.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19398- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قوله: عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ قال: لعادلون.

حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ يقول: عن الحق عادلون.

وقوله: وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ يقول تعالى: ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجذب وضر الجوع والهزال للَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يعني في عتوهم وجرأتهم على ربهم. يَعْمَهُونَ يعني: يترددون كما:

19399- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, في قوله: وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ قَالَ: الْجُوعُ.

### الآية : 76

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَصَرَّغُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعدابنا, وأنزلنا بهم بأسنا, وسخطنا وضيقتنا عليهم معايشهم, وأجدبنا بلادهم, وقتلنا سرايتهم بالسيف. فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ يقول: فما خضعوا لربهم فينقادوا لأمره ونهيه ويُنبيوا إلى طاعته. وَمَا يَتَصَرَّغُونَ يقول: وما يتدللون له. وذكُر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الله قريشا بسني الجذب, دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

19400- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا أبو تميلة, عن الحسن, عن يزيد, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: جاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم, فقال: يا محمد, أُنشِدُكَ الله والرحم, فقد أكلنا العلهز يعني الوبر والدم. فأنزل الله: وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ, فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَصَرَّغُونَ.

19401- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, عن علباء بن أحمر, عن عكرمة, عن ابن عباس: أن ابن أثال الحنفي لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير, فخلى سبيله, فلحق بمكة, فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة, حتى أكلت قريش العلهز, فجاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم, فقال: أليس تزعم بأنك بُعثت رحمة للعالمين؟ فقال: «بلى» فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فأنزل الله: وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ... الآية. 19402- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: أخبرنا عمرو, قال: قال الحسن: إذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء فإنما هي نقمة, فلا تستقبلوا نقمة الله بالخميمة ولكن استقبلوها بالاستغفار, وتضرعوا إلى الله. وقرأ هذه الآية: وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَصَرَّغُونَ.

19403- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, في قوله: وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ قَالَ: الْجُوعُ وَالْجَدْبُ. فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ فَصَبَرُوا. وَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَصَرَّغُونَ.

### الآية : 77

القول في تأويل قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب القتال فقتلوا يوم بدر. ذكر من قال ذلك:

19404- حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود بن أبي هند, عن علي بن أبي طلحة, عن ابن عباس, في قوله: حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ قد مضى, كان يوم بدر.



حدثنا ابن المثنى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس مثله.

19405- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: حتى إذا فتحنا عليهم بابا دأ عذاب شديد قال: يوم بدر. وقال آخرون: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر، وهو الباب ذو العذاب الشديد. ذكر من قال ذلك:

19406- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: حتى إذا فتحنا عليهم بابا دأ عذاب شديد قال: لكفار قريش الجوع، وما قبلها من القصة لهم أيضا. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه، إلا أنه قال: وما قبلها أيضا.

وهذا القول الذي قاله مجاهد: أولى بتأويل الآية، لصحة الخبر الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس، أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة المجاعة التي أصابت قريشا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، وأمر ثمامة بن أثال وذلك لا شك أنه كان بعد وقعة بدر.

وقوله: **إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ** يقول: إذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حرأى نادمون على ما سلف منهم في تكذيبهم بآيات الله، في حين لا ينفعهم الندم والحرز.

### **الآية : 78**

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ }**.

يقول تعالى ذكره: والله الذي أحدث لكم أيها المكذبون بالبعث بعد الممات، السمع الذي تسمعون به، والأبصار التي تبصرون بها، والأفئدة التي تفقهون بها، فكيف يتعذر على من أنشأ ذلك ابتداء عاداته بعد عدمه وفقده، وهو الذي يوجد ذلك كله إذا شاء ويفنيه إذا أراد. قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ يقول: تشكرون أيها المكذبون خبر الله من عطائكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً.

### **الآية : 79**

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَهُوَ الَّذِي دَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }**.

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلقكم في الأرض وإليه تُحْشَرُونَ من بعد مماتكم، ثم تُبعثون من قبوركم إلى موقف الحساب.

### **الآية : 80**

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }**.

يقول تعالى ذكره: والله الذي يحيي خلقه يقول: يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نُطفًا أمواتًا، بنفخ الروح فيها بعد التارات التي تأتي عليها. وَيُمِيتُ يقول: وبميتهم بعد أن أحياهم. وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يقول: وهو الذي جعل الليل والنهار مختلفين، كما يقال في الكلام: لك المن والفضل،

بمعنى: إنك تَمُنُّ وتُفْضِلُ. وقوله: أَفَلَا تَعْقِلُونَ يقول: أفلا تعقلون أيها الناس أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصل لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه.

### الآية : 81 - 82

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ \* قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله ولا تدبروا ما احتج عليهم من الحجج والدلالة على قدرته على فعل كل ما يشاء ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الأمم المكذبة رسلها قبلهم. قالوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا يقول: أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا وپرات عظامنا من لحومنا، إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ يقول: إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء كهيئتنا قبل الممات؟ إن هذا لشيء غير كائن.

### الآية : 83

القول في تأويل قوله تعالى: {لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}.

يقول تعالى ذكره: قالوا: لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد، ووعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك، فلم نره حقيقة أن هذا يقول: ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الممات إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ يقول: ما سطره الأولون في كتبهم من الأحاديث والأخبار التي لا صحة لها ولا حقيقة.

### الآية : 84 - 85

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق إن كنتم تعلمون مَنْ مالِكها؟ ثم أعلمه أنهم سيقرون بأنها لله ملكا، دون سائر الأشياء غيره. قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ يقول: فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك: أفلا تذكرون فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم؟

### الآية : 86 - 87

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد: من ربَّ السموات السبع، وربَّ العرش المحيط بذلك؟ سيقولون: ذلك كله لله، وهو ربه. فقل لهم: أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله؟

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله: سَيَقُولُونَ لِلَّهِ فقرا ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام: سَيَقُولُونَ لِلَّهِ سوى أبي عمرو، فإنه خالفهم فقراه: «سَيَقُولُونَ اللَّهُ» في هذا الموضع، وفي الآخر الذي بعده، اتبعا لخط المصحف، فإن ذلك كذلك في مصاحف الأمصار إلا في مصحف أهل البصرة، فإنه في الموضعين بالألف، فقرءوا بالألف كلها اتبعا

لخط مصحفهم. فأما الذين قرءوه بالألف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك، لأنهم أجروا الجواب على الابتداء وردّوا مرفوعاً على مرفوع. وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم: قل من ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم؟ سيقولون ربّ ذلك الله. فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك. وأما الذين قرءوا ذلك في هذا والذي يليه بغير ألف، فإنهم قالوا: معنى قوله قُلْ مَنْ رَبّ السَّمَوَاتِ لِمَن السَّمَوَاتِ؟ لمن ملك ذلك؟ فجعل الجواب على المعنى، فقليل: لله لأن المسألة عن ملك ذلك لمن هو؟ قالوا: وذلك نظير قول قائل لرجل: مَنْ مولاك؟ فيجيب المجيب عن معنى ما سئل، فيقول: أنا لفلان لأنه مفهوم بذلك من الجواب ما هو مفهوم بقوله: مولاي فلان. وكان بعضهم يذكر أن بعض بني عامر أنشده:  
 وَأَعْلَمُ أَنِّي سَاكُونٌ رَمْسًا إِذَا سَارَ النَّوَاجِعُ لَا يَسِيرُ  
 فَقَالَ السَّائِلُونَ لِمِنْ حَفَرْتُ مَقَالَ الْمُخَيَّرُونَ لَهُمْ: وَزِيرُ  
 فأجاب المخفوض بمرفوع، لأن معنى الكلام: فقال السائلون: من الميت؟ فقال المخبرون: الميت وزير فأجابوا عن المعنى دون اللفظ. والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القراء، متقاربتا المعنى، فبايتهما قرأ القارئ فمصيب. غير أنني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف، لإجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك سوى خط مصحف أهل البصرة.

### الآية : 88 - 89

القول في تأويل قوله تعالى: { قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ } .  
 يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا أمحمد: من بيده خزائن كل شيء؟ كما:

19407\_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ قال: خزائن كل شيء.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن مجاهد، في قول الله: قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ قال: خزائن كل شيء. وقوله: وَهُوَ يُجِيرُ مَنْ أَرَادَ مِمَّنْ قَصَدَهُ بِسُوءٍ. وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ يَقُولُ: وَلَا أَحَدٌ يَمْتَنِعُ مِمَّنْ أَرَادَهُ هُوَ بِسُوءٍ فَيُدْفَعُ عَنْهُ عَذَابُهُ وَعِقَابُهُ. إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ ذَلِكَ صَفْتُهُ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنْ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا لِلَّهِ. فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: قَائِي تُسْحَرُونَ يَقُولُونَ: فَمِنْ أَيِّ وَجْهِ تُصَرِّفُونَ عَنِ التَّصْدِيقِ بآيَاتِ اللَّهِ وَالْإِقْرَارِ بِأَخْبَارِهِ وَأَخْبَارِ رَسُولِهِ وَالْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ مَا يَشَاءُ وَعَلَى بَعْثِكُمْ أَحْيَاءَ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، مَعَ عِلْمِكُمْ بِمَا تَقُولُونَ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ؟

وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول في معنى قوله تُسْحَرُونَ ما:  
 19408\_ حدثني به علي، قال: حدثنا عبد الله قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: قَائِي تُسْحَرُونَ يَقُولُ: تكذبون. وقد بينت فيما مضى السحر: أنه تخيل الشيء إلى الناظر أنه على خلاف ما هو به من هيئته، فذلك معنى قوله: قَائِي تُسْحَرُونَ إنما معناه:

فمن أيّ وجه يُخَيَّلُ إليكم الكذب حقًا والفساد صحيحًا، فتصرفون عن الإقرار بالحقّ الذي يدعوكم إليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

## الآية : 90 - 92

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ أَدَّبْتَهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ \* عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }.

يقول: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله من أن الملائكة بناتُ الله وأن الآلهة والأصنام آلهة دون الله. بل أدبناهم بالحقّ اليقين، وهو الدين الذي ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم، وذلك الإسلام، ولا يُعْبَدُ شيء سوى الله لأنه لا إله غيره. وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ يقول: وإن المشركين لكاذبون فيما يضيفون إلى الله ويتحلّونه من الولد والشريك.

وقوله: ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ يقول تعالى ذكره: ما لله من ولد، ولا كان معه في القديم ولا حين ابتدئ الأشياء من تصلح عبادته، ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الأشياء من تصلح عبادته من إله إذا لَدَّهَبَ يقول: إذن لا اعتزل كل إله منهم بما خَلَقَ من شيء، فانفرد به، ولتغالبا، فلعلَّ بعضهم على بعض، وغلب القويّ منهم الضعيف لأن القويّ لا يرضى أن يعلّوه ضعيف، والضعيف لا يصلح أن يكون إلهًا. فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها لمن عقل وتدبر وقوله: إذا لَدَّهَبَ جواب لمحذوف، وهو: لو كان معه إله إذن لَدَّهَبَ كل إله بما خلق اجتزىء بدلالة ما ذكر عليه عنه، وقوله: سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ يقول تعالى ذكره: تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له ولدا، وعما قالوه من أن له شريكا، أو أن معه في القدم إلهًا يُعْبَد، تبارك وتعالى.

وقوله: عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ يقول تعالى ذكره: هو عالم ما غاب عن خلقه من الأشياء، فلم يَرَوْهُ ولم يشاهدوه، وما رأوه وشاهدوه. إنما هذا من الله خير عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين: اتخذ الله ولدا وعبدوا من دونه آلهة، أنهم فيما يقولون ويفعلون مُبْطِلُونَ مَخْطُؤُونَ، فإنهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم، بل عن جهل منهم به وإن العالم بقديم الأمور وبحديثها وشاهدها وغائبها عنهم، الله الذي لا يخفى عليه شيء، فخبره هو الحق دون خبرهم. وقال: عَالِمِ الْغَيْبِ فرفع على الابتداء، بمعنى: هو عالم الغيب، ولذلك دخلت الفاء في قوله: فَتَعَالَى كما يقال: مررت بأخيك المحسن فأحسنت إليه، فترفع المحسن إذا جعلت فأحسنت إليه بالفاء، لأن معنى الكلام إذا كان كذلك: مررت بأخيك هو المحسن، فأحسنت إليه. ولو جعل الكلام بالواو فقليل: وأحسنت إليه، لم يكن وجه الكلام في «المحسن» إلا الخفض على النعت للأخ، ولذلك لو جاء «فتعالى» بالواو كان وجه الكلام في عالم الغيب الخفض على الاتباع لإعراب اسم الله، وكان يكون معنى الكلام: سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى فيكون قوله: «وتعالى» حينئذٍ معطوفا على «سبحان الله». وقد يجوز الخفض مع الفاء، لأن العرب قد تبدأ الكلام بالفاء، كابتدائها بالواو. وبالخفض كان يقرأ: عَالِمِ الْغَيْبِ في هذا الموضع أبو عمرو، وعلى خلافه في ذلك قرأه الأمصار.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: الرفع, لمعنيين: أحدهما: إجماع الحجة من القراء عليه, والثاني: صحته في العربية. وقوله: فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ يقول تعالى ذكره: فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين, ووصفهم إياه بما يصفون.

### الآية : 93 - 95

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ \* رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ}. يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: رَبِّ إِنْ تُرِيئِي فِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مَا نَعِدُهُمْ مِنْ عَذَابِكَ فَلَا تَهْلِكْنِي بِمَا تَهْلِكُهُمْ بِهِ. ونجني من عذابك وسخطك فلا تجعلني في القوم المشركين ولكن اجعلني ممن رضيت عنه من أوليائك. وقوله: فَلَا تَجْعَلْنِي جَوَابَ لِقَوْلِهِ: إِمَّا تُرِيئِي اعترض بينهما بالنداء, ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك في الكلام, لا يقال: يا زيد فقم, ولا يا ربِّ فاغفر, لأن النداء مستأنف, وكذلك الأمر بعده مستأنف, لا تدخله الفاء والواو, إلا أن يكون جوابا لكلام قبله.

وقوله: وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ يقول تعالى ذكره: وإنا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم, لقادرون, فلا يخزئك تكذيبهم إياك بما نعدهم به, وإنما نوخر ذلك ليلعب الكتاب أجله.

### الآية : 96 - 98

القول في تأويل قوله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ \* وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ \* وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ}. يقول تعالى ذكره لنبيه: ادفع يا محمد بالحلّة التي هي أحسن, وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم, وذلك أمره إياه قبل أمره بحربهم. وعنى بالسيئة: أذى المشركين إياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله, يقول له تعالى ذكره: اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19409- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ قال: أَعْرَضَ عَنْ أَذَاهُمْ إِيَّاكَ.

19410- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن عبد الكريم الجَزْرِيِّ, عن مجاهد: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ قال: هو السلام, تُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيْتَهُ.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن عبد الكريم, عن مجاهد, مثله.

19411- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هُوْدَةَ, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ قال: والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا ويصفح عما يكره.

وقوله: تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ يقول تعالى ذكره: نحن أعلم بما يصفون الله به، وينحلونه من الأكاذيب والفرية عليه، وبما يقولون فيك من السوء، ونحن مجازوهم على جميع ذلك، فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح القول.

وقوله: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد رب أستجير بك من حنق الشياطين وهمزاتها، والهَمْز: هو العَمْز، ومن ذلك قيل للهمز في الكلام: هَمْزَة، والهَمْزَات جمع همزة.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19412- حدثني يونس، قال: أخبرني ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ قال: همزات الشياطين: حَنَقَهُم الناس، فذلك هَمْزَاتِهِمْ.

وقوله: وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ يقول: وقل أستجير بك رب أن يحضرون في أموري. كالذي:

19413- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ في شيء من أمري.

### الآية : 99 - 100

القول في تأويل قوله تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ }.

يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت، وعابن نزول أمر الله به، قال لعظيم ما يعابن مما يقدّم عليه من عذاب الله تنذّما على ما فات وتلهّفا على ما فرّط فيه قبل ذلك من طاعة الله ومسئلته للإقالة: رَبِّ ارْجِعُونِ إلى الدنيا فردّوني إليها، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا يقول: كي أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته وفرّطت فيه. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19414- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، قال: كان محمد بن كعب القرظي يقرأ علينا: حتى إذا جاء أحدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ قال محمد: إلى أي شيء يريد؟ إلى أي شيء يرغب؟ أجمع المال، أو عَرَس الغرايس، أو بُنِي بُنيان، أو شقّ أنهار؟ ثم يقول: لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ يقول الجبار: كلا.

19415- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: رَبِّ ارْجِعُونِ قال: هذه في الحياة الدنيا، ألا تراها يقول: حتى إذا جاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قال: حين تنقطع الدنيا ويعابن الآخرة، قبل أن يذوق الموت.

19416- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة: «إِذَا عَابَنَ الْمُؤْمِنُ الْمَلَائِكَةَ قَالُوا: تُرْجِعُكَ إِلَى الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: إِلَى دَارِ الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ؟ فَيَقُولُ: بَلْ قَدَّمَانِي إِلَى اللَّهِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُقَالُ: تُرْجِعُكَ؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ»... الآية.



19417- حَدَّثَ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرْنَا عُبَيْدًا، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ: يَعْنِي أَهْلَ الشَّرْكِ.

وقيل: «رب ارجعون»، فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى، ثم قيل: «ارجعون»، فصار إلى خطاب الجماعة، والله تعالى ذكره واحد. وإنما فعل ذلك كذلك، لأن مسألة القوم الرد إلى الدنيا إنما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحهم، كما ذكر ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله. وإنما ابتدئ بالكلام بخطاب الله جل ثناؤه، لأنهم استعاثوا به، ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة الرجوع والرد إلى الدنيا.

وكان بعض نحوِّي الكوفة يقول: قيل ذلك كذلك، لأنه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله: وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا فِي غَيْرِ مَكَانٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فجرى هذا على ذلك.

وقوله: كَلَّا يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَيَّ مَا قَالَ هَذَا الْمَشْرِكُ لَنْ يُرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَنْ يُعَادَ إِلَيْهَا. إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا يَقُولُ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: رَبِّ ارْجِعُونِ كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا يَقُولُ: هَذَا الْمَشْرِكُ هُوَ قَائِلُهَا. كما:

19418- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا لَا يَدُلُّهُ أَنْ يَقُولَهَا.

وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَخُ يَقُولُ: وَمَنْ أَمَامَهُمْ حَاجِزٌ يَحْجُزُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّجُوعِ، يَعْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَالْمَبْرُخُ وَالْحَاجِزُ وَالْمُهْلَةُ مَتَقَارِبَاتٌ فِي الْمَعْنَى.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19419- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثَنِي أَبِي، قَالَ: ثَنِي عَمِّي، قَالَ: ثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَخُ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ يَقُولُ: أَجَلٌ إِلَى حِينٍ.

19420- حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانَ، عَنْ أَشْعَثِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سَعِيدٍ، فِي قَوْلِهِ: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَخُ قَالَ: مَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

19421- حَدَّثَنِي أَبُو حَمِيدٍ الْجَمَّصِيُّ أَحْمَدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّوَةَ شَرِيحُ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَرْطَاةٌ، عَنْ أَبِي يَوْسُفَ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي أَمَامَةَ فِي جَنَازَةٍ، فَلَمَّا وُضِعَتْ فِي لِحْدِهَا، قَالَ أَبُو أَمَامَةَ: هَذَا بَرَزَخُ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ.

19422- حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاصِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَطَرٌ، عَنْ مَجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَخُ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ: مَا بَيْنَ الْمَوْتِ إِلَى الْبَعْثِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: بَرَزَخُ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ: جِبَابٌ بَيْنَ الْمَيِّتِ وَالرَّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنِي حَجَّاجٍ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ مِثْلَهُ.

19423- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَخُ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ: بَرَزَخُ بَقِيَّةُ الدُّنْيَا.



حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

19424- حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قال: البرزخ ما بين الموت إلى البعث.

19425- حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة.

### الآية : 101

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ}.

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ من النفختين أيتهما عني بها؟ فقال بعضهم: عني بها النفخة الأولى. ذكر من قال ذلك:

19426- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, قال: حدثنا عمرو بن مطرف, عن المنهال بن عمرو, عن سعيد بن جبير, أن رجلاً أتى ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ... الآية, وقال في آية أخرى: وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ فذلك في النفخة الأولى, فلا يبقى على الأرض شيء, (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ).  
1. فإنهم لما دخلوا الجنة أقيل بعضهم على بعض يتساءلون:

وأما قوله: وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ  
19427- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن السدي, في قوله: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ قال: في النفخة الأولى.

19428- حدثنا علي, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَعَلَا يَتَسَاءَلُونَ فذلك حين ينفخ في الصور, فلا حي يبقى إلا الله. وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ فذلك إذا بُعِثُوا فِي النْفَخَةِ الثَّانِيَةِ.

قال أبو جعفر: فمعنى ذلك على هذا التأويل: فإذا نفخ في الصور, فصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ, فلا أنساب بينهم يومئذ يتواصلون بها, ولا يتساءلون, ولا يتزاورون, فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم.

وقال آخرون: بل عني بذلك النفخة الثانية. ذكر من قال ذلك:

19429- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن هارون بن أبي وكيع, قال: سمعت زاذان يقول: أتيت ابن مسعود, وقد اجتمع الناس إليه في داره, فلم أقدر على مجلس, فقلت: يا أبا عبد الرحمن, من أجل أني رجل من العجم تحقّرني؟ قال: ادنُ قال: فدنوت, فلم يكن بيني وبينه جليس, فقال: «يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رؤوس الأولين والآخرين, قال: وينادي مناد: ألا إن هذا فلان ابن فلان, فمن كان له حق قبله فليأت إلى حقه, قال: فتفرح المرأة يومئذ أن يكون لها حق على ابنها أو على أبيها أو على أخيها أو على زوجها فلا أنساب بينهم يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ.

19430- حدثنا القاسم, قال حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن هارون بن عنترة, عن زاذان, قال: سمعت ابن مسعود يقول: «يؤخذ العبد أو الأمة يوم القيامة, فينصب على رؤوس الأولين والآخرين, ثم ينادي مناد, ثم ذكر نحوه, وزاد فيه: فيقول الربّ تبارك وتعالى للعبد: أعط هؤلاء حقوقهم فيقول: أي ربّ, قنيت الدنيا, فمن أين أعطيتهم؟ فيقول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة وأعطوا لكل إنسان بقدر طلبته فإن كان له فضلٌ مثقال حبة من خردل, ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة. ثم تلا ابن مسعود: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَبُؤْتٍ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا وَإِنْ كَانَ عَبْدًا شَقِيًّا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رينا, فنيت حسناته وبقي طالِبون كثير, فيقول: خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته, وضكوا له صكًا إلى النار».

19431- قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج: فَإِذَا تُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ قَالَ: لَا يُسْأَلُ أَحَدٌ يَوْمَئِذٍ بِنَسَبٍ شَيْئًا, وَلَا يَتَسَاءَلُونَ, وَلَا يَمْتُّ إِلَيْهِ بِرَحْمٍ.

19432- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني محمد بن كثير, عن حفص بن المغيرة, عن قتادة, قال: ليس شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعافه, مخافة أن يذوب له عليه شيء. ثم قرأ: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ.

19433- قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا الحكم بن سنان, عن سدوس صاحب السائري, عن أنس بن مالك, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ, نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَهْلِ الْعَرْشِ: يَا أَهْلَ النَّظَالِمِ تَدَارَكُوا مَظَالِمَكُمْ وَأَدْخُلُوا الْجَنَّةَ».

### الآية: 102 - 104

القول في تأويل قوله تعالى: { فَمَنْ تَقَلَّبَتْ مَوازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ حَقَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ \* تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فَمَنْ تَقَلَّبَتْ مَوازِينُهُ: موازين حسناته وخفت موازين سيئاته. فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ يعني الخالدون في جنات النعيم. وَمَنْ حَقَّتْ مَوازِينُهُ يَقُولُ: ومن خَفَّتْ موازين حسناته, فَرَجَحَتْ بِهَا مَوازِينُ سيئاته. فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَقُولُ: عَبَّوا أَنفُسَهُمْ حَظوظها من رحمة الله. فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ يَقُولُ: هم في نار جهنم. وقوله: تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ يَقُولُ: تَسْفَعُ وُجُوهَهُمُ النَّارَ. كما:

19434- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, قال: قال ابن عباس: تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ قَالَ: تَنْفَجُ. وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ وَالْكَلُوحُ: أَنْ تَتَقَلَّصَ الشَّفَتَانِ عَنِ الْأَسْنَانِ حَتَّى تَبْدُو الْأَسْنَانَ, كَمَا قَالَ الْأَعَشِيُّ:

وَلَهُ الْمُقَدَّمُ لَا مِثْلَ لَهْسَاعَةِ السِّدْقِ عَنِ النَّابِ كَلْحُ  
فتأويل الكلام: يَسْفَعُ وُجُوهَهُمُ لَهَبُ النَّارِ فَتُحْرِقُهَا, وَهُمْ فِيهَا مُتَقَلِّصُوا الشَّفَاهُ عَنِ الْأَسْنَانِ مِنْ إِحْرَاقِ النَّارِ وَجُوهَهُمْ.  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19435- حدثني عليّ، قال: ثني عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: وَهُمْ فِيهَا كَالْحُورِ يَقُول: عابسون.

19436- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن، قالوا: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص عن عبد الله، في قوله: وَهُمْ فِيهَا كَالْحُورِ قَالَ: ألم تر إلى الرأس المشيط قد بدت أسنانه وقلّصت شفّته؟.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص عن عبد الله، قرأ هذه الآية: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ... الآية، قال: ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار وقد قلّصت شفّته وبدت أسنانه؟.

19437- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَهُمْ فِيهَا كَالْحُورِ قَالَ: ألم تر إلى الغنم إذا مست النار وجوهها كيف هي؟.

### الآية : 105 - 106

القول في تأويل قوله تعالى: { أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ \* قَالُوا رَبَّنَا عَلَّيْنَا شِفُوقُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ }.

يقول تعالى ذكره: يقال لهم: أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ يعني آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا، فَكُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ. وترك ذكر «يقال» لدلالة الكلام عليه. قَالُوا رَبَّنَا عَلَّيْنَا شِفُوقُنَا اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: عَلَّيْنَا شِفُوقُنَا بكسر الشين، وبغير ألف. وقراءته عامة قراء أهل الكوفة: «شِفَاوُنَا» بفتح الشين والألف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان، وقرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء بمعنى واحد، فبايتهما قرأ القارئ فمصيبٌ وتأويل الكلام: قالوا: ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخط لنا في أم الكتاب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19438- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، قوله: عَلَّيْنَا شِفُوقُنَا قال: التي كتبت علينا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: عَلَّيْنَا شِفُوقُنَا التي كتبت علينا. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

19439- وقال: قال ابن جريج: «بلغنا أن أهل النار نادوا حَرَنَ جهنم: أَنْ ادْعُوا رَبَّكُمْ يخفف عنا يوماً من العذاب فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا: ادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال. قال: ثم نادوا مالكا: يا مالكا ليقض علينا ربك فسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة، ثم أجابهم فقال: إِنَّكُمْ مَا كُنتُمْ. ثم نادى الأشقياء ربهم، فقالوا: رَبَّنَا عَلَّيْنَا شِفُوقُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا

فإِنَّا ظَالِمُونَ فَسَكَتَ عَنْهُمْ مِثْلَ مِقْدَارِ الدُّنْيَا، ثُمَّ أَجَابَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ.

19440\_ قال: ثنا حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، قال: «ينادي أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله، ثم يقول: أجيوبهم وقد قطع الرَّحِمَ والرحمة. فيقول أهل الجنة: يا أهل النار عليكم غضب الله يا أهل النار عليكم لعنة الله يا أهل النار، لا لبيكم ولا سَعَدَيْكُمْ ماذا تقولون؟ فيقولون: ألم نك في الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم؟ فيقولون: بلى. فيقولون: أفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُوا إِنَّ اللّهُ خَرَّمَهُمَا عَلَى الكَافِرِينَ».

19441\_ قال: ثنا حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي قال: وثني عبدة المُرُوزِيّ، عن عبد الله بن المبارك، عن عمرو بن أبي ليلى، قال: سمعت محمد بن كعب، زاد أحدهما على صاحبه، قال محمد بن كعب: بلغني، أو دُكر لي، أن أهل النار استغاثوا بالحرّة، ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردّوا عليهم ما قال الله فلما أيسوا نادوا: يا مالك وهو عليهم، وله مجلس في وسطها، وجسور تمرّ عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها فقالوا: يا مالك، ليقض علينا ربك سألوا الموت. فمكث لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سني الآخرة، أو كما قال. ثم انحط إليهم، فقال: إِنَّكُمْ مَا كَثُرْتُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ قَالُوا: فاصبروا، فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله قال: فصبروا، فطال صبرهم، فنادوا: سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنَ مَحِيصٍ: أَي مَنَجَى، فقام إبليس عند ذلك فخطبهم، فقال: إِنَّ اللّهُ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الحَقُّ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا مَقَالَتَهُمْ، مَقَتُوا أَنفُسَهُمْ، قَالَ: فَنُودُوا: لَمَقَتُ اللّهُ أَكْبَرَ مِنْ مَقَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا... الآية، قال: فيجيبهم الله فيها: ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللّهُ وَخَدَّهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلّهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ. قال: فيقولون: ما أيسنا بعد قال: ثم دَعُوا مَرَّةً أُخْرَى، فيقولون: رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ قال: فيقول الربّ تبارك وتعالى: وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى يَقُولُ الرَّبُّ: لَوْ شِئْتُ لَهَدَيْتُ النَّاسَ جَمِيعًا فَلِمَ يَخْتَلِفُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلَكِنَّ حَقَّ القَوْلِ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ فَذُوقُوا بِمَا تَسِيئْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا يَقُولُ: بِمَا تَرَكْتُمْ أَنْ تَعْمَلُوا لِيَوْمِكُمْ هَذَا، إِنَّا نَسِينَاكُمْ: أَي تَرَكْنَاكُمْ، وَذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. قال: فيقولون: ما أيسنا بعد قال: فيدعون مرّة أخرى: رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَبِيعِ الرِّسْلِ قال: فيقال لهم: أَوْ لِمَ تَكُونُوا أَفْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ رَوْالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ... الآية، قال: فيقولون: ما أيسنا بعد ثم قالوا مرّة أخرى: رَبَّنَا أَخْرِنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ، قال: فيقول: أَوْ لِمَ تُعَمَّرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرٍ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ... إلى: تَصِيرُ، ثم مكث عنهم ما شاء الله، ثم ناداهم: أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ فلما سمعوا ذلك قالوا: الآن يرحمنا فقالوا عند ذلك: رَبَّنَا عَلَبْتُ عَلَيْنَا شِفْوَتُنَا: أَي الكتاب الذي كتب علينا وكُنَّا قَوْمًا صَالِحِينَ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مِنْهَا... الآية، فقال عند ذلك: أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ قال: فلا يتكلمون فيها أبدا. فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم، وأقبل بعضهم

ينبح في وجه بعض، فأطبقت عليهم. قال عبد الله بن المبارك في حديثه: فحدثني الأزهر بن أبي الأزهر أنه قال: فذلك قوله: هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ قَيْعَتِزُونَ.

19442- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، أنه قال: فوالذي أنزل القرآن على محمد والتوراة على موسى والإنجيل على عيسى، ما تكلم أهل النار كلمة بعدها إلا الشهيق والزّعيق في الخلد أبدا ليس له نفاذ.

19443- قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، قال: كنا في جنازة ومعنا أبو جعفر القاريء، فجلسنا، فتنحى أبو جعفر، فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أبا جعفر؟ قال: أخبرني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون. وقوله: وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ يَقُولُ: كُنَّا قَوْمًا ضَلَّلْنَا عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ وَقَصَدَ الْحَقَّ.

### الآية : 107 - 108

القول في تأويل قوله تعالى: { رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ \* قَالَ أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ }.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل الذين خفت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم: ربنا أخرجنا من النار، فإن عدنا لما تكره منا من عمل فإننا ظالمون.

وقوله: قَالَ أَحْسَنُوا فِيهَا يقول تعالى ذكره: قال الرب لهم جل ثناؤه مجيباً: أَحْسَنُوا فِيهَا أي اقعدوا في النار. يقال منه: خَسَأْتُ فلانا أَحْسَوهُ خَسَأً وَخُسُوءًا، وَخَسِءٌ هُوَ يَخْسَأُ وَمَا كَانَ خَاسِئًا وَلَقَدْ خَسِءٌ. وَلَا تُكَلِّمُونَ فعند ذلك أيس المساكين من الفرج ولقد كانوا طامعين فيه كما:

19444- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيٍّ، قال: حدثنا سفيان، عن سَلَمَةَ بن كَهَيْلٍ، قال: ثني أبو الزُّعْرَاءِ، عن عبد الله، في قصة ذكرها في الشفاعة، قال: فإذا أراد الله ألا يُخْرَجَ منها يعني من النار أحداً، غير وجوههم وألوانها، فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيهم، فيقول: يا رب فيقول: من عرف أحداً فليخرجه قال: فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحداً، فيقول: يا فلان يا فلان فيقول: ما أعرفك. فعند ذلك يقولون: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ فيقول: أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ فإذا قالوا ذلك، انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر.

19445- حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن الأعمش، عن عمرو بن مُرَّة، عن شهر ابن حوشب، عن معدي كرب، عن أبي الدرداء، قال: يُرْسَلُ أو يصب على أهل النار الجوع، فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بالصريع الذي لا يُسْمِنُ ولا يُغْنِي من جوع، فلا يغني ذلك عنهم شيئاً. فيستغيثون، فيغاثون بطعام ذي عُصَّة، فإذا أكلوه تشب في حلوقهم، فيذكرون أنهم كانوا في الدنيا يحدرون العصاة بالماء. فيستغيثون، فيرفع إليهم الحميم في كلاليب الحديد، فإذا انتهى إلى وجوههم شوى وجوههم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم. قال: فينادون مالكا: لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ: فيتركهم ألف سنة، ثم يجيبهم: إنكم ما كنتم. قال: فينادون حَزَنَةَ جهنم: ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا: أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟ قالوا: بلى. قالوا: فادعوا، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال قال: فيقولون ما نجد أحداً لنا

من ربنا، فينادون ربهم: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ. قال: فيقول الله: أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ. قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير، فيذْعُونَ بالويل والشهيق والنبور.

19446- حدثني محمد بن عُمارة الأَسديّ، قال: حدثنا عاصم بن يوسف اليربوعيّ، قال: حدثنا قُطبة بن عبد العزيز الأَسديّ، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أمّ الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ»... ثم ذكر نحواً منه.

19447- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القُمي، عن هارون بن عنترة، عن عمرو بن مَرّة، قال: يرى أهل النار في كل سبعين عاماً ساق مالك خازن النار، فيقولون: يا مالك لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبِّكَ فَيَجِيبُهُمْ بكلمة. ثم لا يرونها سبعين عاماً، فيستغيثون بِالْحَزْنَةِ، فيقولون لهم: ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب فيجيبونهم: أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ... الآية. فيقولون: ادعوا ربكم، فليس أحد أرحم من ربكم فيقولون: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ. قال: فيجيبهم: أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ. فعند ذلك ييأسون من كل خير، ويأخذون في الشهيق والويل والنبور.

19448- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ قال: بلغني أنهم ينادون مالكا فيقولون: ليقض علينا ربك فيسكت عنهم قدر أربعين سنة، ثم يقول: إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ. قال: ثم ينادون ربهم، فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يقول: أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ. قال: فييأس القوم، فلا يتكلمون بعدها كلمة، وكان إنما هو الزفير والشهيق. قال قتادة: صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار: أَوَّلُهُ زفير، وآخره شهيق.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

19449- حدثنا الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن عيسى، قال: أخبرني زياد الخراسانيّ، قال: أسنده إلى بعض أهل العلم، فنسبته، في قوله: أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ قال: فيسكتون، قال: فلا يسمع فيها جس إلا كطين الطست.

19450- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ هذا قول الرحمن عز وجل، حين انقطع كلامهم منه.

### الآية : 109

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ قَرِيْقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}.

يقول تعالى ذكره: إِنَّهُ وهذه الهاء في قوله «إنه» هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة. وقد بينت معناها فيما مضى قبل، ومعنى دخولها في الكلام، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. كَانَ قَرِيْقٌ مِّنْ عِبَادِي يقول: كانت جماعة من عبادي، وهم أهل الإيمان بالله، يقولون في الدنيا: رَبَّنَا آمَنَّا بِكَ وَبِرِسْلِكَ، وما جاءوا به من عندك. فَاغْفِرْ لَنَا دُنُوبَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خير من رحم أهل البلاء، فلا تعدبنا بعذابك.



## الآية : 110 - 111

القول في تأويل قوله تعالى: { فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ \* إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ } .  
يقول تعالى ذكره: فاتخذتم أيها القائلون لربهم ربنا علبت علينا شقوتنا وكنا قوما صالحين في الدنيا، القائلين فيها ربنا أمنا فاعفّر لنا وأرحمنا وأنت خير الراحمين سُخْرِيًّا. والهاء والميم في قوله: فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ من ذكر الفريق.

واختلفت القراء في قراءة قوله: سُخْرِيًّا فقرأه بعض قراء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة: فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا بكسر السين، ويتأولون في كسرها أن معنى ذلك الهزء، ويقولون: إنها إذا ضمت فمعنى الكلمة: السخرة والاستعباد. فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء: فاتخذهم أهل الإيمان بي في الدنيا هزواً ولعباً، تهزءون بهم، حتى أنسوكم ذكري. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة: «فاتخذتموهم سُخْرِيًّا بضم السين، وقالوا: معنى الكلمة في الضم والكسر واحد. وحكى بعضهم عن العرب سماعاً لَجِيٍّ وَلَجِيٍّ، وَدِرِيٍّ، وَدُرِيٍّ، منسوب إلى الدر، وكذلك كِرْسِيٍّ وَكِرْسِيٍّ وقالوا ذلك من قيلهم كذلك: نظير قولهم في جمع العصا: العِصِيَّ بكسر العين، والعُصِيَّ بضمها قالوا: وإنما اخترنا الضم في السُخْرِيٍّ، لأنه أفصح اللغتين.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب. وليس يُعرف من فرق بين معنى ذلك إذا كسرت السين وإذا ضمت، لما ذكرت من الرواية عن سمع من العرب ما حكيت عنه.

ذكر الرواية به عن بعض من فرّق في ذلك بين معناه مكسورة سینه ومضمومة:

19451- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا قال: هما مختلفتان: سِخْرِيًّا، وَسُخْرِيًّا، يقول الله: وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سِخْرِيًّا قال: هذا سِخْرِيًّا: يُسَخَّرُونَهُمْ، والآخرون: الذين يستهزئون بهم هم «سُخْرِيًّا»، فتلك «سِخْرِيًّا» يُسَخَّرُونَهُمْ عندك، فسُخْرِك: رفعك فوقه والآخرون: استهزءوا بأهل الإسلام هي «سُخْرِيًّا» يُسَخَّرُونَ مِنْهُمْ، فهما مختلفتان. وقرأ قول الله: كَلِمًا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَّرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَّرُونَ وقال: يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح، «اتخذوهم سُخْرِيًّا»: اتخذوهم هزواً، لم يزالوا يستهزئون بهم.

وقوله: حتى أنسوكم ذكري يقول: لم يزل استهزأؤكم بهم، أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري، فالهاكم عنه. وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ، كما:

19452- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: حتى أنسوكم ذكري قال: أنسى هؤلاء الله استهزأؤهم بهم وضحكهم بهم. وقرأ: إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَصْحَكُونَ حتى بلغ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَصَالُونَ.

وقوله: إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا يقول تعالى ذكره: إِنِّي أَبْهَأُ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ الْمُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، جَزَيْتُ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ فِي



الدنيا سخرتاً من أهل الإيمان بي، وكنتم منهم تضحكون. اليوم بما صَبَرُوا على ما كانوا يَلْقَوْنَ بينكم من أذى سخرتكم وضحككم منهم في الدنيا. إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ.

اختلفت القراء في قراءة: «إِنَّهُمْ» فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: أَنَّهُمْ، بفتح الألف من «أنهم» بمعنى: جزيتهم هذا. ف«أَنَّ» في قراءة هؤلاء: في موضع نصب بوقوع قوله: «جزيتهم» عليها، لأن معنى الكلام عندهم: إني جزيتهم اليوم الفوز بالجنة. وقد يحتمل النصب من وجه آخر، وهو أن يكون موجّهاً معناه إلى: إني جزيتهم اليوم بما صبروا، لأنهم هم الفائزون بما صبروا في الدنيا علي ما لُقُوا في ذات الله. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: «إِنِّي» بكسر الألف منها، بمعنى الابتداء، وقالوا: ذلك ابتداء من الله مدحهم.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الألف، لأن قوله: «جزيتهم»، قد عمل في الهاء والميم، والجزاء إنما يعمل في منصوبين، وإذا عمل في الهاء والميم لم يكن له العمل في «أَنَّ» فيصير عاملاً في ثلاثة إلا أن يُنَوَّى به التكرير، فيكون نصب «أَنَّ» حينئذٍ بفعل مضمر لا بقوله: «جزيتهم»، وإن هي نصبت بإضمار لام لم يكن له أيضاً كبير معنى لأن جزاء الله عباده المؤمنين بالجنة، إنما هو على ما سَلَفَ من صالح أعمالهم في الدنيا وجزاؤه إياهم وذلك في الآخرة هو الفوز، فلا معنى لأن يَشْرُطَ لهم الفوز بالأعمال ثم يخبر أنهم إنما فازوا لأنهم هم الفائزون.

فتأويل الكلام إذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا: إني جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا في الدنيا على أذاكم بها، في أنهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم والكرامة الباقية أبداً، بما عملوا من صالحات الأعمال في الدنيا ولقوا في طلب رضي من المكاره فيها.)

### **الآية : 112 - 113**

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ \* قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَاسْأَلِ الْعَادِيْنَ }.

اختلفت القراء في قراءة قوله: كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ، وفي قوله: لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَةً قَرَاءَ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضَ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَلَى وَجْهِ الْخَيْرِ: قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ، وكذلك قوله: قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ. وَوَجْهَ هَؤُلَاءِ تَأْوِيلِ الْكَلَامِ إِلَى أَنْ اللَّهُ قَالَ لَهُؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَهُمْ فِي النَّارِ: كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ وَأَنَّهُمْ أَجَابُوا اللَّهَ فَقَالُوا: لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، فَنَسِيَ الْأَشْقِيَاءِ، لِعَظِيمِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ، مَدَّةَ مَكْتَبِهِمُ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَقَصُرَ عِنْدَهُمْ أَمَدُ مَكْتَبِهِمُ الَّذِي كَانَ فِيهَا، لِمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ نِقْمَةِ اللَّهِ، حَتَّى حَسَبُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَكْتُوبًا فِيهَا إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، وَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ كَانَ قَدْ مَكَّتْ فِيهَا الزَّمَانَ الطَّوِيلَ وَالسِّنِينَ الْكَثِيرَةَ.

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة على وجه الأمر لهم بالقول، كأنه قال لهم قولوا كم لبئتم في الأرض؟ وأخرج الكلام مُخْرَجَ الْأَمْرِ لِلوَاحِدِ وَالْمَعْنَى بِهِ الْجَمَاعَةُ، إِذْ كَانَ مَفْهُومًا مَعْنَاهُ. وَإِنَّمَا اخْتَارَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ مِنْ اخْتَارَهَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ فِي مَصَاحِفِهِمْ: «قُلْ» بِغَيْرِ أَلْفٍ، وَفِي غَرِّ مَصَاحِفِهِمْ بِالْأَلْفِ.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ذلك: قال كم لبيتم على وجه الخبر، لأن وجه الكلام لو كان ذلك أمرا، أن يكون «قولوا» على وجه الخطاب للجمع لأن الخطاب فيما قبل ذلك وبعده جرى لجماعة أهل النار، فالذي هو أولى أن يكون كذلك قوله: «قولوا» لو كان الكلام جاء على وجه الأمر، وإن كان الآخر جائزا، أعني التوحيد، لما بيئت من العلة لقارىء ذلك كذلك، وجاء الكلام بالتوحيد في قراءة جميع القراء، كان معلوما أن قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبه، إذ كان ذلك هو الفصح المعروف من كلام العرب. فإذا كان ذلك ذلك، فتأويل الكلام: قال الله كم لبيتم في الدنيا من عدد سنين؟ قالوا مجيبين له: لبتنا فيها يوما أو بعض يوم فاسأل العاديين، لأننا لا ندرى، قد نسينا ذلك. واختلف أهل التأويل في المعنى بالعاديين، فقال بعضهم: هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحضون عليهم ساعاتهم. ذكر من قال ذلك:

19453- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: فاسأل العاديين قال: الملائكة. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: بل هم الحُساب. ذكر من قال ذلك:  
19454- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: فاسأل العاديين قال: فاسأل الحُساب.  
حدثنا الحسين بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: فاسأل العاديين قال: فاسأل أهل الحساب.  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: فاسأل العاديين وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك. وجائز أن يكونوا الملائكة، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم، ولا حجة بأي ذلك من أي ثبتت صحتها فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العاديين دون بعض.

### الآية: 114 - 115

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ إِنْ لَبِيتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}.  
اختلفت القراء في قراءة قوله: قَالَ إِنْ لَبِيتُمْ إِلَّا قَلِيلًا اختلفهم في قراءة قوله: قَالَ كَمْ لَبِيتُمْ. والقول عندنا في ذلك في هذا الموضع نحو القول الذي بيناه قبل في قوله: كَمْ لَبِيتُمْ. وتأويل الكلام على قراءتنا: قال الله لهم: ما لبيتم في الأرض إلا قليلا يسيرا لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبيتم فيها.

وقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا يقول تعالى ذكره: أفحسبتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم لعبا وباطلا، وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون؟. وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة: لَا تُرْجَعُونَ بضم التاء: لا تُرْدُونَ، وقالوا: إنما هو من مَرَجِ الآخرة

لا من الرجوع إلى الدنيا. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «لا تَرْجِعُونَ» وقالوا: سواء في ذلك مرجع الآخرة والرجوع إلى الدنيا. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان متقاربتا المعنى لأن من رده الله إلى الآخرة من الدنيا بعد فناءه فقد رَجَعَ إليها، وأن من رجع إليها فبرّد الله إياه إليها رجع. وهما مع ذلك قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19455\_ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا قال: باطلاً.

### الآية : 116

القول في تأويل قوله تعالى: { فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ }.

يقول تعالى ذكره: فتعالى الله الملك الحقّ عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له شريكا، وعما يضيفون إليه من اتخاذ البنات. لا إله إلاّ هو يقول: لا معبود تنبغي له العبادة إلاّ الله الملك الحقّ ربّ العرش الكريم والربّ: مرفوع بالردّ على الحقّ، ومعنى الكلام: فتعالى الله الملك الحقّ، ربّ العرش الكريم، لا إله إلا هو.

### الآية : 117

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له معبودا آخر، لا حجة له بما يقول ويعمل من ذلك ولا بينة. كما:

19456\_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ قال: بينة.

19457\_ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد: لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ قال: حجة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله: لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ قال: لا حجة.

وقوله: فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ يَقُولُ: فإنما حساب عمله السيّء عند ربه، وهو موقّيه جزاءه إذا قدم عليه. إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ يقول: إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم.

### الآية : 117

القول في تأويل قوله تعالى:

**{ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ }.**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد ربّ استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها وارحمني بقبول توبتك وترك عقابي على

ما احترمت. وأنتَ خَيْرُ الرَّاجِمِينَ يقول: وقل أنت يا ربّ خير من رحم ذا ذنب فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه.

## سورة النور

مدنية  
وآياتها أربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

### الآية : 1

{سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَقَرَّضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}.

قال أبو جعفر: يعني بقوله تعالى ذكره: سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وهذه السورة أنزلناها. وإنما قلنا معنى ذلك كذلك، لأن العرب لا تكاد تبتدىء بالانكرات قبل أخبارها إذا لم تكن جواباً، لأنها توصل كما يوصل «الذي»، ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة، فيستقبح الابتداء بها قبل الخبر إذا لم تكن موصولة، إذ كان يصير خبرها إذا ابتدء بها كالصلة لها، ويصير السامع خبرها كالمتوقع خبرها بعد إذ كان الخبر عنها بعدها كالصلة لها. وإذا ابتدء بالخبر عنها قبلها، لم يدخل الشك على سامع الكلام في مراد المتكلم. وقد بيّنا فيما مضى قبل أن السورة وصف لما ارتفع بشواهد فاعنى ذلك عن إعادته في هذا الموضوع.

وأما قوله: وَقَرَّضْنَاهَا فإن القراء اختلقت في قراءته، فقرأه بعض قراء الحجاز والبصرة: «وَقَرَّضْنَاهَا» وبتأويله: وفضلناها ونزلنا فيها فرائض مختلفة. وكذلك كان مجاهد يقرؤه وبتأوله.

19458- حدثني أحمد بن يوسف، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا ابن مهدي، عن عبد الوارث بن سعيد، عن حميد، عن مجاهد، أنه كان يقرؤها: «وَقَرَّضْنَاهَا» يعني بالتشديد.

19459- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: «وَقَرَّضْنَاهَا» قال: الأمر بالحلال، والنهي عن الحرام.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقد يحتمل ذلك إذا قرىء بالتشديد وجها غير الذي ذكرنا عن مجاهد، وهو أن يوجه إلى أن معناه: وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم من الناس إلى قيام الساعة. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والشام: وَقَرَّضْنَاهَا بتخفيف الراء، بمعنى: أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم وألزمناكموه وبيّنا ذلك لكم.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وذلك أن الله قد فصلها، وأنزل فيها ضروبا من الأحكام، وأمر فيها ونهى، وفرض على عباده فيها فرائض، ففيها المعنيان كلاهما: التفريض، والفرض فلذلك

قلنا بأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب. ذكر من تأول ذلك  
بمعنى القرض والبيان من أهل التأويل:

19460- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن  
عليّ، عن ابن عباس، في قوله: وَقَرَّضْنَاهَا يَقُول: بينها.

19461- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في  
قوله: سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَقَرَّضْنَاهَا قَالَ: فرَضْنَاهَا لهذا الذي يتلوها مما فرض  
فيها. وقرأ فيها: آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

وقوله: وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ يقول تعالى ذكره: وأنزلنا في هذه  
السورة علامات ودلالات على الحق بينات، يعني واضحات لمن تأملها  
وفكر فيها بعقل أنها من عند الله، فإنها الحق المبين، وإنها تهدي إلى  
الصراط المستقيم.

19462- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن  
جرير: وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ قَالَ: الحلال والحرام والحدود. لَعَلَّكُمْ  
تَذَكَّرُونَ يقول: لتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها.

## الآية: 2

القول في تأويل قوله تعالى: {الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا  
مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَلَيْسَ لَهُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}.

يقول تعالى ذكره: من زنى من الرجال أو زنت من النساء، وهو حُرٌّ يَكُرُّ  
غير مُحْصَنٍ بزوجه، فاجلدوه ضرباً مئة جلة عقوبة لما صنع وأتى من  
معصية الله. وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ يقول تعالى ذكره: لا  
تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رأفة، وهي رقة الرحمة في دين  
الله، يعني في طاعة الله فيما أمركم به من إقامة الحدّ عليهما على ما  
ألزكم به.

واختلف أهل التأويل في المنهيّ عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما،  
فقال بعضهم: هو ترك إقامة حدّ الله عليهما، فأما إذا أقيم عليهما الحدّ  
فلم تأخذهم بهما رأفة في دين الله. ذكر من قال ذلك:

19463- حدثنا أبو هشام، قال: حدثنا يحيى بن أبي زائدة، عن نافع بن

عمر، عن ابن أبي مُليحة، عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، قال: جلد

ابن عمر جارية له أحدثت، فجلد رجلها قال نافع: وحسبت أنه قال:  
وظهرها فقلت: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ فقال: وأخذتني بها  
رأفة، إن الله لم يأمرني أن أقتلها.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عُلية، عن ابن جرير، قال: سمعت عبد  
الله بن أبي مليكة يقول: ثني عبيد الله بن عبد الله بن عمر، أن عبد الله  
بن عمر حدّ جارية له، فقال للجالد، وأشار إلى رجلها وإلى أسفلها، قلت:  
فأين قول الله: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ قال: أفأقتلها؟

19464- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان،

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ فقال:  
أن تقيم الحدّ.

19465- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، ابن جرير:  
وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ قال: لا تضيعوا حدود الله.

قال ابن جُرَيْجٍ: وقال مجاهد: لا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ: لا تضيعوا الحدود في أن تقيموها. وقالها عطاء بن أبي رباح.

19466- حدثنا أبو هشام, قال: حدثنا عبد الملك وحجاج, عن عطاء: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ قَالَ: يقام حدُّ الله ولا يعطل, وليس بالقتل.

19467- حدثنا ابن المثنى, قال: ثني محمد بن فضيل, عن داود, عن سعيد بن جبير, قال: الجلد.

19468- حدثني عبيد بن إسماعيل الهَبَّارِيُّ, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن المغيرة, عن إبراهيم, في قوله: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ قَالَ: الضرب.

19469- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت عمران, قال: قلت لأبي مجلز: الرَّانِيَّةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا... إلى قوله: وَالْيَوْمِ الْآخِرِ إِنَّا لَنرَحْمُهُمْ أَنْ يَجْلِدَ الرَّجُلَ حَدًّا, أو تقطع يده. قال: إنما ذاك أنه ليس للسلطان إذا رفعوا إليه أن يدعمهم رحمة لهم حتى يقيم الحدَّ.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد, في قوله: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ قَالَ لا تقام الحدود.

19470- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فتدعوها من حدود الله التي أمر بها وافترضها عليهما.

19471- قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا ابن لهيعة, عن خالد بن أبي عمران, أنه سأل سليمان بن يسار, عن قول الله: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ أَي فِي الْحُدُودِ أَوْ فِي الْعُقُوبَةِ؟ قال: ذلك فيهما جميعا. حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأُمَلِيُّ, قال: حدثنا يحيى بن زكريا, عن عبد الملك بن أبي سليمان, عن عطاء في قوله: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ قَالَ: أن يقام حدُّ الله ولا يعطل, وليس بالقتل.

19472- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن عامر في قوله: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ قَالَ: الضرب الشديد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فَتُحَقِّقُوا الضرب عنهما, ولكن أو جعوهما ضربا. ذكر من قال ذلك:

19473- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن أبي بكر, قال: حدثنا أبو جعفر, عن قتادة, عن الحسن وسعيد ابن المسيب: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ قَالَ: الجلد الشديد.

19474- قال: حدثنا محمد بن جعفر, عن شعبة, عن حماد, قال: يُحَدُّ الْقَازِفُ وَالْمِشَارِبُ وَعَلَيْهِمَا ثِيَابُهُمَا. وَأَمَّا الزَّانِي فَتُخْلَعُ ثِيَابُهُ. وتلا هذه الآية: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ فَقُلْتُ لِحَمَادٍ: أَهَذَا فِي الْحُكْمِ؟ قال: في الحكم والجلد.

19475- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهري, قال: يجتهد في حدِّ الزاني والفرية, ويخفف في حدِّ الشرب. وقال قتادة: يخفف في الشراب, ويجتهد في الزاني.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا تأخذكم بهما رأفة في إقامة حدّ الله عليهما الذي افترض عليكم إقامته عليهما. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لدلالة قول الله بعده: «في دين الله»، يعني في طاعة الله التي أمركم بها. ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين: إقامة الحدّ عليهما، على ما أمر من جلد كل واحد منهما مئة جلدة، مع أن الشدّة في الضرب لا حدّ لها يوقف عليه، وكلّ ضرب أوجع فهو شديد، وليس للذي يوجع في الشدّة حدّ لا زيادة فيه فيؤمر به وغير جائز وصفه جلّ ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأمور به إلى معرفته. وإذا كان ذلك كذلك، فالذي للمأمورين إلى معرفته السبيل هو عدد الجلد على ما أمر به، وذلك هو إقامة الحدّ على ما قلنا. وللعرب في الرأفة لغتان: الرأفة بتسكين الهمزة، والرأفة بمدّها، كالسامة والسامة، والكأبة والكأبة. وكان الرأفة المرّة الواحدة، والرأفة المصدر، كما قيل: صَوْلُ ضَالَةٍ مِثْلَ قَعْلٍ فَعَالَةٍ، وَقَبْحٌ قَبَاحَةٍ.

وقوله: إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَقُولُ: إِنْ كُنْتُمْ تَصَدِّقُونَ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْتُمْ فِيهِ مَبْعُوثُونَ لِحُشْرِ الْقِيَامَةِ وَلِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَإِنْ مِنْكُمْ مَنْ كَانَ بِذَلِكَ مُصَدِّقًا فَإِنَّهُ لَا يَخَالِفُ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ خَوْفَ عِقَابِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ. وقوله: وَلَيَشْهَدَنَّ عَدَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يقول تعالى ذكره: وليحضر جلد الزانيين اليكربن وحدّهما إذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين. والعرب تسمي الواحد فما زاد. طائفة. مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يقول: من أهل الإيمان بالله ورسوله.

وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ عدد الطائفة الذي أمر الله بشهود عذاب الزانيين اليكربن، فقال بعضهم: أقله واحد. ذكر من قال ذلك:

19476- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الطائفة: رجل.

حدثنا علي بن سهل بن موسى بن إسحاق الكنانيّ وابن القوّاس، قال: حدثنا يحيى بن عيسى، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: وَلَيَشْهَدَنَّ عَدَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قال: الطائفة رجل. قال عليّ: فما فوق ذلك وقال ابن القوّاس: فأكثر من ذلك.

حدثنا عليّ، قال: حدثنا زيد، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الطائفة: رجل.

حدثنا يعقوب، قال: حدثنا ابن عُليّة، قال: قال ابن أبي نجيح: وَلَيَشْهَدَنَّ عَدَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قال مجاهد: أقله رجل.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد، في قوله: وَلَيَشْهَدَنَّ عَدَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قال: الطائفة: الواحد إلى الألف.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد في هذه الآية: وَلَيَشْهَدَنَّ عَدَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قال: الطائفة واحد إلى الألف وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا.

19477- حدثنا ابن المثنى، قال: ثني وهب بن جرير، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد، قال: الطائفة: الرجل الواحد إلى الألف، قال: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا: إنما كانا رجلين.



19478- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: سمعت عيسى بن يونس, يقول: حدثنا النعمان بن ثابت, عن حماد وإبراهيم قالا: الطائفة: رجل.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد, في قوله: وَلَيْشْهَدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قال: الطائفة: رجل واحد فما فوقه.

وقال آخرون: أقله في في هذا الموضوع رجلان. ذكر من قال ذلك: 19479- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلية, قال: حدثنا ابن أبي نجیح, في قوله: وَلَيْشْهَدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قال: قال عطاء: أقله رجلان.

19480- حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة قال: ليحضر رجلان فصاعداً.

وقال آخرون: أقل ذلك ثلاثة فصاعداً. ذكر من قال ذلك:

19481- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن ابن أبي ذئب, عن الزهري, قال: الطائفة: الثلاثة فصاعداً.

19482- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَلَيْشْهَدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قال: نفر من المسلمين.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

19483- حدثني أبو السائب, قال: حدثنا حفص بن غياث, قال: حدثنا أشعث, عن أبيه, قال: أتيت أبا بَرِّزَةَ الأَسلمي في حاجة وقد أخرج جارية إلى باب الدار وقد زنت, فدعا رجلاً فقال: اضربها خمسين فدعا جماعة, ثم قرأ: وَلَيْشْهَدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

19484- حدثنا أبو هشام الرفاعي, قال: حدثنا يحيى, عن أشعث, عن أبيه, أن أبا بَرِّزَةَ أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ضرباً غير مبرح, قال: فالقى عليها ثوباً وعنده قوم, وقرأ: وَلَيْشْهَدُ عَدَابَهُمَا الآية. وقال آخرون: بل أقل ذلك أربعة. ذكر من قال ذلك:

19485- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَيْشْهَدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قال: فقال: الطائفة التي يجب بها الحد أربعة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين: الواحد فصاعداً وذلك أن الله عم بقوله: وَلَيْشْهَدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ والطائفة: قد تقع عند العرب على الواحد فصاعداً. فإذا كان ذلك كذلك, ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد, كان معلوماً أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحد مما أمره الله به بقوله: وَلَيْشْهَدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. غير أنني وإن كان الأمر على ما وصفت, أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضوع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنا لأن ذلك إذا كان كذلك فلا خلاف بين الجمع أنه قد أدى المقيم الحد ما عليه في ذلك, وهم فيما دون ذلك مختلفون.

### الآية: 3

القول في تأويل قوله تعالى: {الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}.  
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: نزلت هذه الآية في بعض من استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح نسوة كنَّ معروفات بالزنا من أهل الشرك، وكنَّ أصحاب رايات، يُكرهن أنفسهن، فأنزل الله تحريمهن على المؤمنين، فقال: الزاني من المؤمنين لا يتزوج إلا زانية أو مشركة، لأنهن كذلك والزانية من أولئك البغايا لا ينكحها إلا زان من المؤمنين أو المشركين أو مشرك مثلها، لأنهن كنَّ مشركات. وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فحرم الله نكاحهن في قول أهل هذه المقالة بهذه الآية. ذكر من قال ذلك:

19486- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر، عن أبيه، قال: ثني الحضرمي، عن القاسم بن محمد، عن عبد الله بن عمرو: أن رجلاً من المسلمين استأذن نبي الله في امرأة يقال لها أم مهزول، كانت تسافح الرجل وتشرط له أن تنفق عليه، وأنه استأذن فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم وذكر له أمرها، قال: فقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم: الرَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ أَوْ قَالَ: فأنزلت الزانية....

19487- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثني هُشَيْم، عن التيمي، عن القاسم بن محمد، عن عبد الله بن عمرو في قوله: الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ قَالَ: كُنَّ نِسَاءً معلومات، قال: فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه، فنهاهم الله عن ذلك.  
19488- قال: أخبرنا سليمان التيمي، عن سعيد بن المسيب، قال: كُنَّ نِسَاءً موارد بالمدينة.

حدثنا أحمد بن المقدم، قال: حدثنا المعتمر، قال: سمعت أبي، قال: حدثنا قتادة، عن سعيد بن المسيب في هذه الآية: وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ قَالَ: نزلت في نساء موارد كنَّ بالمدينة.  
حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عمرو بن عاصم الكلابي، قال: حدثنا معتمر، عن أبيه، عن قتادة، عن سعيد، بنحوه.

19489- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، عن رجل، عن عمرو بن شعيب، قال: كان لمرثد صديقة في الجاهلية يقال لها عناق، وكان رجلاً شديداً، وكان يقال له دُلْدُل، وكان يأتي مكة فيحمل صَعْفَةَ المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقي صديقه، فدعته إلى نفسها، فقال: إن الله قد حرم الزنا فقالت: أئني تَبْرُزُ فخشي أن تشيع عليه، فرجع إلى المدينة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كانت لي صديقة في الجاهلية، فهل ترى لي نكاحها؟ قال: فأنزل الله: الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ قَالَ: كُنَّ نِسَاءً معلومات يُدْعَوْنَ الْقَلِيْقِيَاتِ.

19490- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن إبراهيم بن مهاجر، قال: سمعت مجاهداً يقول في هذه الآية: الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً قَالَ: كُنَّ بَغَايَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

19491- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، عن عبد الملك، عن أبيه، عن مجاهد، نحوه من حديث ابن المثنى، إلا أنه قال: كانت امرأة منهم يقال لها: أم مهزول يعني في قوله: الرّائي لا يتكح إلا رانية أو مُشركة قال: فكنّ نساء معلومات، قال: فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهم لتنفق عليه، فنهاهم الله عن ذلك. هذا من حديث التيمي.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: الرّائي لا يتكح إلا رانية قال: رجال كانوا يريدون الزنا بنساء زوان بغايا متعالمات كنّ في الجاهلية، فقيل لهم هذا حرام، فأرادوا نكاحهن، فحرم الله عليهم نكاحهن. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، نحوه، إلا أنه قال: بغايا مُعلّيات كنّ كذلك في الجاهلية. 19492- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن هشام بن عروة، عن أبيه وإسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبيّ وابن أبي ذئب، عن شعبة، عن ابن عباس، قال: كنّ بغايا في الجاهلية، على أبوابهنّ رايات مثل رايات البيطار يعرفن بها.

19493- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن قيس بن سعد، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: نساء بغايا متعالمات، حرّم الله نكاحهنّ، لا ينكحهنّ إلا زان من المؤمنين أو مشرك من المشركين.

19494- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: الرّائي لا يتكح إلا رانية أو مُشركة والرّانية لا يتكحها إلا زان أو مُشرك وحرّم ذلك على المؤمنين قال: كانت بيوت تسمى المواخير في الجاهلية، وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهنّ، وكانت بيوتاً معلومة للزنا، لا يدخل عليهنّ ولا يأتينهنّ إلا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان، فحرّم الله ذلك على المؤمنين. حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، عن ابن جريج، عن عطاء، في قوله: الرّائي لا يتكح إلا رانية أو مُشركة والرّانية لا يتكحها إلا زان أو مُشرك قال: بغايا متعالمات كنّ في الجاهلية بغيّ آل فلان وبغيّ آل فلان، فأنزل الله: الرّائي لا يتكح إلا رانية أو مُشركة والرّانية لا يتكحها إلا زان أو مُشرك وحرّم ذلك على المؤمنين فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الإسلام. فقال له سليمان بن موسى: أبلغك ذلك عن ابن عباس؟ فقال: نعم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في ذلك: كنّ بغايا متعالمات بغيّ آل فلان وبغيّ آل فلان، وكنّ زواني مشركات، فقال: الرّائي لا يتكح إلا رانية أو مُشركة والرّانية لا يتكحها إلا زان أو مُشرك وحرّم ذلك على المؤمنين قال: أحكم الله من أمر الجاهلية بهذا. قيل له: أبلغك هذا عن ابن عباس؟ قال: نعم.

قال ابن جريج: وقال عكرمة: إنه كان يسمّي تسعا بعد صواحب الرايات، وكنّ أكثر من ذلك، ولكن هؤلاء أصحاب الرايات: أم مهزول جارية السائب

بن أبي السائب المخزومي، وأمّ غُلَيْط جارية صفوان بن أمية، وحنّة القبطية جارية العاصي بن وائل، ومَرِيَّة جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار، وحلالة جارية سهيل بن عمرو، وأمّ سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي، وسريفة جارية زمعة بن الأسود، وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لؤي، وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر.

19495- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وقال الزهري وقتادة، قالوا: كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهنّ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهنّ، فأنزل الله: الرَّائِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا رَائِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرَّائِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ... الآية.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن نجيح، عن مجاهد، وقاله الزهري وقتادة، قالوا: كانوا في الجاهلية بغايا، ثم ذكر نحوه.

19496- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن القاسم بن أبي برة: كان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية التي قد علم ذلك منها يتخذها مأكلة، فأراد ناس من المسلمين نكاحهنّ على تلك الجهة، فنهاوا عن ذلك.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، قال: قال القاسم بن أبي برة، فذكر نحوه.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا سليمان التيمي، عن سعيد بن المسيب، قال: كنّ نساء موارِدَ بالمدينة.

19497- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبيرة: أن نساء في الجاهلية كنّ يُؤاجرن أنفسهنّ، وكان الرجل إنما ينكح إحداهنّ يريد أن يصيب منها عَرَضًا، فنهاوا عن ذلك، ونزل: الرَّائِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا رَائِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرَّائِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ومنهنّ امرأة يقال لها أم مهزول.

19498- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا جابر بن نوح، عن إسماعيل، عن الشعبي، في قوله: الرَّائِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا رَائِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرَّائِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ قال: كنّ نساء يُكرين أنفسهنّ في الجاهلية.

وقال آخرون: معنى ذلك: الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة، والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك. قالوا: ومعنى النكاح في هذا الموضع: الجماع. ذكر من قال ذلك:

19499- حدثنا هناد، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن حُصَيْن، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قول الله: الرَّائِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا رَائِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً قال: لا يزني إلا بزانية أو مشركة.

19500- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن يعلَى بن مسلم، عن سعيد بن جبيرة أنه قال في هذه الآية: وَالرَّائِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ قال: لا يزني الزاني إلا بزانية مثله أو مشركة.

19501- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن شُبْرَمَةَ, عن سعيد بن جبیر وعكرمة في قوله: الرَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا رَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً قالوا: هو الوطاء.

19502- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد, عن معمر, قال: قال سعيد بن جبیر ومجاهد: الرَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا رَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً قالوا: هو الوطاء.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي عن سلمة بن نبيط, عن الضحاك بن مزاحم وشعبة, عن يعلى بن مسلم, عن سعيد بن جبیر, قوله: الرَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا رَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَلَا تَزْنِي مَشْرِكَةً إِلَّا بِمِثْلِهَا.

19503- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: الرَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا رَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرَّانِيَةُ لَا يَنْكُحُهَا إِلَّا رَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ قال: هؤلاء بغايا كن في الجاهلية, والنكاح في كتاب الله الإصابة, لا يصيبها إلا زان أو مشرك, لا يحرم الزنا, ولا تصيب هي إلا مثلها. قال: وكان ابن عباس يقول: بغايا كن في الجاهلية.

19504- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن قيس بن سعد, عن سعيد بن جبیر, قال: إذا زنى بها فهو زان.

19505- حدثنا علي, قال: حدثنا عبد الله, قال: حدثنا معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: الرَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا رَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً قال: الزاني من أهل القبلة لا يزني إلا بزانية مثله أو مشركة. قال: والزانية من أهل القبلة لا تزني إلا بزنان مثلها من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة. ثم قال: وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

وقال آخرون: كان هذا حكم الله في كل زان وزانية, حتى نسخه بقوله: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ, فأحل نكاح كل مسلمة وإنكاح كل مسلم. ذكر من قال ذلك:

19506- حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب, في قوله: الرَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا رَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرَّانِيَةُ لَا يَنْكُحُهَا إِلَّا رَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قال: يَرَوْنَ الْآيَةَ التي بعدها نسختها: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ قال: فهن من أيامى المسلمين.

حدثنا القاسم, قال حدثنا الحسين قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, قال: أخبرني يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب: الرَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا رَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرَّانِيَةُ لَا يَنْكُحُهَا إِلَّا رَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ قال: نسختها التي بعدها: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وقال: إنهن من أيامى المسلمين.

19507- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: وذكر عن يحيى, عن ابن المسيب, قال: نسختها: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ. حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب, قال: نسختها قوله: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى.

حدثني يونس, قال: أخبرنا أنس بن عياض, عن يحيى, قال: ذكر عند سعيد بن المسيب: الرَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا رَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً قال: فسمعته

يقول: إنها قد نسختها التي بعدها. ثم قرأها سعيد، قال: يقول الله: الزاني لا يتكح إلا زانية أو مشركة ثم يقول الله: وأنكحوا الأيامى منكم فهن من أيامى المسلمين.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني بالنكاح في هذا الموضع الوطاء، وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك، وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان. فمعلوم إذا كان ذلك أنه لم يُعَنَّ بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة. وإذا كان ذلك كذلك، فبين أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا أو بمشركة تستحله.

وقوله: وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يقول: وحرم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله، وذلك هو النكاح الذي قال جل ثناؤه: الزاني لا يتكح إلا زانية.

#### **الآية : 4**

القول في تأويل قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِيُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والذين يشتمون العفاف من حرائر المسلمين، فيرمونهن بالزنا، ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون عليهن أنهن رأوهن يفعلن ذلك، فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها.

وذكر أن هذه الآية إنما نزلت في الذين رموا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الإفك. ذكر من قال ذلك:

19508- حدثني أبو السائب وإبراهيم بن سعيد، قالا: حدثنا ابن فضيل، عن حصيف، قال: قلت لسعيد بن جبيرة: الزنا أشد، أو قذف المحصنة؟ قال: لا، بل الزنا. قلت: إن الله يقول: والذين يرمون المحصنات قال: إنما هذا في حديث عائشة خاصة.

19509- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... الآية في نساء المسلمين.

19510- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ قال: الكاذبون.

#### **الآية : 5**

القول في تأويل قوله تعالى: { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }.

اختلف أهل التأويل في الذي استثنى منه قوله: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فقال بعضهم: استثنى من قوله: وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وقالوا: إذا تاب القاذف قبلت شهادته وزال عنه اسم الفسق، حد فيه أو لم يحد. ذكر من قال ذلك:

19511- حدثني أحمد بن حماد الدّولابيّ، قال: ثني سفيان، عن الزهري، عن سعيد إن شاء الله، أن عمر قال لأبي بكر: إن تبت قبلت شهادتك، أو ردّيت شهادتك.

19512- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكر وشبل بن معبد ونافع بن الحارث بن كَلْدَة حَذَّهم. وقال لهم: من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل، ومن لم يفعل لم أجز شهادته. فأكذب شبل نفسه ونافع، وأبى أبو بكر أن يفعل. قال الزهريّ: هو والله سنّة فاحفظوه.

19513- حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيْع، قال: حدثنا داود، عن الشعبيّ، قال: إذا تاب يعني القاذف ولم يعلم منه إلا خير، جازت شهادته.

حدثنا عمران بن موسى، قال: حدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا داود، عن الشعبي، قال: على الإمام أن يستتيب القاذف بعد الجَلد، فإن تاب وأونس منه خير جازت شهادته، وإن لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته. حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا داود، عن عامر، أنه قال في القاذف: إذا تاب وعلم منه خير إن شهادته جائزة، وإن لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته، وتوبته إكذابه نفسه.

قال: حدثنا ابن أبي عديّ، عن داود، عن الشعبيّ، نحوه. حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالوا: حدثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن الشعبيّ، قال في القاذف: إذا تاب وأكذب نفسه قُبلت شهادته، وإلا كان خليعا لا شهادة له لأن الله يقول: لَوْلا جَاءُوا عَلَيَّ بِأَرْبَعَةٍ شَهَدَاءَ... إلى آخر الآية.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن الشعبيّ أنه كان يقول في شهادة القاذف: إذا رجع عن قوله حين يُضرب، أو أكذب نفسه، قُبلت شهادته.

قال: حدثنا هشيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي أنه كان يقول: يقبل الله توبته، وتردّون شهادته؟ وكان يقبل شهادته إذا تاب. قال: أخبرنا إسماعيل عن الشعبيّ أنه كان يقول في القاذف: إذا شهد قبل أن يُضرب الحدّ، قُبلت شهادته.

19514- قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا عبدة عن إبراهيم، وإسماعيل بن سالم عن الشعبي، أنهما قالا في القاذف: إذا شهد قبل أن يُجلد فشهادته جائزة.

19515- حدثني يعقوب، قال: قال أبو بشر، يعني ابن عُليّة، سمعت ابن أبي نجيح يقول: القاذف إذا تاب تجوز شهادته. وقال: كنا نقوله. فقيل له: من؟ قال: قال عطاء وطاوس ومجاهد.

19516- حدثنا ابن بشار، وابن المثنى، قالوا: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة، قال: حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن عمر بن طلحة، عن عبد الله، قال: إذا تاب القاذف جلد وجازت شهادته. قال أبو موسى: هكذا قال ابن أبي عثمة.



19517- حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: حدثنا ابن أبي عثمة، قال: حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن سليمان بن يسار والشعبي قالا: إذا تاب القاذف عند الجلد جازت شهادته.

19518- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: أن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة جلد رجلاً في قذف، فقال: أَكْذِبُ نَفْسِكَ حَتَّى تَجُوزَ شَهَادَتَكَ

19519- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي الهيثم، قال: سمعت إبراهيم والشعبي يتذاكران شهادة القاذف، فقال الشعبي لإبراهيم: لِمَ لَا تَقْبَلُ شَهَادَتَهُ؟ فقال: لِأَنِّي لَا أُدْرِي تَابَ أَمْ لَا.

19520- قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، قال: تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ إِذَا تَابَ.

19521- قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن يعقوب بن القعقاع، عن محمد بن زيد، عن سعيد بن جبير، مثله.

19522- قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن جريج، عن عمران بن موسى، قال: شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل. حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، قال: قال الشعبي: إذا تاب جازت شهادته، قال ابن المثنى. قال: عندي، يعني في القذف.

19523- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا مسعر، عن عمران بن عمير: أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف إذا تاب. 19524- حدثني يعقوب، قال: ثني هشيم، عن جويبر، عن الضحاک، قال: إذا تاب وأصلح قُبلت شهادته يعني القاذف.

19525- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن ابن المسيب، قال: تقبل شهادة القاذف إذا تاب. حدثنا الحسن، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن ابن المسيب، مثله.

19526- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد، عن معمر، قال: قال الرُّهْرِيُّ: إِذَا حُدَّ الْقَازِفُ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يَسْتَتِيْبَهُ، فَإِنْ تَابَ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ، وَإِلَّا لَمْ تَقْبَلْ. قال: كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة، فتابوا إلا أبا بكر، فكان لا تقبل شهادته. وقال آخرون: الاستثناء في ذلك من قوله: وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْقَاسِئُونَ. وأما قوله: وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا فَقَدْ وَصَلَ بِالْأَبَدِ وَلَا يَجُوزُ قَبُولُهَا أَبَدًا. ذكر من قال ذلك:

19527- حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا أشعث بن سوار، قال: ثني الشعبي، قال: كان شريح يجيز شهادة صاحب كل عمل إذا تاب إلا القاذف، فإن توبته فيما بينه وبين ربه ولا نجيز شهادته.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا أشعث بن سوار، قال: حدثنا الشعبي، عن شريح بنحوه، غير أنه قال: صاحب كل حد إذا كان عدلاً يوم شهد.

19528- حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش, عن إبراهيم, عن شريح, قال: كان لا يجيز شهادة القاذف, ويقول: توبته فيما بينه وبين ربه.

19529- حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, عن مطرف, عن أبي عثمان, عن شريح في القاذف: يقبل الله توبته, ولا أقبل شهادته.

19530- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا أشعث, عن الشعبي, قال: أتاه خصمان, فجاء أحدهما بشاهد أقطع, فقال الخصم: ألا ترى ما به؟ قال: قد أراه. قال: فسأل القوم, فأثنوا عليه خيرا, فقال شريح: نجيز شهادة كل صاحب حدّ, إذا كان يوم شهد عدلاً إلا القاذف, فإن توبته فيما بينه وبين ربه.

حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا أشعث, عن الشعبي, قال: جاء خصمان إلى شريح, فجاء أحدهما بينة, فجاء بشاهد أقطع, فقال الخصم: ألا ترى إلى ما به؟ فقال شريح: قد رأيناه, وقد سألنا القوم فأثنوا خيرا. ثم ذكر سائر الحديث, نحو حديث أبي كريب. حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا الشيباني, عن الشعبي, عن شريح أنه كان يقول: لا تُقبل له شهادة أبدا, توبته فيما بينه وبين ربه يعني القاذف.

19531- قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا الأشعث, عن الشعبي, بأن ربابا قطع رجلاً في قطع الطريق, قال: فقطع يده ورجله. قال: ثم تاب وأصلح, فشهد عند شريح, فأجاز شهادته. قال: فقال المشهود عليه: أتجيز شهادته عليّ وهو أقطع؟ قال: فقال شريح: كل صاحب حدّ إذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح, فشهادته جائزة إلا القاذف.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو الوليد, قال: حدثنا شعبة, قال: المغيرة: أخبرني, قال: سمعت إبراهيم يحدث عن شريح, قال: قضاء من الله لا تقبل شهادته أبدا, توبته فيما بينه وبين ربه. قال أبو موسى: يعني القاذف.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم, قال: قال شريح: لا يقبل الله شهادته أبدا.

19532- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو الوليد, قال: حدثنا حماد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, قال: لا تجوز شهادة القاذف, توبته فيما بينه وبين الله.

19533- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن, أنه قال: القاذف توبته فيما بينه وبين الله, وشهادته لا تُقبل.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو الوليد, قال: حدثنا حماد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, قال: لا تجوز شهادة القاذف, توبته فيما بينه وبين الله.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن, أنه قال: القاذف توبته فيما بينه وبين الله, وشهادته لا تُقبل.

19534- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن إبراهيم أنه قال في الرجل يُجَلدُ الحدَّ، قال: لا تجوز شهادته أبداً.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم: أنه كان لا يقبل له شهادة أبداً، وتوبته فيما بينه وبين الله يعني القاذف. 19535- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا معتمر بن سليمان، عن حجاج، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجوزُ شهادَةُ مَحْدُودٍ فِي الإسلامِ».

19536- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن: «ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً قال: كان يقول: لا تقبل شهادة القاذف أبداً، إنما توبته فيما بينه وبين الله. وكان شريح يقول: لا تقبل شهادته. 19537- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: «ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، ثم قال: فمن تاب وأصلح فشهادته في كتاب الله تقبل».

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الاستثناء من اليمينين جميعاً، أعني من قوله: «ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، ومن قوله: وأولئك هم الفاسقون». وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن ذلك كذلك إذا لم يحد في القذف حتى تاب، إما بأن يرفع إلى السلطان بعفو المقذوفة عنه، وإما بأن ماتت قبل المطالبة بحدّها ولم يكن لها طالب يطلب بحدّها. فإذا كان ذلك كذلك وحدثت منه توبة صحت له بها العدالة.

فإذا كان من الجميع إجماعاً، ولم يكن الله تعالى ذكره شرط في كتابه أن لا تقبل شهادته أبداً بعد الحد في رميّه، بل نهى عن قبول شهادته في الحال التي أوجب عليه فيها الحدّ وسماه فيها فاسقاً، كان معلوماً بذلك أنّ إقامة الحدّ عليه في رميّه، لا تحدث في شهادته مع التوبة من ذنبه، ما لم يكن حادثاً فيها قبل إقامته عليه، بل توبته بعد إقامة الحدّ عليه من ذنبه أخرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل إقامته عليه لأن الحدّ يزيد المحدود عليه تطهيراً من جرمه الذي استحقّ عليه الحدّ.

فإن قال قائل: فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله: «فاجلِدُوهُمْ تَمَانِينَ جَلْدَةً فتكون التوبة مُسْقِطَةً عنه الحدّ، كما كانت لشهادته عندك قبل الحدّ وبعده مجيزة ولاسم الفسق عنه مزيلة؟ قيل: ذلك غير جائز عندنا وذلك أن الحدّ حقّ عندنا للمقذوفة كالقصاص الذي يجب لها من جنابة يجنيها عليها مما فيه القصاص. ولا خلاف بين الجميع أن توبته من ذلك لا ترضع عنه الواجب لها من القصاص منه، فكذلك توبته من القذف لا ترضع عنه الواجب لها من الحدّ، لأن ذلك حقّ لها، إن شاءت عفته، وإن شاءت طالبت به. فتوبة العبد من ذنبه إنما ترضع عن العبد الأسماء الذميمة والصفات القبيحة، فأما حقوق الأدميين التي أوجبها الله لبعضهم على بعض في كلّ الأحوال فلا تزول بها ولا تبطل.

واختلف أهل العلم في صفة توبة القاذف التي تقبل معها شهادته، فقال بعضهم: هو إكذابه نفسه فيه. وقد ذكرنا بعض قائلتي ذلك فيما مضى قبل، ونحن نذكر بعض ما حضرنا ذكره مما لم نذكره قبل.

19538- حدثني أبو السائب، قال: حدثنا حفص، عن ليث، عن طاوس، قال: توبة القاذف أن يكذب نفسه.

19539- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، قال: رأيت رجلاً ضرب حذاً في قذف بالمدينة، فلما فرغ من ضربه تناول ثوبه، ثم قال: أستغفر الله وأتوب إليه من قذف المحصنات قال: فلقيت أبا الزناد، فذكرت ذلك له، قال: فقال: إن الأمر عندنا هاهنا أنه إذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه ولم نعلم منه إلا خيراً قبلت شهادته. 19540- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا... الآية، قال: من اعترف وأقر على نفسه علانية أنه قال البهتان وتاب إلى الله توبة نصوحا والنصوح: أن لا يعودوا، وإقراره واعترافه عند الحد حين يؤخذ بالجلد فقد تاب والله غفور رحيم. وقال آخرون: توبته من ذلك صلاح حاله وندمه على ما فرط منه من ذلك والاستغفار منه وتركه العود في مثل ذلك من الجرم. وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم، وقد ذكرنا بعض قائله فيما مضى، وهو قول مالك بن أنس.

وهذا القول أولى القولين في ذلك بالصواب لأن الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذي ذنب من أهل الإيمان تركه العود منه، والندم على ما سلف منه، واستغفار ربه منه، فيما كان من ذنب بين العبد وبينه دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم. والقاذف إذا أقيم عليه فيه الحد أو عُفي عنه فلم يبق عليه إلا توبته من جرمه بينه وبين ربه، فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجزائه. فإذا كان الصحيح في ذلك من القول ما وصفنا، فتأويل الكلام: وأولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا من جرمهم الذي اجترموه بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه، فإن الله عَفُوٌّ رَحِيمٌ يقول: سائر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها، رحيم بهم بعد التوبة أن يعذبهم عليها، فاقبلوا شهادتهم ولا تسموهم قَسَقَةً، بل سموهم بأسمائهم التي هي لهم في حال توبتهم.

### الآية: 6-7

القول في تأويل قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ \* وَالْحَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } . يقول تعالى ذكره: وَالَّذِينَ يَزْمُونَ مِنَ الرِّجَالِ أَرْوَاجَهُمْ بِالفاحشة، فيقذفونهنّ بالزنا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ يشهدون لهم بصحة ما رموهنّ به من الفاحشة، فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة: «أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ» نصبا، ولنصبتهم ذلك وجهان: أحدهما: أن تكون الشهادة في قوله: فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ مرفوعة بمضمر قبلها، وتكون «الأربع» منصوبا بمعنى الشهادة، فيكون تأويل الكلام حينئذ: فعلى أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله. والوجه الثاني: أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله: إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ و «الأربع» منصوبة بوقوع الشهادة عليها، كما يقال: شهادتي ألف مرة إنك لرجل سوء وذلك أن العرب ترفع الإيمان بأجوبتها، فتقول: خَلَفُ صَادِقٍ لَأَقُومَنَّ، وشهادة عمرو ليقعدنّ. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ برفع «الأربع»، ويجعلونها للشهادة مرفوعة،

وكانهم وجهوا تأويل الكلام: فالذي يلزم من الشهادة، أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ: «فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين» بنصب أربع، بوقوع «الشهادة» عليها، و«الشهادة» مرفوعة حينئذ على ما وصفت من الوجهين قبل وأحب وجهيهما إلي أن تكون به مرفوعة بالجواب، وذلك قوله: إنه لمن الصادقين وذلك أن معنى الكلام: والذين يرمون أزواجهم، ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم، فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، تقوم مقام الشهداء الأربعة في دفع الحد عنه. فترك ذكر تقوم مقام الشهداء الأربعة، أكتفاء بمعرفة السامعين بما ذكر من الكلام، فصار مرفاع «الشهادة» ما وصفت. ويعني بقوله: فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله: فحلف أحدهم أربع أيمان بالله، من قول القائل: أشهد بالله إنه لمن الصادقين فيما رمى زوجته به من الفاحشة، والخامسة يقول: والشهادة الخامسة، أن لعنة الله عليه يقول: إن لعنة الله له واجبة وعليه حالة، إن كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت به جماعة من أهل التأويل. ذكر الرواية بذلك، وذكر السبب الذي فيه أنزلت هذه الآية: 19541- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا أيوب، عن عكرمة، قال: لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة قال سعد بن عباد: الله إن أنا رأيت لكاع متفخذا رجل فقلت بما رأيت إن في ظهري لثمانين إلى ما أجمع أربعة؟ قد ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الأنصار، ألا تسمعون إلى ما يقول سيديكم؟». قالوا: يا رسول الله لا تلمه وذكروا من غيرته فما تزوج امرأة قط إلا بكرا، ولا طلق امرأة قط فرجع فيها أحد منا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإن الله يابى إلا ذاك» فقال: لا والله، لا يجعل في ظهري ثمانين أبدا، لقد نظرت حتى أيقنت، ولقد استسمعت حتى استشفيت قال: فأنزل الله القرآن باللعان، فقيل له: احلف فحلف، قال: «قفوه عند الخامسة، فإنها موجبة». فقال: لا يدخله الله النار بهذا أبدا، كما درأ عنه جلد ثمانين، لقد نظرت حتى أيقنت، ولقد استسمعت حتى استشفيت فحلف ثم قيل: احلفي فحلفت ثم قال: «قفوها عند الخامسة، فإنها موجبة». فقيل لها: إنها موجبة، فتلكات ساعة، ثم قالت: لا أخزي قومي، فحلفت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن جاءت به كذا وكذا فهُوَ لِرَوْجِهَا، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ كَذَا وَكَذَا فَهُوَ لِلَّذِي قِيلَ فِيهِ مَا قِيلَ». قال: فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق، فكان بعد أميرا بمصر، لا يعرف نسبه، أو لا يدري من أبوه.

19542- حدثنا خالد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا عباد، قال: سمعت عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ قال سعد بن عباد: لهكذا أنزلت يا رسول الله؟ لو أتيت لكاع قد تفخذا رجل، لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى أتى بأربعة شهداء؟ فوالله ما كنت لآتي بأربعة

شهداء حتى يفرغ من حاجته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَمَا تَسْمَعُونَ إِلَيَّ مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ؟» قالوا: لا تلمه فإنه رجل عَيُورٌ، ما تزوج فينا قط إلا عذراء ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجهما قال سعد: يا رسول الله، بأبي وأمي، والله إنني لأعرف أنها من الله وأنها حق، ولكن عجبت لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل بم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى أتني بأربعة شهداء والله لا أتني بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فوالله ما لبثوا إلا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له، فرأى بعينه، وسمع بأذنيه، فأمسك حتى أصبح. فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو جالس مع أصحابه، فقال: يا رسول الله إنني جئت أهلي عشاء، فوجدت رجلاً مع أهلي، رأيت بعيني وسمعت بأذني. فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به ونقل عليه جداً، حتى عُرف ذلك في وجهه، فقال هلال: والله يا رسول الله إنني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به، والله يعلم أنني صادق، وما قلت إلا حقاً، فإني لأرجو أن يجعل الله فرجاً. قال: واجتمعت الأنصار، فقالوا: ابتلينا بما قال سعد، أيجلد هلال بن أمية وتبطل شهادته في المسلمين؟ فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه، فإنه لكذلك يريد أن يأمر بضربه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه، إذ نزل عليه الوحي، فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل، حتى فرغ، فأنزل الله: وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ... إلى: أَنْ عَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَبَشِّرْ يَا هَلَالُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ فَرْجاً» فقال: قد كنت أرجو ذلك من الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُرْسِلُوا إِلَيْهَا» فجاءت، فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها، فكذبت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟» فقال هلال: يا رسول الله، بأبي وأمي لقد صدقتُ وما قلتُ إلا حقاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا عُنُوبَ بَيْنَهُمَا» قيل لهلال: يا هلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، فقيل له عند الخامسة: يا هلال اتق الله، فإن عذاب الله أشد من عذاب الناس، وإنها الموجبة التي توجب عليك العذاب. فقال هلال: والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الخامسة: أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ثم قيل لها: اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، فقيل لها عند الخامسة: اتقي الله، فإن عذاب الله أشد من عذاب الناس، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب. فتلكأت ساعة، ثم قالت: والله لا أفصح قومي، فشهدت الخامسة: أَنْ عَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ففرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقضى أن الولد لها، ولا يُدعى لأب، ولا يُرَمَى ولدها.

19543- حدثني أحمد بن محمد الطوسي، قال: حدثنا أبو أحمد الحسين بن محمد، قال: حدثنا جرير بن جازم، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما قذف هلال بن أمية امرأته، قيل له: والله ليجلدتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة قال: الله أعدل من ذلك أن يضربني ضربة وقد علم أنني قد رأيت حتى استيقنت وسمعت حتى

استثبت، لا والله لا يضرني أبدا فنزلت آية الملاعنة، فدعا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية، فقال: «اللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟» فقال هلال: والله إني لصادق. فقال له: «أخلف بالله الذي لا إله إلا هو: إني لصادق» يقول ذلك أربع مرّات «فإن كنت كاذبا فعلي لعنة الله». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قُفُوهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ» فحلف. ثم قالت أربعا: والله الذي لا إله إلا هو إنه لمن الكاذبين، فإن كان صادقا فعليها غضب الله. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قُفُوها عِنْدَ الْخَامِسَةِ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ» فتردّدت وهمت بالاعتراف، ثم قالت لا أفصح قومي».

19544- حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعي، قال: حدثنا عبدة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: كنا ليلة الجمعة في المسجد، فدخل رجل فقال: لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه، وإن تكلم جلدتموه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله آية اللعان. ثم جاء الرجل بعد، فقذف امرأته، فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما، فقال: «عَسَى أَنْ تَجِيءَ بِهِ أَسْوَدَ جَعْدًا». فجاءت به أسود جعدا.

19545- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عمر، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، أيقرق بين المتلاعنين؟ فقال: نعم، سبحان الله إن أول من سأل عن ذلك فلان، أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال: رأيت لو أن أحدا رأى صاحبه على فاحشة، كيف يصنع؟ فلم يجبه في ذلك شيئا. قال: فاتاه بعد ذلك فقال: إن الذي سألت عنه قد ابتليت به. فأنزل الله هذه الآية في سورة النور، فدعا الرجل فوعظه وذكره، وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة قال: والذي بعثك بالحق، لقد رأيت وما كذبت عليها قال: ودعا المرأة فوعظها، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فقالت: والذي بعثك بالحق إنه لكاذب، وما رأيت شيئا قال: فبدأ الرجل، فشهد أربع شهادات بالله: إنه لمن الصادقين، والخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم إن المرأة شهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن عَصَبَ الله عليها إن كان من الصادقين. وفرق بينهما.

19546- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عامر، قال: لما أنزل: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً قال عاصم بن عدي: إن أنا رأيت فتكلمت جلّدت ثمانين، وإن أنا سكت سكت علي الغيظ قال: فكان ذلك شقّ علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأنزلت هذه الآية: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ قال: فما لبثوا إلا جمعة، حتى كان بين رجل من قومه وبين امرأته، فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما.

19547- حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ... الآية، والخامسة: أن يقال له: إن عليك لعنة الله إن كنت من الكاذبين. وإن أقرت المرأة بقوله رجمت، وإن أنكرت شهدت أربع



شهادات بالله: إنه لمن الكاذبين, والخامسة أن يقال لها: غضب الله عليك إن كان من الصادقين فُيَدْرَأُ عنها العذاب, وَيُقَرَّقُ بينهما, فلا يجتمعان أبدا, ويُلحق الولد بأمه.

19548- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن عكرمة, قوله: وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ قال: هلال بن أمية, والذي رُمِيَ بِهِ شريك بن سحما, والذي استفتى عاصم ابن عدي.  
19549- قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, قال: أخبرني الزهري عن الملاعنة والسنة فيها, عن حديث سهل بن سعد: أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم, فقال: أَرَأَيْتَ رجلاً وجد مع امرأته رجلاً, أبقته فتقتلونه؟ أم كيف يفعل؟ فانزل الله في شأنه ما ذكر من أمر المتلاعنين, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَدْ قَضَى اللَّهُ فِيكَ وَفِي امْرَأَتِكَ» فتلاعنا وأنا شاهد. ثم فارقتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم, فكانت السنة بعدها أن يُقَرَّقَ بين المتلاعنين. وكانت حاملة, فأنكره, فكان ابنها يُدعى إلى أمه, ثم جرت السنة أن ابنها يترثها وترث ما فرض الله لها.

19550- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ... إلى قوله: إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قال: إذا شهد الرجل خمس شهادات, فقد برىء كل واحد من الآخر, وعَدَّتْهَا إن كانت حاملاً أن تضع حملها, ولا يجلد واحد منهما وإن لم تحلف أقيم عليها الحد والرجم.

### الآية : 8-9

القول في تأويل قوله تعالى: { وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ }.

يعني جلد ذكره بقوله: وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ: ويدفع عنها الحد. واختلف أهل العلم في العذاب الذي عناه الله في هذا الموضع أنه يدرؤه عنها شهاداتها الأربع, فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك, من أن الحد جلد مئة إن كانت بكراً أو الرجم إن كانت ثيباً قد أحصنت. وقال آخرون: بل ذلك الحبس, وقالوا: الذي يجب عليها إن هي لم تشهد الشهادات الأربع بعد شهادات الزوج الأربع والتعانة: الحبس دون الحد. وإنما قلنا: الواجب عليها إذا هي امتنعت من الالتعان بعد التعان الزوج الحد الذي وصفنا, قياساً على إجماع الجميع على أن الحد إذا زال عن الزوج بالشهادات الأربع على تصديقه فيما رماها به, أن الحد عليها واجب, فجعل الله أيمانه الأربع والتعانة في الخامسة مخرجاً له من الحد الذي يجب لها برميها إياها, كما جعل الشهداء الأربعة مخرجاً له منه في ذلك وزائلاً به عنه الحد فكذلك الواجب أن يكون بزوال الحد عنه بذلك واجبا عليها حدّها كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها, لا فرق بين ذلك. وقد استقصينا العلل في ذلك في باب اللعان من كتابنا المسمى «لطيف القول في شرائع الإسلام», فأغني عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ يقول: ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع أيمان: أن زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة, لمن الكاذبين فيما رماها من الزنا. وقوله: وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا...

الآية، يقول: والشهادة الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين. ورفع قوله: والخامسة في كلتا الآيتين، بـ«أن» التي تليها.

### الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عواد على خلقه بلطفه وطوله، حكيم في تدبيره إياهم وسياسته لهم لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلاً، رحمة منه بكم وتفضلاً عليكم، فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه. وترك الجواب في ذلك، اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه.

### الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره: إن الذين جاءوا بالكذب والبُهتان عُصْبَةٌ مِنْكُمْ يقول: جماعة منكم أيها الناس. لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ يقول: لا تظنوا ما جاءوا به من الإفك شراً لكم عند الله وعند الناس، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به، ويظهر براءته مما رُمي به، ويجعل له منه مخرجاً. وقيل: إن الذي عتَى الله بقوله: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ: جماعة، منهم حسان بن ثابت، ومسطح بن أثانة، وحمّنة بنت جحش. كما:

19551- حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا حذثنا أبان العطار، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن عروة: أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: كتبت إليّ تسألني في الذين جاءوا بالإفك، وهم كما قال الله: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ، وأنه لم يُسَمَّ منهم أحد إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثانة، وحمّنة بنت جحش، وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله.

19552- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ هم أصحاب عائشة. قال ابن جريج: قال ابن عباس: قوله: جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ... الآية، الذين افتروا على عائشة: عبد الله بن أبيّ، وهو الذي تولى كبره، وحسان بن ثابت، ومسطح، وحمّنة بنت جحش.

19553- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ الذين قالوا لعائشة الإفك والبُهتان.

19554- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ قال: الشرّ لكم بالإفك الذي قالوا، الذي تكلموا به، كان شراً لهم، وكان فيهم من لم يقله إنما سمعه، فعاتبهم الله، فقال أول شيء: إِنَّ

الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ.  
وقوله: لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ يَقُولُ: لِكُلِّ أَمْرٍ مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ جِزَاءٌ مَا اجْتَرَمَ مِنَ الْإِثْمِ، بِمَجِيئِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ، مِنَ الْأُولَى عَبْدَ اللَّهِ. وقوله: وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ يَقُولُ: وَالَّذِي تَحْمَلُ مَعْظَمَ ذَلِكَ الْإِثْمِ وَالْإِفْكَ مِنْهُمْ هُوَ الَّذِي بَدَأَ بِالْخَوْضِ فِيهِ. كما:  
19555- حَدَّثَ عَنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ يَقُولُ: الَّذِي بَدَأَ بِذَلِكَ.

19556- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنِ مَجَاهِدٍ، قَوْلَهُ: عُصْبَةٌ مِنْكُمْ قَالَ: أَصْحَابُ عَائِشَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ، وَمِسْطُوحٍ، وَحَسَّانٍ.  
قال أبو جعفر: له من الله عذاب عظيم يوم القيامة.  
وقد اختلفت القراء في قراءة قوله: كِبْرَهُ فَقَرَأَتْ ذَلِكَ عَامَةٌ قَرَاءَ الْأَمْصَارِ: كِبْرَهُ بِكَسْرِ الْكَافِ، سَوَى حَمِيدِ الْأَعْرَجِ فَإِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُهُ: «كُبْرَهُ» بِمَعْنَى: وَالَّذِي تَحْمَلُ أَكْبَرَهُ.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: القراءة التي عليها عوامُّ القراء، وهي كسر الكاف، لإجماع الحجة من القراء عليها، وأن الكِبْرَ بالكسر: مصدر الكبير من الأمور، وأن الكُبْرَ بضم الكاف: إنما هو من الولاء والنسب، من قولهم: هو كِبْرُ قومه والكِبْرُ في هذا الموضع: هو ما وصفناه من معظم الإثم والإفك. فإذا كان ذلك كذلك، فالكسر في كافة هو الكلام الفصيح دون ضمها، وإن كان لضمها وجه مفهوم.  
وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ... الآية، فقال بعضهم: هو حسان بن ثابت. ذكر من قال ذلك:

19557- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ قَزَعَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَسْلَمَةُ بْنُ عُلْقَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ، عَنْ عَامِرٍ، أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا سَمِعْتُ بِشَيْءٍ أَحْسَنَ مِنْ شِعْرِ حَسَّانٍ، وَمَا تَمَثَّلْتُ بِهِ إِلَّا رَجَوْتُ لَهُ الْجَنَّةَ، قَوْلَهُ لِأَبِي سَفْيَانَ: هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُوَ عِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءِ فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَزْرُ ضَيْلِعِرْضٍ مُحَمَّدٌ مِنْكُمْ وَقَاءُ أَتَشْتُمُّهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفٍّ قَسْرًا كَمَا لِحَيْرٍ كَمَا الْفِدَاءُ لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبَحْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ فَقِيلَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَيْسَ هَذَا لِعُجْوَا؟ قَالَتْ لَا، إِنَّمَا اللَّغْوُ مَا قِيلَ عِنْدَ النِّسَاءِ. قِيلَ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ قَالَتْ: أَلَيْسَ قَدْ أَصَابَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ؟ أَلَيْسَ قَدْ ذَهَبَ بَصْرُهُ وَكُنِعَ بِالسَّيْفِ؟.

19558- قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَوْمِلٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ أَبِي الضَّحَى، عَنِ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَدَخَلَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، فَأَمَرْتُ، فَأَلْقَى لَهُ وَسَادَةً فَلَمَّا خَرَجَ قَلْتُ لِعَائِشَةَ: مَا تَصْنَعِينَ بِهَذَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ مَا قَالَ؟ فَقَالَتْ: قَالَ اللَّهُ: وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَقَدْ ذَهَبَ بَصْرُهُ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُ ذَلِكَ الْعَذَابَ الْعَظِيمَ ذَهَابَ بَصْرِهِ.

19559- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة، فشيب بآيات له، فقال: وَتُصِيحُ عَزَّتِي مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ فقالت عائشة: أما إنك لست كذلك فقلت: تدعين هذا الرجل يدخل عليك وقد أنزل الله فيه: وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ... الآية؟ فقالت: وأي عذاب أشد من العمى وقالت: إنه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

19560- حدثني محمد بن عثمان الواسطي، قال: حدثنا جعفر بن عون، عن المعلّى بن عرفان، عن محمد بن عبد الله بن جحش، قال: تفاخرت عائشة وزينب، قال: فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء. قال: وقالت عائشة: أنا التي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطل على الراحلة. فقالت لها زينب: يا عائشة، ما قلت حين ركبتها؟ قالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل. قالت قلت كلمة المؤمنين.

وقال آخرون: هو عبد الله بن أبي ابن سلول. ذكر من قال ذلك: 19561- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كان الذين تكلموا فيه: المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان يستوشيه ويجمعه، وهو الذي تولى كبره، ومسطحا، وحسان بن ثابت.

19562- حدثنا سفيان، قال: حدثنا محمد بن بشر، قال: حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا، قالوا: قالت عائشة: كان الذي تولى كبره الذي يجمعهم في بيته، عبد الله بن أبي ابن سلول.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن شهاب، قال: ثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عتبة، عن عائشة، قالت: كان الذي تولى كبره: عبد الله بن أبي.

19563- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا... الآية، الذين أفتروا على عائشة: عبد الله بن أبي، وهو الذي تولى كبره، وحسان، ومسطح، وحمّنه بنت جحش.

19564- حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أبان العطار، قال: حدثنا هشام بن عروة في الذين جاءوا بالإفك: يزعمون أنه كان كبر ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول، أحد بني عوف بن الخرج وأخبرت أنه كان يحدث به عنهم فيقره ويسمعه ويستوشيه.

19565- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: أما الذي تولى كبره منهم، فعبد الله بن أبي ابن سلول الخبيث، هو الذي ابتداء هذا الكلام، وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت، ثم جاء يقود بها.

19566- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: والذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي ابن سلول، وهو بداه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: الذي تولى كِبْرَهُ من عصابة الإفك، كان عبد الله بن أبي، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسيرة، أن الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويحدثهم، عبدُ الله بن أبي ابن سلول، وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كِبْرَ ذلك الأمر. وكان سبب مجيء أهل الإفك، ما:

19567- حدّثنا به ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، ثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله، وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض، وأثبت اقتصاصا، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدق بعضها: زعموا أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهاً خرج سهمها خرج بها. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزاة غزاها، فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد ما أنزل الحجاب، وأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه. فسرنا، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل إلى المدينة، أذن ليلة بالرحيل، فقامت حين أذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني، أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقْدُ لي من جَزَعِ ظَقَارٍ قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه. وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أنني فيه. قالت: وكأنت النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلهن ولم يعشهن اللحم، إنما يأكلن العُلقة من الطعام. فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رَحَلوه ورفعوه، وكنت جارية حديثه السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمرّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب. فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني ويرجعون إليّ. فبينما أنا جالسة في منزلي، غلبتني عيني، فنمت حتى أصبحت. وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الدكواني، قد عرّس من وراء الجيش، فادّلع فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فاتاني، فعرفني حين رأني، وكان يراني قبل أن يضرب الحجاب عليّ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمّرت وجهي بجلبابي، والله ما تكلمت بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته، فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا مُوغِرِينَ في نحر الظهيرة. فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كِبْرَهُ عبد الله بن أبي ابن سلول.

فقدما المدينة، فاشتكت شهرا، والناس يُفِيضُونَ في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله اللطيف الذي كنت أرى منه حين اشتكي، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم؟» فذلك يريني، ولا أشعر بالشر. حتى خرجت بعد ما تقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المتأصع، وهو مُتَبَرِّزنا، ولا نخرج إلا ليلاً إلى

ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكُفُّف قريبا من بيوتنا، وأمُرنا أمر العرب الأوَّل في التَّزَّه، وكنا نتأدَّى بالكُفُّف أن نتخذها عند بيوتنا. فانطلقت أنا وأمُّ مسطح، وهي ابنة أبي رُهم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر، خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاة بن عباد بن المطلب. فأقبلت أنا وابنة أبي رُهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أمُّ مسطح في مِرطِها، أو لم تسمعي ما قال؟ وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مَرَضاً على مرضي. فلما رجعت إلى منزلي، ودخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «كَيْفَ تَيْكُم؟» فقلت: أتأذن لي أن أتِيَ أبوي؟ قال: «نعم». قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستثبت الخبر من قِبَلهما. فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت أبوي، فقلت لأمي: أي أمّاه، ماذا يتحدّث الناس؟ فقالت: أي بُنية، هوّني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضائر، إلا أكثرن عليها. قالت: قلت: سبحان الله، أو قد تحدّث الناس بهذا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: نعم، فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت، فدخل عليَّ أبو بكر وأنا أبكي، فقال لأمي: ما يبكيها؟ قالت: لم تكن علمت ما قيل لها. فأكبّ يئكي، فبكى ساعة، ثم قال: اسكتي يا بنية فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، حتى ظنّ أبواي أن البكاء سيفلق كبدي.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليَّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد، حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة، فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي في نفسه من الودّ، فقال: يا رسول الله، هم أهلك، ولا نعلم إلا خيرا. وأما عليٌّ فقال: لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدّقك، يعني بَريرة. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَريرة، فقال: «هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيئُكَ مِنْ عَائِشَةَ؟» قالت له بَريرة: والذي بعثك بالحقّ، ما رأيت عليها أمرا قط أعمّصه عليها، أكثر من أنها حديثه السنّ تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله فقام النبيّ صلى الله عليه وسلم خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «مَنْ يَعْذِرُنِي مِمَّنْ قَدْ بَلَغَنِي أَدَاهُ فِي أَهْلِي؟» يعني عبد الله بن أبي ابن سلول. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر أيضا: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَدَاهُ فِي أَهْلِي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي» فقام سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. فقام سعد بن عبادة، فقال، وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحميّة، فقال: أيّ سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت، لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان: الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَفِّصُهُمْ حتى سكتوا. ثم أتاني رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأنا في بيت أبيي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فاذنت لها، فجلست تبكي معي قالت: فبينما نحن على ذلك، دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جلس عندي، ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل، وقد لبث شهرا لا يوحي إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس، ثم قال: «أَمَا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذًا وَكَذًا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيَّبِرُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتِ بِدَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ، وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِدَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ». فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته، قلص دمعي، حتى ما أحس منه دمعة قلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن: إني والله لقد عرفت أن قد سمعتم بهذا، حتى استقر في أنفسكم، حتى كدتم أن تصدقوا به، فإن قلت لكم: إني بريئة والله يعلم أني بريئة، لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة، لتصدقني، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ.

ثم توليت واضطجعت على فراشي، وأنا والله أعلم أني بريئة وأن الله سيبرئني ببراءتي، ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يُتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله فيّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام رؤيا يبرئني الله بها. قالت: والله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه. قالت: فلما سُري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، كان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أُبَشِّرِي يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَرَأَكَ» فقالت لي أمي، قومي إليه فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي. فأنزل الله: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ عَشْرَ آيَاتٍ، فأنزل هذه الآيات براءة لي. قالت: فقال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقربته وفقره: وَاللَّهِ لَا أَنْفَقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ قَالَتْ: فأنزل الله: وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُو الْقِصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ حَتَّى بَلَغَ: عَفْوَرٌ رَجِيمٌ فقال أبو بكر: إني لأحِبُّ أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يُنفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري وما رأت وما سمعت، فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما رأيت إلا خيرا. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب فهلكت فيمن هلك.

قال الزهري بن شهاب: هذا الذي انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط.



حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، وعن علقمة بن وقاص الليثي، عن سعيد بن المسيب، وعن عروة بن الزبير، وعن عبيد الله بن عتبة بن مسعود. قال الزهري: كلُّ قد حدثني بعض هذا الحديث، وبعض القوم كان له أوعى من بعض. قال: وقد جمعت لك كل الذي قد حدثني. وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة قال: وثني محمد بن إسحاق، قال: حدثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة. قال: ثني عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة قالت وكل قد اجتمع في حديثه قصة خبر عائشة عن نفسها، حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا، وكله قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا، ويحدث بعضهم ما لم يحدث بعض، وكل كان عنها ثقة، وكل قد حدث عنها ما سمع.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهنَّ خرج سهمها خرج بها معه. فلما كانت غزاة بني المصطلق، أقرع بين نسائه كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهنَّ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم معه. قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق لم يهيجهنَّ اللحم فيثقلن. قالت: وكنت إذا رحل بعيري جلست في هودج، ثم يأتي القوم الذين يرحلون بي بعيري ويحملوني، فيأخذون بأسفل الهودج يرفعونه فيضعونه على ظهر البعير، فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجه قافلاً، حتى إذا كان قريبا من المدينة، نزل منزلاً فبات بعض الليل، ثم أدن في الناس بالرحيل. فلما ارتحل الناس، خرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي من جَزَع ظفار، فلما فرغت انسلت من عنقي وما أدري فلما رجعت إلى الرجل ذهبت أتمسه في عنقي فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل. قالت: فرجعت عودي إلى بدئي، إلى المكان الذي ذهبت إليه، فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون بي البعير.

ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى، عن ابن ثور.

19568- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً وما علمت، فتشهد، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أُمَّا يَعْذُ آبَاؤُهُمْ عَلَيَّ فِي أَنَا أَبَاؤُهُمْ عَلَيَّ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي سُوءًا قَطُّ، وَأَبَاؤُهُمْ يَمُنُّونَ بِاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ سُوءًا قَطُّ، وَلَا دَخَلَ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ، وَلَا أُغَيَّبُ فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِي» فقام سعد بن مُعَاذٍ فقال: يا رسول الله، نرى أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل، فقال كذبت، أما والله لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج في المسجد شراً وما علمت به. فلما كان مساء ذلك اليوم، خرجت لبعض حاجتي ومعى أم مسطح، فعثرت، فقالت: تَعَسَّ مِسْطَحُ فَقَلْتِ عِلَامَ تَسْبِينِ ابْنِكَ؟ فسكتت، ثم عثرت الثانية، فقالت: تَعَسَّ مِسْطَحُ قَلْتِ: عِلَامَ تَسْبِينِ ابْنِكَ؟ فسكتت الثانية. ثم عثرت الثالثة، فقالت: تَعَسَّ مِسْطَحُ فَانْتَهَرْتَهَا، فَقَلْتِ: وَقَدْ كَانَ هَذَا؟ قالت: نعم والله. قالت: فرجعت إلى بيتي فكان الذي

خرجت له لم أخرج له، ولا أجد منه قليلاً ولا كثيراً. ووُعِكَت، فقلت: يا رسول الله، أرسلني إلى بيت أبي فأرسل معي الغلام، فدخلت الدار فإذا أنا بأمي أم رومان، قالت: ما جاء بك يا بُنية؟ فأخبرتها، فقالت: حَقَّضِي عليك الشأن، فإنه والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا حسدنها وقلن فيها. قلت: وقد علم بها أبي؟ قالت: نعم. قلت: ورسول الله؟ قالت: نعم. فاستعبرت وبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ، فنزل فقال لأمي: ما شأنها؟ قالت: بلغها الذي دُكر من أمرها. ففاضت عيناه، فقال: أقسمت عليك إلا رَجَعْتُ إلى بيتك فرجعت. فأصبح أبواي عندي، فلم يزا إلا عندي حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بعد العصر، وقد اكتنفتني أبواي، عن يميني وعن شمالي، فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أُمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ كُنْتَ قَارَفَتِ سُوءًا أَوْ أَلَمَمْتَ قُتُوبِي إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ». وقد جاءت امرأة من الأنصار وهي جالسة، فقلت: ألا تستحي من هذه المرأة أن تقول شيئاً؟ فقلت لأبي: أحبه فقال: أقول ماذا؟ قلت لأمي: أحبيته فقالت: أقول ماذا؟ فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله، ثم قلت: أما بعد، فوالله لئن قلت لكم إني لم أفعل، والله يعلم إني لصادقة ما ذا بنافعي عندكم، لقد تُكَلِّمُ به وأشربته قلوبكم وإن قلت إني قد فعلت والله يعلم أنني لم أفعل لتقولن قد بآءت به على نفسها، وأيم الله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف وما أحفظ اسمه: قَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ. وأنزل الله على رسوله ساعتئذٍ، فُرفع عنه، وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه يقول: «أَبَشِيرِي يَا عَائِشَةُ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتِكَ» فكنت أشد ما كنت غضبا، فقال لي أبواي: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمده ولا أحمدكما، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه، ولكني أحمد الله الذي أنزل براءتي. ولقد جاء رسول الله بيتي، فسأل الجارية عني، فقالت: والله ما أعلم عليها عيباً إلا أنها كانت تنام حتى كانت تدخل الشاة فتأكل حصيرها أو عجينها، فانتهرها بعض أصحابه، وقال لها: اضدُقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عروة: فعتب على من قاله، فقال: لا، والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على تير الذهب الأحمر. وبلغ ذلك الرجل الذي قيل له، فقال: سبحان الله ما كشفت كُفَّ أنثى قط. فقتل شهيدا في سبيل الله. قالت عائشة: فأما زينب بنت جحش، فعصمها الله بدینها، فلم تقل إلا خيرا وأما حَمْنَةُ أختها، فهلكت فيمن هلك. وكان الذين تكلموا فيه: المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان يستوشيه ويجمعه، وهو الذي تولى كِبْرَهُ، وَمِسْطَحًا، وحسيان بن ثابت، فحلف أبو بكر أن لا ينفذ مِسْطَحًا بنافعة، فأنزل الله: وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ، أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَّ الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ يَعْنِي مِسْطَحًا، أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ قال أبو بكر: بلى والله، إنا لنحب أن يغفر الله لنا وعاد أبو بكر لِمِسْطَحٍ بما كان يصنع به. 19569- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا محمد بن بشر، قال: حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا، قال: خرجت عائشة تريد المَدَّهَبَ، ومعها أم مسطح.

وكان مسطح بن أثانة ممن قال ما قال. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل ذلك، فقال: «كَيْفَ تَرَوْنَ فِيمَنْ يُؤْذِينِي فِي أَهْلِي وَيَجْمَعُ فِي بَيْتِهِ مَنْ يُؤْذِينِي؟» فقال سعد بن معاذ: أي رسول الله، إن كان منا معشر الأوس جلدنا رأسه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا فأطعنناك. فقال سعد بن عبادة: يا ابن معاذ، والله ما بك نُصْرَةٌ رسول الله، ولكنها قد كانت ضغائن في الجاهلية وإحزناً لم تحلل لنا من صدوركم بعد فقال ابن معاذ: الله أعلم ما أردت. فقام أسيد بن حضير، فقال: يا ابن عبادة، إن سعدا ليس شديداً، ولكنك تجادل عن المنافقين وتدفع عنهم. وكثر اللعظ في الحيين في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على المنبر، فما زال النبي صلى الله عليه وسلم

يوميء بيده إلى الناس ههنا وههنا، حتى هدا الصوت. وقالت عائشة: كان الذي تولى كبره، والذي يجمعهم في بيته، عبد الله بن أبي سلول. قالت: فخرجت إلى المذهب ومعى أم مسطح، فعرثت، فقالت: تعس مسطح فقلت: غفر الله لك، أتقولين هذا لابنك ولصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت ذلك مرتين، وما شعرت بالذي كان. فحدثت، فذهب عنى الذي خرجت له، حتى ما أجد منه شيئاً. ورجعت على أبوي أبي بكر وأم رومان، فقلت: أما اتقيتما الله في وما وصلتما رحمي؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال، وتحدثت الناس بالذي تحدثوا به ولم تعلماني فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: أي بنية، والله لقلما أحب رجل قط امرأته إلا قالوا لها نحو الذي قالوا لك أي بنية أرجعي إلى بيتك حتى نأتيك فيه فرجعت وارتكبتني صالِبٌ من حُمى، فجاء أبواي فدخلوا، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على سريري وجاهي، فقالا: أي بنية، إن كنت صنعت ما قال الناس فاستغفري الله، وإن لم تكوني صنعتيه فأخبرني رسول الله بعذرك قلت: ما أجد لي ولكم إلا كابي يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. قالت: فالتمست اسم يعقوب، فما قدرت، أو فلم أقدر عليه. فشخص بصر رسول الله إلى السقف، وكان إذا تزل عليه وجد، قال الله: إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً فوالذي هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب، ما زال يضحك حتى إنى لأنظر إلى نواجذه سرورا، ثم مسح عن وجهه، فقال: «يا عائشة أبشري، قد أنزل الله عذرك» قلت: بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك قال الله: إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم... حتى بلغ: ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة. وكان أبو بكر جلف أن لا ينفع مسطحا بنافعة، وكان بينهما رحم، فلما أنزلت: ولا يأتل أولو الفضل منكم... حتى بلغ: وإله عفو رحيم قال أبو بكر: بلى، أي رب فعاد إلى الذي كان لمسطح إن الذين يزموون المخصنات... حتى بلغ: أولئك مبترؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم. قالت عائشة: والله ما كنت أرجو أن ينزل في كتاب ولا أطمع به، ولكن أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تذهب ما في نفسه. قالت: وسأل الجارية الحبشية، فقالت: والله لعائشة أطيب من طيب الذهب، وما بها عيب إلا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها، ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرتك الله قال: فعجب الناس من فقهها.

القول في تأويل قوله تعالى: {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ} .  
وهذا عتاب من الله تعالى ذكره أهل الإيمان به فيما وقع في أنفسهم من إرجاف من أَرْجَفَ في أمر عائشة بما أَرْجَفَ به. يقول لهم تعالى ذكره: هلا أيها الناس إذ سمعتم ما قال أهل الإفك في عائشة ظنّ المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيرا يقول: ظننتم بمن قُرف بذلك منكم خيرا، ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة. وقال «بأنفسهم» لأن أهل الإسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة، لأنهم أهل ملة واحدة. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19570- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن أبيه، عن بعض رجال بني النجار، أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أم أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك. قال: فلما نزل القرآن، ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا، ثم قال: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ... الآية: أي كما قال أبو أيوب وصاحبه.

19571- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ما هذا الخير؟ ظنّ المؤمن أن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه، وأن الأم لم تكن لتفجر بابنها، إن أراد أن يفجر فجر بغير أمه. يقول: إنما كانت عائشة أمًا، والمؤمنون بنون لها، محرّمًا عليها، وقرأ: لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ... الآية.

19572- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، قوله: ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا قال لهم خيرا، ألا ترى أنه يقول: لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ يقول: بعضكم بعضا، وسلموا على أنفسكم، قال: يسلم بعضكم على بعض.

19573- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا هُوَذَة، قال: حدثنا عوف عن الحسن، في قوله: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات.

وقوله: وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ يقول: وقال المؤمنون والمؤمنات: هذا الذي سمعناه من القول الذي رُمِيَ به عائشة من الفاحشة: كذب وإثم، بين لمن عقل وفكر فيه أنه كذب وإثم وبهتان. كما:

19574- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا هُوَذَة، قال: أخبرنا عوف عن الحسن: وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ قالوا: إن هذا لا ينبغي أن يتكلم به إلا من أقام عليه أربعة من الشهود وأقيم عليه حدّ الزنا.

### الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا أَلِيمٌ} .

يقول تعالى ذكره: هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاءوا بالإفك، ورموا عائشة بالبهتان، بأربعة شهداء يشهدون على مقاتلتهم فيها وما رَمَوْهَا بِهِ فإذا لم يأتوا بالشهداء الأربعة على حقيقة ما رَمَوْهَا بِهِ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا أَلِيمٌ

هُمُ الْكَاذِبُونَ يَقُولُ: فَالْعُصْبَةُ الَّذِينَ رَمَوْهَا بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ فِيمَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْإِفْكِ.

### الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَقْسَمْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.  
يقول تعالى ذكره: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَبْهَاطُ الْخَائِضُونَ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ، الْمُشْتَبِعُونَ فِيهَا الْكُذْبَ وَالْإِثْمَ، بِتَرْكِهِ تَعْجِيلَ عِقَابِكُمْ وَرَحْمَتِهِ إِيَّاكُمْ، لَعَفَوْهُ عَنْكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِقَبُولِ تَوْبَتِكُمْ مِمَّا كَانَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ، لَمَسَّكُمْ فِيمَا خَضْتُمْ فِيهِ مِنْ أَمْرِهَا عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا عَذَابٌ عَظِيمٌ. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:  
19575- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ هَذَا لِلَّذِينَ تَكَلَّمُوا فَنَشَرُوا ذَلِكَ الْكَلَامَ، لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَقْسَمْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

### الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ تَلَقَّوْتَهُ بِاللَّيْتِيكُمُ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ}.  
يقول تعالى ذكره: لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَقْسَمْتُمْ فِيهِ مِنْ شَأْنِ عَائِشَةَ عَذَابٌ عَظِيمٌ، حِينَ تَلَقَّوْنَهُ بِاللَّيْتِيكُمُ. و«إذ» من صلة قوله «لمسكم». ويعني بقوله: تَلَقَّوْتَهُ تَلَقُّونَ الْإِفْكَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْعُصْبَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَتَقْبَلُونَهُ، وَيُرْوِيهِ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ يُقَالُ: تَلَقَّيْتُ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ فُلَانٍ، بِمَعْنَى أَخَذْتَهُ مِنْهُ وَقِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ فِيمَا ذُكِرَ يَلْقَى آخَرَ فَيَقُولُ: أَوْ مَا بَلَغَكَ كَذَا وَكَذَا عَنْ عَائِشَةَ؟ لِيُشَبِّعَ عَلَيْهَا بِذَلِكَ الْفَاحِشَةَ. وذكر أنها في قراءة أبي: «إِذْ تَلَقَّوْتَهُ» بتاءين، وعليها قَرَأَهُ الْأَمْصَارِيُّ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَرَعُوهَا: تَلَقَّوْتَهُ بِنَاءٍ وَاحِدَةٍ، لِأَنَّهَا كَذَلِكَ فِي مَصَاحِفِهِمْ. وقد رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ فِي ذَلِكَ، مَا:  
19576- حدثني به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا خالد بن نزار، عن نافع، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أنها كانت تقرأ هذه الآية: «إِذْ تَلَقَّوْتَهُ بِاللَّيْتِيكُمُ» تقول: إنما هو وَلَقِ الْكُذْبَ، وتقول: إنما كانوا يَلْقَوْنَ الْكُذْبَ. قال ابن أبي مليكة: وهي أعلم بما فيها أنزلت.

قال نافع: وسمعت بعض العرب يقول: اللَّيْقُ: الْكُذْبُ.  
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا نافع بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الجَمَحِيُّ، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، أنها كانت تقرأ: «إِذْ تَلَقَّوْتَهُ بِاللَّيْتِيكُمُ» وهي أعلم بذلك وفيها أنزلت، قال ابن أبي مليكة: هو من وَلَقِ الْكُذْبَ.  
قال أبو جعفر: وكان عائشة وَجَّهَتْ مَعْنَى ذَلِكَ بِقَرَاءَتِهَا «تَلَقَّوْتَهُ» بِكَسْرِ اللَّامِ وَتَخْفِيفِ الْقَافِ، إِلَى: إِذْ تَسْتَمِرُّونَ فِي كَذِبِكُمْ عَلَيْهَا وَإِفْكَهَا بِاللَّيْتِيكُمُ، كَمَا يُقَالُ: وَلَقِ فُلَانٌ فِي السَّيْرِ فَهُوَ يَلْقَى: إِذَا اسْتَمَرَّ فِيهِ وَكَمَا قَالَ الرَّاجِزُ:

إِنَّ الْجَلِيدَ زَلِقُ وَرَمَلِقَاءُ بِهِ عَسُ مِنْ الشَّامِ تَلِقُمُ  
جَوْعُ الْبَطْنِ كِلَابِيَّ الْخُلُقُ

وقد رُوِيَ عَنْ الْعَرَبِ فِي الْوَلْقِ: الْكُذْبُ: الْإَلْقُ، وَالْإَلْقُ: بَفَتْحِ الْأَلْفِ وَكَسْرِهَا، وَيُقَالُ فِي فَعَلَتْ مِنْهُ: أَلْقَتْ، فَأَنَا أَلِيقُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَنْ لِي بِالْمُزَّرِّ الْيَلَامِقِصَاحِبِ أَذْهَانٍ وَأَلْقَى آلِقِي  
وَالْقِرَاءَةَ الَّتِي لَا أُسْتَجِيزُ بِغَيْرِهَا: إِذْ تَلَقَّوْتُهُ عَلَيَّ مَا ذَكَرْتَ مِنْ قِرَاءَةِ  
الْأَمْصَارِ، لِإِجْمَاعِ الْحِجَّةِ مِنَ الْقِرَاءِ عَلَيْهَا.  
وينحو الذي قلنا من التأويل في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال  
ذلك:

19577- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن  
جريح، عن مجاهد: إِذْ تَلَقَّوْتُهُ بِالسِّيَّتِكُمْ قَالَ: تَرُؤُونَهُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ.  
حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى  
وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن  
أبي نجيح، عن مجاهد: إِذْ تَلَقَّوْتُهُ قَالَ: تَرُؤُونَهُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ.  
قوله: وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ:  
وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الأمر الذي تَرُؤُونَهُ، فتقولون:  
سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا، ولا تعلمون حقيقة ذلك ولا صحته.  
وَخَسْبُوتُهُ هَيْئًا وَتَنْظُونُ أَنْ قَوْلَكُمْ ذَلِكَ وَرَوَايَتِكُمْ بِالسِّيَّتِكُمْ وَتَلْقِيَتِكُمْ  
بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ، هَيْئٌ سَهْلٌ، لَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ فِيهِ وَلَا حَرَجٌ. وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ  
عَظِيمٌ يَقُولُ: وَتَلْقِيَتِكُمْ ذَلِكَ كَلْكٌ وَقَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ، عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ مِنَ  
الْأَمْرِ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَدُّونَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَلِيلَتَهُ.

### الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ  
تَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} .  
يقول تعالى ذكره: فَلَوْلَا أَيُّهَا الْخَائِضُونَ فِي الْإِفْكِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ عَصَبَةٌ  
مِنْكُمْ، إِذْ سَمِعْتُمُوهُ مِمَّنْ جَاءَ بِهِ، قُلْتُمْ مَا يَحِلُّ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا، وَمَا  
يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَفَوَّهُ بِهِ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ، تَنْزِيهَا لَكَ يَا رَبِّ وَبِرَاءَةٌ  
إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هُوَءًا هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَقُولُ: هَذَا الْقَوْلُ بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.

### الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ  
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} .  
يقول تعالى ذكره: يذكركم الله وينهاكم بأي كتابه، لئلا تعودوا لمثل  
فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة من تلقيتكم الإفك الذي روي عليها  
بألسنتكم، وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبداً. إِنْ كُنْتُمْ  
مُؤْمِنِينَ يَقُولُ: إِنْ كُنْتُمْ تَتَعَطَّوْنَ بَعْضَاتِ اللَّهِ وَتَأْتَمِرُونَ لِأَمْرِهِ وَتَنْتَهُونَ عَمَّا  
نَهَاكُمْ عَنْهُ.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:  
19578- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في  
قوله: وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ قَالَ: وَالَّذِي هُوَ خَيْرٌ لَنَا مِنْ  
هَذَا، أَنْ اللَّهُ أَعْلَمْنَا هَذَا لِكَيْلَا نَقَعَ فِيهِ، لَوْلَا أَنْ اللَّهُ أَعْلَمْنَا لَهَلَكْنَا كَمَا هَلَكَ  
الْقَوْمُ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَنَا سَمِعْتُهُ وَلَمْ أَخْتَرِقْهُ وَلَمْ أَتَقَوْلْهُ، فَكَانَ خَيْرًا  
حِينَ أَعْلَمْنَاهُ اللَّهُ، لئلا ندخل في مثله أبداً، وهو عند الله عظيم. وقوله:  
وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ: وَيَفْصِلُ اللَّهُ لَكُمْ حُجَجَهُ عَلَيْكُمْ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، لِتَبَيِّنِ  
المطبع له منكم من العاصي، والله عليم بكم وبأفعالكم، لا يخفي عليه  
شيء، وهو مجاز المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته، حكيم في

تدبير خلقه وتكليفه ما كلفهم من الأعمال وفرضه ما فرض عليهم من الأفعال.

### الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: { وَبَيَّنَّا لِلَّهِ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم, لهم عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: لهم عذاب وجيع في الدنيا, بالحد الذي جعله الله حدًا لرامي المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك, وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مُصِرًّا على ذلك غير تائب. كما:

19579- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ قَالَ: تظهر في شأن عائشة.

19580- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ: الخبيث عبد الله بن أبي ابن سلول, المنافق, الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية, لهم عَذَابٌ أَلِيمٌ.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ قَالَ: تظهر يتحدث عن شأن عائشة.

وقوله: وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ يقول تعالى ذكره: والله يعلم كذب الذين جاءوا بالإفك من صدقهم, وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك لأنكم لا تعلمون الغيب, وإنما يعلم ذلك علام الغيوب. يقول: فلا تَرَوْا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله, ولا سيما على حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم, فتهلكوا.

### الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولولا أن تفضل الله عليكم أيها الناس ورحمكم, وأن الله ذو رأفة, ذو رحمة بخلقه, لهلكتم فيما أفضتم فيه وعاجلنكم من الله العقوبة. وترك ذكر الجواب لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده, وهو قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ... الآية.

### الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله, لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ولا تقتفوا آثاره, بإشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا وإذا عتكموها فيهم وروايتكم ذلك عن جاء به, فإن الشيطان يأمر بالفحشاء وهي الزنا والمنكر من القول.



وقد بيّنا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهد ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع.

## الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم، ما تطهر منكم من أحد أبدا من دنس ذنوبه وشركه، ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19581- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا} يقول: ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه، ولم يتق شيئا من الشر يدفعه عن نفسه.

19582- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا} قال: ما زكى: ما أسلم. وقال: كل شيء في القرآن من «زكى» أو «تركى» فهو الإسلام.

وقوله: {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} يقول: والله سميع لما تقولون بأفواهكم وتلقونه بالسنتكم وغير ذلك من كلامكم، عليم بذلك كله وبغيره من أموركم، محيط به محصيه عليكم، ليجازيكم بكل ذلك.

## الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقَرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولا يحلف بالله ذوو الفضل منكم، يعني ذوي التفضل والسعة يقول: وذوو الجدة.

وواختلف القراء في قراءة قوله: {وَلَا يَأْتَلِ} فقرأته عامة قراء الأمصار: ولا يأتل بمعنى: يفتعل من الألية، وهي القسم بالله سوى أبي جعفر وزيد بن أسلم، فإنه ذكر عنهما أنهما قرأ ذلك: «وَلَا يَتَأَلَّ» بمعنى: يتفعل، من الألية.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ: ولا يأتل بمعنى يفتعل من الألية وذلك أن ذلك في خط المصحف كذلك، والقراءة الأخرى مخالفة خط المصحف، فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء وصحة المقروء به أولى من خلاف ذلك كله. وإنما عني بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حلفه بالله لا ينفق على مسطح، فقال جل ثناؤه: ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون بالله ألا يعطوا ذوي قرابتهم فيصلوا به أرحامهم، كما مسطح، وهو ابن خالة أبي بكر. والمساكين: يقول: وذوي حلة الحاجة، وكان مسطح منهم، لأنه كان فقيرا محتاجا. والمهاجرين في سبيل الله وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء الله، وكان مسطح منهم لأنه كان ممن هاجر من

مكة إلى المدينة، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا. وَلَيَعْفُوا يَقُولُ وَلَيَعْفُوا عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ جُرْمٍ، وَذَلِكَ كَجُرْمِ مِسْطَحٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فِي إِشَاعَتِهِ عَلَى ابْنَتِهِ عَائِشَةَ مَا أَشَاعَ مِنَ الْإِفْكِ. وَلَيَصْفَحُوا يَقُولُ: وَلَيَتْرَكُوا عَقُوبَتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، بِحَرَمَانِهِمْ مَا كَانُوا يُؤْتُونَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لِيَعُودُوا لَهُمْ إِلَيَّ مِثْلَ الَّذِي كَانُوا لَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ. أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ يَقُولُ: أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَسْتِرَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُنُوبَكُمْ بِإِفْضَالِكُمْ عَلَيْهِمْ، فَيَتْرَكَ عَقُوبَتَكُمْ عَلَيْهَا. وَاللَّهُ عَفُورٌ لَذُنُوبٍ مِنْ أَطَاعِهِ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ، رَحِيمٌ بِهِمْ أَنْ يَعْدِبَهُمْ مَعَ اتِّبَاعِهِمْ أَمْرَهُ وَطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، عَلَى مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ زَلَّةٍ وَهَفْوَةٍ قَدْ اسْتَغْفَرُوهُ مِنْهَا وَتَابُوا إِلَيْهِ مِنْ فَعْلِهَا. وَيُنْحُو الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

19583- حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصِ اللَّيْثِيِّ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ، وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ، عَنْ عَائِشَةَ. قَالَ: وَثْنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ. قَالَ: وَثْنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثْنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بِنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ عِمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَ هَذَا يَعْنِي قَوْلَهُ: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ فِي عَائِشَةَ، وَفِي مَنْ قَالَ لَهَا مَا قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ يَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ وَحَاجَتِهِ: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا وَلَا أَنْفَعُهُ بِنَفْعِ أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ وَأَدْخَلَ عَلَيْهَا مَا أَدْخَلَ قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ... الْآيَةَ. قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحَبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ نَفَقَتَهُ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزَعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

19584- حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ قَلْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: ثْنِي مَعَاوِيَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ يَقُولُ: لَا تُفْسِمُوا أَلَّا تَنْفَعُوا أَحَدًا.

19585- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثْنِي أَبِي، قَالَ: ثْنِي عَمِي، قَالَ: ثْنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِ رَمَوْا عَائِشَةَ بِالْقَبِيحِ وَأَفْسَدُوا ذَلِكَ وَتَكَلَّمُوا بِهِ، فَأَقْسَمَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، أَلَّا يَتَصَدَّقَ عَلَى رَجُلٍ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا وَلَا يَصِلُهُ، فَقَالَ: لَا يُقْسِمُ أُولُوا الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يَصِلُوا أَرْحَامَهُمْ وَأَنْ يَعْطُوهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ كَالَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَ قَبْلَ ذَلِكَ. فَأَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُعْفَرَ لَهُمْ وَأَنْ يُعْفَى عَنْهُمْ.

19586- حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ عَذْرَ عَائِشَةَ مِنَ السَّمَاءِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَآخَرُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: وَاللَّهِ لَا يَصِلُ رَجُلًا مِنْهُمْ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ مِنْ شَأْنِ عَائِشَةَ وَلَا نَنْفَعُهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ يَقُولُ: وَلَا يَحْلِفُ.

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَى قَالَ: كَانَ مِسْطَحٌ ذَا

قراءة. وَالْمَسَاكِينَ قَالَ: كَانَ مَسْكِينًا. وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ بَدْرِيًّا.

19587- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْقَضَلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ حَلَفَ أَنْ لَا يَنْفَعُ يَتِيمًا فِي جِرِّهِ كَانَ أَشَاعَ ذَلِكَ. فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ قَالَ: بَلَى أَنَا أَحَبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَلَا كُونَ لِيَتِيمِي خَيْرًا مَا كُنْتُ لَهُ قَطًّا.

### الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.  
يقول تعالى ذكره: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ بِالْفَاحِشَةِ الْمُحْصَنَاتِ يَعْنِي الْعَفِيفَاتِ الْغَافِلَاتِ عَنِ الْفَوَاحِشِ الْمُؤْمِنَاتِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَقُولُ: أُنْعِدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمُحْصَنَاتِ اللَّاتِي هَذَا حُكْمُهُنَّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا ذَلِكَ لِعَائِشَةَ خَاصَّةً، وَحُكْمٌ مِنَ اللَّهِ فِيهَا وَفِي مَنْ رَمَاهَا، دُونَ سَائِرِ نِسَاءِ أُمَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

19588- حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد، قال: حدثنا خَصِيفٌ، قَالَ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: الزَّانَا أَشَدُّ أَمْ قَذْفُ الْمُحْصَنَةِ؟ فَقَالَ: الزَّانَا. فَقُلْتُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ... الْآيَةَ؟ قَالَ سَعِيدٌ: إِنَّمَا كَانَ هَذَا لِعَائِشَةَ خَاصَّةً.

19589- حدثنا أحمد بن عبدة الصبي، قال: حدثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، قال: قالت عائشة: رُميت بما رُميت به وأنا غافلة، فبلغني بعد ذلك، قالت: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي جالس، إذ أوحى إليه، وكان إذا أوحى إليه أخذه كهيئة السبات. وإنه أوحى إليه وهو جالس عندي، ثم استوى جالساً يمسح عن وجهه، وقال: «يا عائشة أبشيري» قالت: فقلت: بحمد الله لا بحدك فقراً: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ... حَتَّى بَلَغَ: أَوْلَيْكَ مَبْرُؤُونَ وَمَا يَقُولُونَ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ لِأَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ النِّسَاءِ غَيْرِهِنَّ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

19590- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ... الْآيَةَ، أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً. وَقَالَ آخَرُونَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي شَأْنِ عَائِشَةَ، وَعُنِيَ بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. قَالُوا: فَذَلِكَ حُكْمٌ كُلُّ مَنْ رَمَى مُحْصَنَةً لَمْ تَقَارَفْ سُوءًا. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

19591- حدثنا علي بن سهل، قال: حدثنا زيد، عن جعفر بن برقان، قال: سألت ميمونا، قلت: الذي ذكر الله: الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... إِلَى قَوْلِهِ: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ فَجَعَلَ فِي هَذِهِ تَوْبَةً، وَقَالَ فِي الْآخِرَةِ: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ... إِلَى قَوْلِهِ: لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ؟ قَالَ مِيمُونٌ: أَمَا

الأولى فعسى أن تكون قد قارفت, وأما هذه فهي التي لم تقارف شيئا من ذلك.

19592- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا العوام بن حوشب, عن شيخ من بني أسد, عن ابن عباس, قال: فسّر سورة النور, فلما أتى على هذه الآية: **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ... الآية**, قال: هذا في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم, وهي مبهمة, وليست لهم توبة. ثم قرأ: **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... إلى قوله: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا... الآية**, قال: فجعل لهؤلاء توبة, ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة. قال: فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسّر سورة النور.

19593- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** قال: هذا في عائشة, ومن صنع هذا اليوم في المسلمات فله ما قال الله, ولكن عائشة كانت إمام ذلك. وقال آخرون: نزلت هذه الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم, فكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة فأوجب الجلد وقبل التوبة. ذكر من قال ذلك:

19594- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ... إلى: عَذَابٌ عَظِيمٌ** يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم, رماهن أهل النفاق, فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباءوا بسخط من الله. وكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم, ثم نزل بعد ذلك: **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... إلى قوله: فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ** فأنزل الله الجلد والتوبة, فالتوبة تُقبل, والشهادة ترد.

وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة, والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها.

وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب, لأن الله عمّ بقوله: **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ كُلَّ مُحْصَنَةٍ غَافِلَةٍ مُؤْمِنَةٍ** رماها رام بالفاحشة, من غير أن يحض بذلك بعضا دون بعض, فكل رام محصنة بالصفة التي ذكر الله جل ثناؤه في هذه الآية فملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم, إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته, فإن الله دل باستثنائه بقوله: **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا** على أن ذلك حكم رامي كل محصنة بأي صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية, وعلى أن قوله: **لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ, وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** معناه: لهم ذلك إن هلكوا ولم يتوبوا.

## **الآية : 24**

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ولهم عذاب عظيم يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ ف«اليوم» الذي في قوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ من صلة قوله: وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. وَغَيْبِي بقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ يوم القيامة وذلك حين يجحد أحدهما ما اكتسب في الدنيا من الذنوب عند تقرير الله إياه بها، فيختم الله على أفواههم، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

فإن قال قائل: وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم؟ قيل: غُيِبَ بذلك أن السنة بعضهم تشهد إلى بعض، لا أن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه. وقد:

19595- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو، عن درّاج، عن أبي الهيثمي، عن أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عُرِفَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ، فَجَحَدَ وَخَاصَمَ، فَيُقَالُ لَهُ: هَؤُلَاءِ جِبْرَائِلُ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ: كَذَبُوا فَيَقُولُ: أَهْلَكَ وَعَشِيرَتَكَ، فَيَقُولُ: كَذَبُوا فَيَقُولُ: أَتَخْلِفُونَ؟ فَيَخْلِفُونَ. ثُمَّ يُصْمِتُهُمُ اللَّهُ، وَتَشْهَدُ أَلْسِنُهُمْ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ.»

## الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ}.

يقول تعالى ذكره: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحق على أعمالهم. والدّين في هذا الموضوع: الحساب والجزاء، كما:

19596- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ يقول: حسابهم. واختلفت القراء في قراءة قوله: الْحَقَّ فقراءته عامة قراء الأمصار: دِينَهُمُ الْحَقَّ نصبا على النعت للدين، كأنه قال: يوفيهم الله أعمالهم حقا. ثم أدخل في الحقّ الألف واللام، فنصب بما نصب به الدين. وذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك: «يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ» برفع «الحق» على أنه من نعت الله.

19597- حدثنا بذلك أحمد بن يوسف، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا يزيد، عن جرير بن حازم، عن حميد، عن مجاهد، أنه قرأها «الحق» بالرفع. قال جرير: وقرأتها في مصحف أبي بن كعب يُوقِفُهُمُ اللَّهُ الْحَقَّ دِينَهُمْ.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، وهو نصب «الحق» على إتباعه إعراب «الدين» لإجماع الحجة عليه. وقوله: وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ يقول: ويعلمون يومئذ أن الله هو الحقّ الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب، ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون.

## الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {الْحَبِيبَاتِ لِلْحَبِيبِينَ وَالْحَبِيبُونَ لِلْحَبِيبَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: معناه: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال, والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول, والطيبات من القول للطيبين من الناس, والطيبون من الناس للطيبات من القول. ذكر من قال ذلك:

19598- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ يَقُول: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال, والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول.

وقوله: وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ يَقُول: الطيبات من القول للطيبين من الرجال, والطيبون من الرجال للطيبات من القول. نزلت في الذين قالوا في زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان. ويقال: الخبيثات للخبيثين: الأعمال الخبيثة تكون للخبيثين, والطيبات من الأعمال تكون للطيبين.

19599- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عثمان بن الأسود, عن مجاهد: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس, والطيبات من الكلام للطيبين من الناس. حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

19600- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا

عيسى عن ابن أبي نجيح, في قول الله: الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ قَالَ: الطيبات: القول الطيب يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن والخبيثات: القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر. أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ وذلك أنه برأ كليهما مما ليس بحق من الكلام.

19601- حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن

ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ يَقُول: الخبيثات والطيبات: القول السيء والحسن للمؤمنين الحسن وللكافرين السيء. أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبه فهي للمؤمنين, وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين, كل برىء مما ليس بحق من الكلام.

19602- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن

أبي نجيح, عن مجاهد: الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ قَالَ: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس, والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام. حدثنا الحسن قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد, مثله.

19603- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد,

قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ... الآية, يقول: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال, والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول, والطيبات من القول للطيبين من الرجال, والطيبون من الرجال للطيبات من القول. فهذا في الكلام, وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا, هم الخبيثون. والطيبون هم المبرءون مما قال الخبيثون.

19604- حدثنا أبو زرعة، قال حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سلمة، يعني ابن نبيط الأشجعي، عن الضحاك: الخبيثات للخبيثين، والخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس.  
19605- قال: حدثنا قبيصة، قال: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح وعثمان بن الأسود، عن مجاهد: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات من الناس، والخبيثات من الناس للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول.

19606- قال: حدثنا عن خصيف، عن سعيد بن جبير، قال: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات من الناس، والخبيثات من القول للخبيثات من الناس، والطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول.

19607- قال: ثني محمد بن بكر بن مقدم، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، عن عبد الملك، يعني ابن أبي سليمان، عن القاسم بن أبي بزة، عن سعيد بن جبير، عن مجاهد: والخبيثون للخبيثات من الناس.

19608- قال: حدثنا عباس بن الوليد الرسي، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات يقول: الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل.

19609- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء، قال: الطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، قال: الطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول، والخبيثات من القول للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء. ذكر من قال ذلك:

19610- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية، فبرأها الله من ذلك. وكان عبد الله بن أبي هو خبيث، وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا، وكان أولى أن تكون له الطيبة. وكانت عائشة الطيبة، وكان أولى أن يكون لها الطيب. أولئك مبرءون مما يقولون قال: ها هنا برئت عائشة. لهم مغفرة ورزق كريم.

وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية قول من قال: عني بالخبيثات: الخبيثات من القول وذلك قبيحه وسيئه للخبيثين من الرجال والنساء، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول هم بها أولى، لأنهم أهلها.



والطيبات من القول وذلك حسنه وجميله للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول لأنهم أهلها وأحقّ بها. وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية، لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الإفك، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات، وإخبارهم ما خصّهم به على إفكهم، فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالإفك من الرامي والمرمي به أشبه من الخبر عن غيرهم.

وقوله: **أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ** يقول: الطيبون من الناس مبرّءون من خبيثات القول، إن قالوها فإن الله يصفح لهم عنها ويغفرها لهم، وإن قيلت فيهم ضرّت قائلها ولم تضرّهم، كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به لأن الله لا يتقبّله، ولو قيلت له لضرّته لأنه يلحقه عارها في الدنيا وذلها في الآخرة. كما:

19611- حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ** فمن كان طيباً فهو مبرأ من كل قول خبيث، يقول: يغفره الله ومن كان خبيثاً فهو مبرأ من كل قول صالح، فإنه يرده الله عليه لا يقبله منه. وقد قيل: **عُنِي** بقوله: **أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ** عائشة وصفوان بن المعطل الذي رُميت به. فعلى هذا القول قيل «أولئك» فجمع، والمراد «ذانك»، كما قيل: فإن كان له إخوة، والمراد أخوان.

وقوله: **لَهُمْ مَغْفِرَةٌ** يقول لهؤلاء الطيبين من الناس مغفرة من الله لذنوبهم، والخبيث من القول إن كان منهم. **وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** يقول: ولهم أيضاً مع المغفرة عطية من الله كريمة، وذلك الجنة، وما أعدّ لهم فيها من الكرامة. كما:

19612- حدثنا أبو زرعة، قال: حدثنا العباس بن الوليد الرسي، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: **لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في الجنة.

## **الآية : 27**

القول في تأويل قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}**. اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: تأويله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا. ذكر من قال ذلك:

19613- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ: «لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا» قال: وإنما «تستأذنوا» وهم من الكتاب.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية: لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا وقال: إنما هي خطأ من الكاتب: «حتى تستأذنوا وتسلموا».

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، بمثله، غير أنه قال: إنما هي حتى تستأذنوا، ولكنها سقطت من الكاتب.

19614- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا معاذ بن سليمان, عن جعفر بن إياس, عن سعيد, عن ابن عباس: حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا قَالَ: أَخْطَأُ الْكَاتِبَ. وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: «حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا» وَكَانَ يَقْرؤها عَلَى قِرَاءَةِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ.

19615- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش أنه كان يقرأها: «حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا» قَالَ سَفِيَانُ: وَبَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقْرؤها: «حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا» وَقَالَ: إِنَّهَا خَطَأٌ مِنَ الْكَاتِبِ.

19616- حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا قَالَ: الْاِسْتِنَاسُ: الْاِسْتِئْذَانُ.

19617- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم, قال: في مصحف ابن مسعود: «حَتَّى تُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا».

قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا جعفر بن إياس, عن سعيد, عن ابن عباس أنه كان يقرأها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا» قَالَ: وَإِنَّمَا تَسْتَأْنِسُوا وَهَمٌّ مِنَ الْكُتَّابِ.

19618- قال: حدثنا هشيم, قال مغيرة, قال مجاهد: جاء ابن عمر من حاجة وقد آذاه الرَّمْضَاءُ, فَاتَى فُسْطَاطَ امْرَأَةٍ مِنْ قَرِيْشٍ, فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ, أَدْخَلَ؟ فَقَالَتْ: ادْخُلْ بِسَلَامٍ فَأَعَادَ, فَأَعَادَتْ, وَهُوَ يَرَاوِحُ بَيْنَ قَدَمَيْهِ, قَالَ: قَوْلِي ادْخُلْ قَالَتْ: ادْخُلْ فَدَخَلَ.

19619- قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا منصور, عن ابن سيرين, وأخبرنا يونس بن عبيد, عن عمرو بن سعيد الثقفي: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فَقَالَ: أَلِجْ أَوْ أَتَلِجْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأُمَّةٍ لَهُ يُقَالُ لَهَا رَوْضَةٌ: «قَوْمِي إِلَى هَذَا فَكَلِمَتِي, فَإِنَّهُ لَا يُحْسِنُ يَسْأَلُنِي, فَقَوْلِي لَهُ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ, أَدْخُلْ؟» فَسَمِعَهَا الرَّجُلُ, فَقَالَهَا, فَقَالَ: «أَدْخُلْ».

19620- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, قوله: حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا قَالَ: الْاِسْتِئْذَانُ, ثُمَّ نُسِخَ وَاسْتَنْتَنِي: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ.

19621- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا أبو حمزة, عن المغيرة, عن إبراهيم, قوله: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ قَالَ: حَتَّى تَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا.

19622- حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا قَالَ: حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا.

19623- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أشعث بن سوار, عن كردوس, عن ابن مسعود, قال: عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم.

قال أشعث عن عدي بن ثابت: أن امرأة من الأنصار, قالت: يا رسول الله, إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها والد

ولا ولد، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا عليّ تلك الحال؟ قال: فنزلت: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها... الآية.

وقال آخرون: معنى ذلك: حتى تُؤنسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم وما أشبهه، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم. ذكر من قال ذلك: 19624- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله: لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال: حتى تتنحوا وتتخموا.

حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

19625- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: حتى تستأنسوا قال: حتى تجرّسوا وتسلموا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: حتى تستأنسوا قال: تتنحوا وتتخموا.

19626- قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس، قال: ثلاث آيات قد جدهنّ الناس، قال الله: إن أكرمكم عند الله أتقاكم قال: ويقولون: إن أكرمهم عند الله أعظمهم شأنًا. قال: والإذن كله قد جده الناس فقلت له: أستاذن على أخواتي أيتام في جري معي في بيت واحد؟ قال: نعم، فرددت على من حضرني، فأبى، قال: أتحب أن تراها عريانة؟ قلت: لا. قال: فاستأذن فراجعته أيضاً، قال: أتحب أن تطيع الله؟ قلت: نعم، قال: فاستأذن فقال لي سعيد بن جبير: إنك لثردد عليه قلت: أردت أن يرخص لي.

19627- قال ابن جريج: وأخبرني ابن طاوس، عن أبيه، قال: ما من امرأة أكره إليّ أن أرى كأنه يقول عريتها أو عريانة من ذات محرم. قال: وكان يشدد في ذلك. قال ابن جريج، وقال عطاء بن أبي رباح: وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا، فوجب على الناس أجمعين إذا احتلموا أن يستأذنوا على من كان من الناس. قلت لعطاء: أوجب على الرجل أن يستأذن على أمه ومن وراءها من ذات قرابته؟ قال: نعم. قلت: أيرّ وجب؟ قال قوله: وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا. قال ابن جريج: وأخبرني ابن زياد: أن صفوان مولى لبني زهيرة، أخبره عن عطاء بن يسار: أن رجلاً قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: أستاذن على أمي؟ قال: «نعم». قال: إنها ليس لها خادم غيري، فأستاذن عليها كلما دخلت؟ قال: «أتحب أن تراها عريانة؟» قال الرجل: لا. قال: «فأستاذن عليها». قال ابن جريج عن الزهري، قال: سمعت هزيل بن شرحبيل الأوديّ الأعمى، أنه سمع ابن مسعود يقول: عليكم الإذن على أمهاتكم.

19628- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: أستاذن الرجل على امرأته؟ قال: لا.

19629- حدثنا الحسين، قال: حدثنا محمد بن حازم، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود،

عن زينب قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب، تنحنح وترق، كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه.

19630- حديثي يونس، قال: أخيرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيم في قول الله: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا قال: الاستئناس: التنحنح والتجسس، حتى يعرفوا أن قد جاءهم أحد. قال: والتجسس: كلامه وتنحنحه.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الاستئناس: الاستفعال من الأنس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم، مخبراً بذلك من فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنه أنه داخل عليهم، فليأنس إلى إذنه له في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم. وقد حكي عن العرب سماعاً: اذهب فاستأنس، هل ترى أحداً في الدار؟ بمعنى: انظر هل ترى فيها أحداً؟

فتأويل الكلام إذن، إذا كان ذلك معناه: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا، وذلك أن يقول أحدكم: السلام عليكم، أدخل؟ وهو من المقدم الذي معناه التأخير، إنما هو: حتى تسلموا وتستأذنوا، كما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس. وقوله: ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ يَقُول: استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذي تريدون دخوله، فإن دخولكموه خير لكم لأنكم لا تدرؤن أنكم إذا دخلتموه بغير إذن، على ماذا تهجمون؟ على ما يسوءكم أو يسركم؟ وأنتم إذا دخلتم بإذن، لم تدخلوا على ما تكرهون، وأدبتم بذلك أيضاً حق الله عليكم في الاستئذان والسلام. وقوله: لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ يقول: لتذكروا بفعلكم ذلك أو الله عليكم، واللازم لكم من طاعته، فتطيعوه.

## الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: { فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: فإن لم تجدوا في البيوت التي تستأذنون فيها أحداً يذن لكم بالدخول إليها، فلا تدخلوها، لأنها ليست لكم، فلا يحل لكم دخولها إلا بإذن أربابها، فإن أذن لكم أربابها أن تدخلوها فادخلوها. وإن قيل لكم ارْجِعُوا فَارْجِعُوا يقول: وإن قال لكم أهل البيوت التي تستأذنون فيها ارجعوا فلا تدخلوها، فارجعوا عنها ولا تدخلوها هُوَ أَزْكَى لَكُمْ يقول: رجوعكم عنها إذا قيل لكم ارجعوا، ولم يؤذن لكم بالدخول فيها، أظهر لكم عند الله. وقوله: هُوَ كُنَايَةٌ مِنْ اسْمِ الْفِعْلِ، أَعْنَى مِنْ قَوْلِهِ: فَارْجِعُوا. وقوله: وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ يقول جل ثناؤه: والله بما تعملون من رجوعكم بعد استئذانكم في بويت غيركم إذا قيل لكم ارجعوا وترك رجوعكم عنها وطاعتكم الله فيما أمركم ونهاكم في ذلك وغيره من أمره ونهيه، ذو علم محيط بذلك كله، مُخَصَّصٌ جَمِيعُهُ عَلَيْكُمْ، حَتَّى يَجَازِيَكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ. وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما:

19631- حديثي محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا قَالَ: إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ، فَلَا تَدْخُلُوهَا إِلَّا بِإِذْنٍ. وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.  
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

19632- قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا هاشم بن القاسم المزني, عن قتادة, قال: قال رجل من المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها: أن أستاذن على بعض إخواني, فيقول لي: أرجع, فأرجع وأنا مغتبط, لقوله: وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَازْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ. وهذا القول الذي قاله مجاهد في تأويل قوله: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا بمعنى: إن لم يكن لكم فيها متاع, قول بعيد من مفهوم كلام العرب لأن العرب لا تكاد تقول: ليس بمكان كذا أحد, إلا وهي تعني ليس بها أحد من بني آدم. وأما الأمتعة وسائر الأشياء غير بني آدم ومن كان سبيله سبيلهم فلا تقول ذلك فيها.

### الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} .  
يقول تعالى ذكره: ليس عليكم أيها الناس إثم وحرَج أن تدخلوا بيوتا لا ساكن بها بغير استئذان.

ثم اختلفوا في ذلك أي البيوت عتَى, فقال بعضهم: عتَى بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التي ليس بها سكان معروفون, وإنما بنيت لمازرة الطريق والسابلة ليأووا إليها ويؤووا إليها أمتعتهم. ذكر من قال ذلك:

19633- حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حجاج, عن سالم المكي, عن محمد ابن الحنفية, في قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ قال: هي الخانات التي تكون في الطرق.

19634- حدثني عباس بن محمد, قال: حدثنا مسلم, قال: حدثنا عمر بن قروخ, قال: سمعت قتادة يقول: بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ قال: هي الخانات تكون لأهل الأسفار.

19635- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ قال: كانوا يضعون في بيوت في طرق المدينة متاعا وأقتابا, فرخص لهم أن يدخلوها.

19636- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ قال: هي البيوت التي ينزلها السُّفْر, لا يسكنها أحد.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ قال: كانوا يصنعون أو يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة في بيوت ليس فيها أحد, فأحل لهم أن يدخلوها بغير إذن.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله, إلا أنه قال: كانوا يضعون بطريق المدينة بغير شك.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله, غير أنه قال: كانوا يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة. 19637- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ هِيَ الْبُيُوتُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا أَهْلٌ, وهي البيوت التي يكون بالطرق والحرية. فيها متاعٌ منفعة للمسافر في الشتاء والصيف, يأوي إليها. وقال آخرون: هي بيوت مكة. ذكر من قال ذلك:

19638- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, عن سعيد بن سائق, عن الحجاج بن أرطاة, عن سالم بن محمد ابن الحنفية, في: بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ قال: هي بيوت مكة.

وقال آخرون: هي البيوت الحرة. والمتاع الذي قال الله لكم فيها قضاء الحاجة من الخلاء والبول فيها. ذكر من قال ذلك:

19639- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: سمعت عطاء يقول: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ قال: الخلاء والبول.

19640- حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا حسبي بن عيسى بن زيد, عن أبيه, في هذه الآية: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ قال: التخلي في الخراب. وقال آخرون: بل عني بذلك بيوت التجار التي فيها أمتعة الناس. ذكر من قال ذلك:

19641- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ قال: بيوت التجار, ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير إذن, الحوانيت التي بالقيساريات والأسواق. وقرأ: فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ مَتَاعٌ لِلنَّاسِ, وليني آدم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عَمَّ بقوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ كُلَّ بَيْتٍ لَا سَاكِنَ بِهِ لَنَا فِيهِ مَتَاعٌ بِغَيْرِ إِذْنٍ لِأَنَّ الْإِذْنَ إِنَّمَا يَكُونُ لِيُؤْتَسَ الْمَأْذُونُ عَلَيْهِ قَبْلَ الدَّخُولِ, أو ليأذن للداخل إن كان له مالكا أو كان فيه ساكنا. فاما إن كان لا مالك له, فيحتاج إلى إذنه لدخوله ولا ساكن فيه, فيحتاج الداخل إلى إيناسه والتسليم عليه, لئلا يهجم على ما لا يحب رؤيته منه, فلا معنى للاستئذان فيه. فإذا كان ذلك, فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض, فكل بيت لا مالك له ولا ساكن من بين مبني بعض الطرق للمارة والسابلة ليأووا إليه, أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه, حيث كان ذلك, فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان, لمتاع له يؤويه إليه أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك. وأما بيوت التجار, فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها.

فإن ظنَّ طائر أن التاجر إذا فتح دكانه وقعد للناس فقد أذن لمن أراد الدخول عليه في دخوله, فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنَّ وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره بغير ضرورة أجاته إليه أو بغير سبب أباح له دخوله

إلا بإذن ربه، لا سيما إذا كان فيه متاع فإن كان التاجر قد عُرف منه أن فتحه حانوته إذن منه لمن أراد دخوله في الدخول، فذلك بعد رجوع إلى ما قلنا من أنه لم يدخله من دخله إلا بإذنه. وإذا كان ذلك كذلك، لم يكن من معنى قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ فِي شَيْءٍ، وذلك أن التي وضع الله عنا الجناح في دخولها بغير إذن من البيوت، هي ما لم يكن مسكونا، إذ حانوت التاجر لا سبيل إلى دخوله إلا بإذنه وهو مع ذلك مسكون، فتبين أنه مما عَنَى اللهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ بِمَعزَلٍ.

وقال جماعة من أهل التأويل: هذه الآية مستثناة من قوله: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا. ذكر من قال ذلك: 19642. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ثُمَّ نَسَخَ وَاسْتَشْنَى فَقَالَ: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ. 19643. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة: حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا... الْآيَةَ، فَنَسَخَ مِنْ ذَلِكَ، وَاسْتَشْنَى فَقَالَ: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ. وليس في قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ دلالة على أنه استثناء من قوله: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ قوله: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا عَلَى أَهْلِهَا حكم من الله في البيوت التي لها سكان وأرباب. وقوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ حكم منه في البيوت التي لا سكان لها ولا أرباب معروفون، فكل واحد من الحكمين حكم في معنى غير معنى الآخر، وإنما يستثنى الشيء من الشيء إذا كان من جنسه أو نوعه في الفعل أو النفس، فأما إذا لم يكن كذلك فلا معنى لاستثنائه منه. وقوله: وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تظهرون أيها الناس بألسنتكم من الاستئذان إذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة، وَمَا تَكْتُمُونَ يَقُولُ: وَمَا تَضْمُرُونَهُ فِي صُدُورِكُمْ عِنْدَ فِعْلِكُمْ ذَلِكَ مَا الَّذِي تَقْصِدُونَ بِهِ: إِطَاعَةَ اللَّهِ وَالْإِنْتِهَاءَ إِلَى أَمْرِهِ، أَمْ غَيْرَ ذَلِكَ؟

### الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } .  
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَبِكُمْ يَا مُحَمَّدُ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ يَقُولُ: يَكْفُوا مِنْ نَظَرِهِمْ إِلَى مَا يَشْتَهُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ مِمَّا قَدْ نَهَاكَمُ اللَّهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ. وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ أَنْ يَرَاهَا مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ رُؤْيُهَا، بَلْبَسَ مَا يَسْتَرُهَا عَنْ أَبْصَارِهِمْ. ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ يَقُولُ: فَإِنَّ غَضَّهَا مِنَ النَّظَرِ عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ وَحِفْظُ الْفَرْجِ عَنْ أَنْ يَظْهَرَ لِأَبْصَارِ النَّاطِرِينَ، أَطَهَرَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأَفْضَلَ. إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ ذُو خَبْرَةٍ بِمَا تَصْنَعُونَ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا أَمَرَكُمُ بِهِ مِنْ غَضِّ أَبْصَارِكُمْ عَمَّا أَمَرَكُمُ بِالْغَضِّ عَنْهُ وَحِفْظِ فُرُوجِكُمْ عَنْ إِظْهَارِهَا لِمَنْ نَهَاكَمُ عَنْ إِظْهَارِهَا لَهُ.  
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:



19644- حدثني علي بن سهل الرَّمليّ، قال: حدثنا حجاج، قال: حدثنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية في قوله: **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ** قال: كل فرج دُكِرَ حفظة في القرآن فهو من الزنا، إلا هذه: **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** فإنه يعني الستر.

19645- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ** وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ قال: يغضوا أبصارهم عما يكره الله.

19646- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** قال: يغضّ من بصره: أن ينظر إلى ما لا يحلّ له، إذا رأى ما لا يحلّ له غضّ من بصره، لا ينظر إليه، ولا يستطيع أحد أن يغضّ بصره كله، إنما قال الله: **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**.

### **الآية : 31**

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ خُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ غَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: **وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُؤْمِنَاتِ مِنْ أُمَّتِكَ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ** عما يكره الله النظر إليه مما نهاكم عن النظر إليه **وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** يقول: ويحفظن فروجهن على أن يراها من لا يحلّ له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم. وقوله: **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ** يقول تعالى ذكره: ولا يُظْهَرْنَ للناس الذين ليسوا لهنّ بمحرم زينتهنّ، وهما زينتان: إحداهما: ما خفي، وذلك كالخَلْخال والسَّوارين والقُرْطِين والقلائد. والأخرى: ما ظهر منها، وذلك مختلف في المعنى منه بهذه الآية، فكان بعضهم يقول: زينة الثياب الظاهرة. ذكر من قال ذلك:

19647- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون بن المغيرة، عن الحجاج، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود، قال: الزينة زينتان: فالظاهرة منها الثياب، وما خفي: الخللان والقُرطان والسَّواران.

19648- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني الثوري، عن أبي إسحاق الهمداني، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، أنه قال: **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**: قال: هي الثياب.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، قال: **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا** قال: الثياب.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، مثله.

- قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن مالك بن الحارث, عن عبد الرحمن بن زيد, عن عبد الله, مثله.
- 19649- قال: حدثنا سفيان, عن علقمة, عن إبراهيم, في قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الثياب.
- 19650- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عليه, قال: أخبرنا بعض أصحابنا إما يونس, إما غيره عن الحسن, في قوله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الثياب. حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الثياب. قال أبو إسحاق: ألا ترى أنه قال: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ؟
- 19651- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: حدثنا محمد بن الفضل, عن الأعمش, عن مالك بن الحارث, عن عبد الرحمن بن زيد, عن ابن مسعود: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: هو الرداء. وقال آخرون: الظاهر من الزينة التي أبيح لها أن تديه: الكحل, والخاتم, والسواران, والوجه. ذكر من قال ذلك:
- 19652- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا مروان, قال: حدثنا مسلم الملائني, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الكحل والخاتم.
- 19653- حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي, قال: حدثنا مروان, عن مسلم الملائني, عن سعيد بن جبير, مثله, ولم يذكر ابن عباس.
- 19654- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون, عن أبي عبد الله نهشل, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: الظاهر منها: الكحل والحَدَّان.
- 19655- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الله بن مسلم بن هُرْمَز, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الوجه والكف.
- حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن عبد الله بن مسلم بن هُرْمَز المكي, عن سعيد بن جبير, مثله.
- 19656- حدثني علي بن سهل, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, قال: حدثنا أبو عمرو, عن عطاء في قول الله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الكفان والوجه.
- 19657- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد, عن قتادة قال: الكحل, والسواران والخاتم.
- 19658- حدثني علي, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: والزينة الظاهرة: الوجه, وكحل العين, وخضاب الكف, والخاتم فهذه تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها.
- 19659- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: المسكتان والخاتم والكحل. قال قتادة: وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَجِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُخْرِجَ يَدَهَا إِلَّا إِلَى هَا هُنَا». وقبض نصف الذراع.

19660- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهري, عن رجل, عن المسور بن مخرمة, في قوله: إلا ما ظهر منها قال: القليلين, والخاتم, والكحل: يعني السوار.

19661- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قال: الخاتم والمسكة. قال ابن جريج, وقالت عائشة: القلب والفتحة, قالت عائشة: دخلت عليّ ابنة أخي لأمي عبد الله بن الطفيل مزيّنة, فدخل النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأعرض, فقالت عائشة: يا رسول الله إنها ابنة أخي وجارية. فقال: «إذا عرّكت المرأة لم يحلّ لها أن تظهر إلا وجهها, وإلا ما دون هذا», وقبض على ذراع نفسه, فترك بين قبضته وبين الكفّ مثل قبضة أخرى. وأشار به أبو علي قال ابن جريج, وقال مجاهد: قوله: إلا ما ظهر منها قال: الكحل والخضاب والخاتم.

19662- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عاصم, عن عامر: إلا ما ظهر منها قال: الكحل, والخضاب, والثياب.

19663- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا من الزينة: الكحل, والخضاب والخاتم هكذا كانوا يقولون وهذا يراه الناس.

19664- حدثني ابن عبد الرحيم البرقي, قال: حدثنا عمر بن أبي سلمة, قال: سئل الأوزاعي عن: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قال: الكفين والوجه.

19665- حدثنا عمرو بن بندق, قال: حدثنا مروان, عن جوبير, عن الضحاک في قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ قال: الكفّ والوجه.

وقال آخرون: عني به الوجه والثياب. ذكر من قال ذلك:

19666- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, قال: قال يونس: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قال الحسن: الوجه والثياب.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عدي, وعبد الأعلى, عن سعيد, عن قتادة, عن الحسن, في قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قال: الوجه والثياب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: عني بذلك الوجه والكفان, يدخل في ذلك إذا كان كذلك: الكحل, والخاتم, والسوار, والخضاب.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالتأويل, لإجماع الجميع على أن على كلّ مصل أن يستر عورته في صلاته, وأن المرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها, وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنّها إلا ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه أباح لها أن تبديّه من ذراعها إلى قدر النصف. فإذا كان ذلك من جميعهم إجماعا, كان معلوما بذلك أن لها أن تبدي من بدنّها ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال لأن ما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره. وإذا كان لها إظهار ذلك, كان معلوما أنه مما استثناه الله تعالى ذكره بقوله: إلا ما ظهر منها, لأن كل ذلك ظاهر منها.

وقوله: وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ على جيوبهنّ يقول تعالى ذكره: وليلقين خُمُرهنّ, وهي جمع خمار, على جيوبهنّ, ليسترن بذلك شعورهنّ وأعناقهنّ وفُرطهنّ.

19667- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن حباب, عن إبراهيم بن نافع,  
قال: حدثنا الحسن بن مسلم بن يناق, عن صفية بنت شيبة, عن عائشة,  
قالت: لما نزلت هذه الآية: وَلَيَصْرِبَنَ يَخْمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ قال: شققن  
البُرْدَ مما يلي الحواشي, فاختمرن به.

19668- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, أن قرّة بن عبد الرحمن,  
أخبره, عن ابن شهاب, عن عروة, عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه  
وسلم أنها قالت: يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله:  
وَلَيَصْرِبَنَ يَخْمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ شققن أكثف مروطن, فاختمرن به.  
وقوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ يقول تعالى ذكره: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ  
التي هي غير ظاهرة بل الخفية منها, وذلك الحَلْخَالِ وَالْقُرْطِ وَالذَّمْلَجِ,  
وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب, وما وراء ما أبيض لها كشفه  
وإبرازه في الصلاة وللأجنيبين من الناس, والذراعين إلى فوق ذلك, إِلَّا  
لبعولتهن.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.) ذكر من قال ذلك:

19669- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان,  
عن منصور, عن طلحة بن مُصَرِّف, عن إبراهيم: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا  
لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ قال: هذه ما فوق الذراع.

19670- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا  
شعبة, عن منصور, قال: سمعت رجلاً يحدث عن طلحة, عن إبراهيم, قال  
في هذه الآية: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ قال:  
ما فوق الجيب. قال شعبة: كتب به منصور إليّ, وقرأته عليه.  
19671- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عليه, عن سعيد بن أبي عروبة,  
عن قتادة, في قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ قال: تبدي لهؤلاء  
الرأس.

19672- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن  
عليّ, عن ابن عباس, قال: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ... إلى قوله:

عَوْرَاتِ النِّسَاءِ قال: الزينة التي يبدنها لهؤلاء: قرطاهها وقلادتها وسوارها,  
فأما خلخالها ومعضداتها ونحرها وشعرها فإنه لا تبديه إلا لزوجها.

19673- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال  
ابن جريج, قال ابن مسعود, في قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ قال:  
الطوق والقُرْطَيْنِ, يقول الله تعالى ذكره: قل للمؤمنات الحرائر لا  
يظهرن هذه الزينة الخفية التي ليست بالظاهرة إِلَّا لبعولتهن, وهم  
أزواجهن, واحدهم: بعل, أو لآبائهن, أو لأبناء بعولتهن, أو لإخوانهن, أو لبني  
إخوانهن.

وبعني بقوله: أَوْ لِإِخْوَانِهِنَّ أَوْ لِإِخْوَاتِهِنَّ, أو لبني إخوانهن, أو لبني  
إخواتهن, أو نسائهم. قيل: عني بذلك نساء المسلمين. ذكر من قال  
ذلك:

19674- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن  
جريج, قوله: أَوْ نِسَائِهِنَّ قال: بلغني أنهن نساء المسلمين, لا يحلّ  
لمسلمة أن ترى مشركة عُرْبَتَهَا إِلَّا أَنْ تَكُونَ أُمَّةً لَهَا, فذلك قوله: أَوْ مَا  
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ.

19675- قال: ثني الحسين, قال: ثني عيسى بن يونس, عن هشام بن الغازي, عن عبادة بن نسي, أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة, أو ترى عورتها, ويتأول: أو نسائن.

19676- قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن هشام, عن عبادة, قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عُبَيْدَةَ بن الجراح رحمة الله عليهما: أما بعد, فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات ومعهن نساء أهل الكتاب, فامنع ذلك وُحِّلْ دونه قال: ثم إن أبا عُبَيْدَةَ قام في ذلك المقام مبتهلاً: اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم تريد البياض لوجهها, فسود وجهها يوم تبيض الوجوه.

وقوله: أو ما مَلَكْتُ أَيْمَانَهُنَّ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: أو مما ليكهن, فإنه لا بأس عليها أن تظهر لهم من زينتها ما تظهره لهؤلاء. ذكر من قال ذلك:

19677- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, قال: أخبرني عمرو بن دينار, عن مخلد التميمي, أنه قال, في قوله: أو ما مَلَكْتُ أَيْمَانَهُنَّ قال: في القراءة الأولى: «أيمانكم». وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو ما ملكت أيمانهن من إماء المشركين, كما قد ذكرنا عن ابن جُرَيْج قبل من أنه لما قال: أو نسائن عَنَى بهن النساء المسلمات دون المشركات, ثم قال: أو ما ملكت أيمانهن من الإماء المشركات.

يقول تعالى ذكره: والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم, ممن لا أرب له في النساء من الرجال, ولا حاجة إليهن, ولا يريدهن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19678- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن ابن عباس, قوله: أو التَّابِعِينَ غير أولى الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ قال: كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الأول لا يغار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده, وهو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء.

19679- حدثني علي, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: أو التَّابِعِينَ غير أولى الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ فهذا الرجل يتبع القوم, وهو مُعَقَّل في عقله, لا يكثرث للنساء ولا يهتبهن, فالزينة التي تبديها لهؤلاء: قرطاهها وقلادتها وسوارها وأما خَلْخَالُهَا ومِعْضَدَاها ونحرها وشعرها, فإنها لا تبديه إلا لزوجها.

19680- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: أو التَّابِعِينَ قال: هو التابع يتبعك يصيب من طعامك.

19681- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسماعيل بن عُلَيْيَّة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أو التَّابِعِينَ غير أولى الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ قال: الذي يريد الطعام ولا يريد النساء.

قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن

أبي نجیح, عن مجاهد, قوله: أو التَّابِعِينَ غير أولی الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ  
الذین لا یهمهم إلا بطونهم, ولا یخافون علی النساء.  
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنی حجاج, عن ابن جُرَیح, عن  
مجاهد, مثله.

19682- حدثنا إسماعیل بن موسی السَّديّ, قال: حدثنا شريك, عن  
منصور, عن مجاهد, في قوله: غير أولی الإِزْبَةِ قال: الأَبْلَه.  
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت ليثا, عن مجاهد,  
قوله: غير أولی الإِزْبَةِ قال: هو الأَبْلَه, الذي لا يعرف شيئاً من النساء.  
حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلیة, قال: حدثنا ابن أبي نجیح, عن  
مجاهد, في قوله: غير أولی الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ الذي لا أرب له بالنساء  
مثل فلان.

19683- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا إسرائيل,  
عن أبي إسحاق عمن حدثه, عن ابن عباس: غير أولی الإِزْبَةِ قال: هو  
الذي لا تستحي منه النساء.

19684- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مُعَيرة, عن الشعبيّ: غير  
أولی الإِزْبَةِ قال: من تَبَعَ الرجل وحشمه الذي لم يبلغ أَرَبه أن يطلع على  
عورة النساء.

19685- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن شعبة, عن  
المغيرة, عن الشعبيّ: غير أولی الإِزْبَةِ قال: الذي لا أرب له في النساء.  
19686- قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا حماد بن سَلَمَة, عن عطاء  
بن السائب, عن سعيد بن جُبیر, قال: المَعْتَوْه.

19687- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن الزهريّ  
في قوله: أو التَّابِعِينَ غير أولی الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ قال: هو الأحمق, الذي لا  
همّة له بالنساء ولا أرب.

19688- وبه عن معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه, في قوله: غير أولی  
الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ يقول: الأحمق, الذي ليست له همّة في النساء.

19689- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنی حجاج, عن ابن  
جُرَیح, قال: قال ابن عباس: الذي لا حاجة له في النساء.

19690- حدثني يونس, اقل: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في  
قوله: أو التَّابِعِينَ غير أولی الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ قال: هو الذي يتَّبَع القوم,  
حتى كان منهم ونشأ فيهم, وليس يتبعهم لإربة نسائهم, وليس له  
في نسائهم إربة, وإنما يتبعهم لإرفاقهم إياه.

19691- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن  
الزهريّ, عن عروة, عن عائشة قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبيّ  
صلی الله عليه وسلم مُحَنَّث, فكانوا يعدّونه من غير أولی الإِربة, فدخل  
عليه النبيّ صلی الله عليه وسلم يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت  
امراًة, فقال: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع, وإذا أدبرت أدبرت بثمان. فقال  
النبيّ صلی الله عليه وسلم: «لا أرى هَذَا يَعْلَمُ ما هَا هُنَا, لا يَدْخُلَنَّ هَذَا  
عَلَيْكُمْ» فَحَجَبُوهُ.

19692- حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحکم المِصريّ, قال: حدثنا  
حفص بن عمر العَدَنِيّ, قال: حدثنا الحکم ابن أبان, عن عكرمة في  
قوله: أو التَّابِعِينَ غير أولی الإِزْبَةِ قال: هو المُحَنَّث الذي لا يقوم رُبّه.

واختلف القراء في قوله: غير أولي الإربة فقرأ ذلك بعض أهل الشام وبعض أهل المدينة والكوفة: «غير أولى الإربة» بنصب «غير» ولنصب «غير» ها هنا وجهان: أحدهما على القطع من «التابعين»، لأن «التابعين» معرفة وغير نكرة، والآخر على الاستثناء، وتوجيه «غير» إلى معنى «إلا»، فكانه قيل: إلا. وقرأ غير من ذكرت بخفض غير على أنها نعت للتابعين، وجاز نعت «التابعين» بـ«غير» و«التابعون» معرفة وغير نكرة، لأن «التابعين» معرفة غير مؤقتة. فتأويل الكلام على هذه القراءة: أو الذين هذه صفتهم.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضة القراءة بهما في الأمصار، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب، غير أن الخفض في «غير» أقوى في العربية، فالقراءة به أعجب إليّ. والإربة: الفعلة من الأرب، المثل الجلسة من الجلوس، والمشيئة من المشي، وهي الحاجة يقال: لا أرب لي فيك: لا حاجة لي فيك وكذا أربت لكذا وكذا: إذا احتجت إليه، فأنا أرب له أربا. فأما الأربة، بضم الألف: فالعقدة. وقوله: أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء يقول تعالى ذكره: أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهن فيظهروا عليهن لصغرهن.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19693- حدثني محمد، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى

وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: على عورات النساء قال: لم يدروا ما تم، من الصغر قبل الحلم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقوله: ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زبنتهن يقول تعالى ذكره: ولا يجعلن في أرجلهن من الخلي ما إذا مشين أو حركنهن علم الناس الذين مشين بينهم ما يخفين من ذلك.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19694- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر، عن أبيه، قال:

زعم خصممي أن امرأة اتخذت برتئين من فضة، واتخذت جزعا، فمريت على قوم، فضربت برجلها، فوقع الخلخال على الجزع، فصوت فأنزل الله: ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زبنتهن.

19695- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان،

عن السدي، عن أبي مالك: ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زبنتهن قال: كان في أرجلهم خرز، فكن إذا مررن بالمجالس حركن أرجلهن ليعلم ما يخفين من زبنتهن.

19696- حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي،

عن ابن عباس: ولا يضربن بأرجلهن فهو أن تفرع الخلخال بالآخر عند الرجال، ويكون في رجليها خلاخل فتحركنهن عند الرجال، فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك لأنه من عمل الشيطان.



19697- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: وَلَا يَضْرِبَنَّ بَارِئُهُنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ قَالَ: هُوَ الْحَلْخَالُ, لَا تَضْرِبُ امْرَأَةً بِرِجْلِهَا لِيَسْمَعَ صَوْتَ حَلْخَالِهَا.

19698- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَا يَضْرِبَنَّ بَارِئُهُنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ قَالَ: الْأَجْرَاسُ مِنْ جُلَيْهِنَّ يَجْعَلْنَهَا فِي أَرْجُلِهِنَّ فِي مَكَانِ الْخَلَاخِلِ, فَتَهَاهِنَّ اللَّهُ أَنْ يَضْرِبَنَّ بَارِجِهِنَّ لِتَسْمَعَ تِلْكَ الْأَجْرَاسِ.

وقوله: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ يقول تعالى ذكره: وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم, من عَصَّ الْبَصَرَ وَحَفِظَ الْفَرْجَ وَتَرَكَ دُخُولَ بَيْوتِ غَيْرِ بَيْوتِكُمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ وَلَا تَسْلِيمٍ, وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ. لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ يقول: لتفلحوا وتدرکوا طلباتكم لديه, إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم.

### الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: { وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } . يقول تعالى ذكره: وَزَوَّجُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ لَا زَوْجَ لَهُ مِنْ أَحْرَارِ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ, وَمِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ مِنْ عِبِيدِكُمْ وَمَمَالِيِكِكُمْ. وَالْأَيَامَى: جَمْعُ أَيْمٍ, وَإِنَّمَا جَمَعَ أَيَامَى لِأَنَّهَا فَعِيلَةٌ فِي الْمَعْنَى, فَجُمِعَتْ كَذَلِكَ كَمَا جُمِعَتِ الْيَتِيمَةُ: يَتَامَى وَمِنْهُ قَوْلُ جَمِيلٍ:

أَحِبِّ الْأَيَامَى إِذْ بَتَّيْتُهُ أَيُّمًا وَحَبَبْتُ لَمَّا أَنْ عَنَيْتِ الْعَوَانِيَا  
وَلَوْ جُمِعَتْ أَيَّامٌ كَانَتْ صَوَابًا. وَالْأَيْمُ يُوصَفُ بِهِ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى, يُقَالُ: رَجُلٌ أَيْمٌ, وَامْرَأَةٌ أَيْمٌ وَأَيْمَةٌ: إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا زَوْجٌ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:  
فَإِنْ تَبْكِحِي أَنْكِحِي وَإِنْ تَتَأَيَّمِيوَانِ كُنْتُ أَفْتَى مِنْكُمْ أَتَائِمِ  
إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يَقُولُ: إِنْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَنْكِحُونَهُمْ مِنْ أَيَامَى رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ وَعِبِيدِكُمْ وَإِمَائِكُمْ أَهْلًا فَاقَةً وَفَقْرًا, فَإِنَّ اللَّهَ يُغْنِيهِمْ مِنْ فَضْلِهِ, فَلَا يَمْنَعُكُمْ فَقْرَهُمْ مِنْ إِنْكَاحِهِمْ.

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19699- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ قَالَ: أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالنِّكَاحِ, وَرَعِبَهُمْ فِيهِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَزَوَّجُوا أَحْرَارَهُمْ وَعِبِيدَهُمْ, وَوَعَدَهُمْ فِي ذَلِكَ الْغِنَى, فَقَالَ: إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.

19700- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا حسن أبو الحسن وكان إسماعيل بن صبيح مولى هذا قال: سمعت القاسم بن الوليد, عن عبد الله بن مسعود, قال: التمسوا الغنى في النكاح, يقول الله: إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.

19701- حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ قَالَ: أَيَامَى النِّسَاءِ: اللَّاتِي لَيْسَ لَهُنَّ أَزْوَاجٌ. وَقَوْلُهُ: وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ جَوَادٌ بَعْطَايَاهُ, فَزَوَّجُوا إِمَاءَكُمْ, فَإِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ يُوَسِّعُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ كَانُوا فُقَرَاءَ. عَلِيمٌ يَقُولُ: هُوَ ذُو عِلْمٍ بِالْفَقِيرِ مِنْهُمْ وَالْغَنِيِّ, لَا يَخْفَى عَلَيْهِ حَالُ خَلْقِهِ فِي شَيْءٍ وَتَدْبِيرِهِمْ.

### الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَيْسَتَعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْجِبَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأُوهُم مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِعَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتُغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنَ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره: وَلَيْسَتَعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْكِحُونَ بِهِ النِّسَاءَ عَنْ إِيْتَانِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَوَاحِشِ، حَتَّى يُعْجِبَهُمُ اللَّهُ مِنْ سَعَةِ فَضْلِهِ، وَيُوسِّعَ عَلَيْهِمْ مِنْ رِزْقِهِ.

وقوله: وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يَقُولُ جَلُّ ثَنَاؤُهُ: وَالَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْمَكَاتِبَةَ مِنْكُمْ مِنْ مَمَالِيكُمْ، فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا.

واختلف أهل العلم في وجه مكاتبته الرجل عبده الذي قد علم فيه خيرا، وهل قوله: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا عَلَى وَجْهِ الْفَرْضِ أَمْ هُوَ عَلَى وَجْهِ النَّدْبِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَرْضٌ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَكْتُبَ عَبْدَهُ الَّذِي قَدْ عُلِمَ فِيهِ خَيْرًا إِذَا سَأَلَهُ الْعَبْدُ ذَلِكَ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

19702- حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء: أوجب عليّ إذا علمت مالا أن أكاتبه؟ قال: ما أراه إلا واجبا. وقالها عمرو بن دينار، قال: قلت لعطاء: أتأثره عن أحد؟ قال: لا.

19703- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن بكر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن سيرين، أراد أن يكاتبه فتلكأ عليه، فقال له عمر: لتكاتبته

19704- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لا ينبغي لرجل إذا كان عنده المملوك الصالح الذي له المال يريد أن يكاتبه ألا يكاتبه. وقال آخرون: ذلك غير واجب على السيد، وإنما قوله: فَكَاتِبُوهُمْ: تَدْبٌ مِنَ اللَّهِ سَادَةَ الْعَبِيدِ إِلَى كِتَابَةِ مَنْ عُلِمَ فِيهِ مِنْهُمْ خَيْرٌ، لَا إِجَابَ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

19705- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال مالك بن أنس: الأمر عندنا أن ليس على سيد العبد أن يكاتبه إذا سأله ذلك، ولم أسمع بأحد من الأئمة أكره أحدا على أن يكاتب عبده. وقد سمعت بعض أهل العلم إذا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا يَتْلُو هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: فَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا فَإِذَا فَضِيَّتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ قَالِ مَالِكُ: فَإِنَّمَا ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ فِيهِ لِلنَّاسِ، وَلَيْسَ بِوَجِبٍ عَلَى النَّاسِ وَلَا يَلْزَمُ أَحَدًا. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: إِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ مِنْ سَيِّدِهِ أَنْ يَكْتُبَهُ، فَإِنْ شَاءَ السَّيِّدُ أَنْ يَكْتُبَهُ كَاتِبَهُ، وَلَا يُجْبَرُ السَّيِّدُ عَلَى ذَلِكَ.

19706- حدثني بذلك عليّ عن زيد عنه وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا قال: ليس بواجب عليه أن يكاتبه، إنما هذا أمر أذن الله فيه ودليل.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: واجب على سيد العبد أن يكاتبه إذا علم فيه خيرا وسأله العبد الكتابة وذلك أن ظاهر قوله:

فَكَاتِبُوهُمْ ظَاهِرٌ أَمْرٌ، وَأَمَرَ اللَّهُ فَرَضَ الْإِنْتِهَاءَ إِلَيْهِ، مَا لَمْ يَكُنْ دَلِيلًا مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ عَلَى أَنَّهُ نَدْبٌ، لَمَا قَدْ بَيَّنَّا مِنَ الْعَلَّةِ فِي كِتَابِنَا الْمَسْمُومِ «الْبَيَانِ عَنْ أَصُولِ الْأَحْكَامِ».

وَأَمَّا الْخَيْرُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ عِبَادَهُ بِكِتَابَةِ عِبِيدِهِمْ إِذَا عِلْمُوهُ فِيهِمْ، فَهُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى الْإِحْتِرَافِ وَالْكَسْبِ لِأَدَاءِ مَا كُوتِبُوا عَلَيْهِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

19707- حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزْرِيِّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عَمْرِو: أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكْتَبَ مَمْلُوكُهُ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حَرْفَةٌ، قَالَ: تَطْعَمُنِي أَوْ سَاخَ النَّاسُ.

19708- حَدَّثَنِي عَلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: ثَنِي مَعَاوِيَةَ، عَنْ عَلِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا يَقُولُ: إِنْ عَلِمْتُمْ لَهُمْ حَيْلَةً، وَلَا تَلْقُوا مُؤْتِنَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

19709- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَشْهَبُ، قَالَ: سَأَلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ قَوْلِهِ: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا فَقَالَ: إِنَّهُ لِيُقَالُ: الْخَيْرُ الْقُوَّةُ عَلَى الْأَدَاءِ.

19710- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: ثَنِي ابْنَ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَوْلَ اللَّهِ: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا قَالَ: الْخَيْرُ: الْقُوَّةُ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ صَدَقًا وَوَفَاءً وَأَدَاءً. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

19711- حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيَّةٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنْ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا قَالَ: صَدَقًا وَوَفَاءً وَأَدَاءً وَأَمَانَةً.

19712- قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ وَطَاوُسٍ، أَنَّهُمَا قَالَا فِي قَوْلِهِ: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا قَالَا: مَالًا وَأَمَانَةً.

19713- حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا قَالَ: أَدَاءً وَأَمَانَةً.

19714- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْمَغِيرَةِ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا قَالَ: صَدَقًا وَوَفَاءً، أَوْ أَحَدَهُمَا.

19715- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ أَبِي سَلِيمَانَ، عَنْ عَطَاءٍ، فِي قَوْلِهِ: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا قَالَ: أَدَاءً وَمَالًا.

19716- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: أَحْسَبُهُ كُلَّ ذَلِكَ الْمَالِ وَالصَّلَاحِ.

19717- حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ: إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا يَعْنِي: صَدَقًا وَوَفَاءً وَأَمَانَةً.

19718- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا، قَالَ: إِنْ عَلِمْتَ فِيهِ خَيْرًا لِنَفْسِكَ، يُؤَدِّي إِلَيْكَ وَبِصَدَقِكَ مَا حَدَّثَكَ، فَكَاتِبَهُ.

وقال آخرون بل معنى ذلك: إن علمتم لهم مالاً.  
19719- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال:  
ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ  
فِيهِمْ خَيْرًا يقول: إن علمتم لهم مالاً.  
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج,  
قال: قال ابن عباس: إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا قال: مالاً.  
19720- حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالوا: حدثنا عبد الرحمن, قال:  
حدثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا  
قال: مالاً.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة,  
عن الحكم, عن مجاهد, مثله.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن  
ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا قال:  
لهم مالاً, فكاتبوهم.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي  
نجيح, عن مجاهد, مثله.

19721- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن  
جرير, عن مجاهد: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا قال: إن علمتم لهم  
مالاً, كائنة أخلاقهم وأديانهم ما كانت.

19722- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال:  
حدثنا شعبة, عن منصور, عن راذان, عن عطاء بن أبي رباح: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ  
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا قال: مالاً.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو  
بشر, عن مجاهد, قال: إن علمتم عندهم مالاً.

19723- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني محمد بن  
عمرو اليافعي, عن ابن جريج, أن عطاء بن أبي رباح, كان يقول: ما نراه  
إلا المال, يعني قوله: إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا قال: ثم تلا: كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا  
حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا.

وأولى هذه الأقوال في معنى ذلك عندي قول من قال: معناه: فكاتبوهم  
إن علمتم فيهم قوة على الاحتراف والاكتساب ووفاء بما أوجب على  
نفسه وألزمها وصدق لهجة. وذلك أن هذه المعاني هي الأسباب التي  
بمولى العبد الحاجة إليها إذا كاتب عبده مما يكون في العبد فأما المال  
وإن كان من الخير, فإنه لا يكون في العبد وإنما يكون عنده أو له لا فيه,  
والله إنما أوجب علينا مكاتبه العبد إذا علمنا فيه خيراً لا إذا علمنا عنده أو  
له, فلذلك لم نقل: إن الخير في هذا الموضع معني به المال.

وقوله: وَأَنْتُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَأَعْطَوْهُمْ مِنْ  
مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاكُمْ.

ثم اختلف أهل التأويل في المأمور بإعطائه من مال الله الذي أعطاه مَنْ  
هو؟ وفي المال أي الأموال هو؟ فقال بعضهم: الذي أمر الله بإعطاء  
المكاتب من مال الله هو مولى العبد المكاتب, ومال الله الذي أمر  
بإعطائه منه هو مال الكتابة, والقدر الذي أمر أن يعطيه منه الربع.  
وقال آخرون: بل ما شاء من ذلك المولى. ذكر من قال ذلك:

19724- حدثني عمرو بن عليّ، قال: حدثنا عمران بن عيينة، قال: حدثنا عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلميّ، عن عليّ في قول الله: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ قال: ربع المكاتبه.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلميّ، عن عليّ، في قوله الله: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ قال: ربع الكتابة يحطها عنه. حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عُليّة، عن ليث، عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن، عن عليّ رضي الله عنه، في قول الله: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ قال: الربع من أوّل نجومه.

قال: أخبرنا ابن عُليّة، قال: عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلميّ، عن عليّ، في قوله: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ قال: الربع من مكاتبته.

19725- حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسيّ، قال: حدثنا محمد بن عبيد، قال: ثني عبد الملك بن أبي سليمان، عن عبد الملك بن أعين، قال: كاتب أبو عبد الرحمن غلاما في أربعة آلاف درهم، ثم وضع له الربع، ثم قال: لولا أني رأيت عليّا رضوان الله عليه كاتب غلاما له ثم وضع له الربع، ما وضعت لك شيئا.

19726- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن السلميّ: أنه كاتب غلاما له على ألف ومئتين، فترك الربع وأشهدني، فقال لي: كان صديقك يفعل هذا، يعني عليّا رضوان الله عليه، يتأوّل: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ. 19727- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الملك، قال: ثني فضالة بن أبي أمية، عن أبيه، قال: كاتبني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاستقرض لي من حفصة مئتي درهم، قلت: ألا تجعلها في مكاتبتي؟ قال: إني لا أدري أدرك ذاك أم لا.

19728- قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، بلغني أنه كاتبه على مئة أوقية: قال: حدثنا سفيان، عن عبد الملك، قال: ذكرت ذلك لعكرمة، فقال: هو قول الله: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ.

19729- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قول الله: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ يقول: ضعوا عنهم من مكاتبته.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ يقول: ضعوا عنهم مما قاطعتموهم عليه.

19730- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت عبيد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، في قوله: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ قال: مما أخرج الله لكم منهم.

19731- حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ قال: اتهم مما في يدك.

19732- حدثني الحسين بن عمرو العنقزي، قال: ثني أبي، عن أسباط، عن السديّ، عن أبيه، قال: كاتبني زينب بنت قيس بن مخرمة

من بني المطلب بن عبد مناف على عشرة آلاف، فتركت لي ألفا وكانت زينب قد صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا.

19733- حدثنا مجاهد بن موسى، قال: حدثنا يزيد، قال: أخبرنا ابن مسعود الجريدي، عن أبي نصر، عن أبي سعيد، مولى أبي أسيد، قال: كاتبني أبو أسيد، على ثنتي عشرة مئة، فجئت بها، فأخذ منها ألفا ورد عليّ مئتين.

19734- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون بن المغيرة، عن عنبسة، عن سالم الأبطس، عن سعيد بن جبير، قال: كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة أن يعجز فترجع إليه صدقته، ولكنه إذا كان في آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب.

19735- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مخرمة، عن أبيه، عن نافع، قال: كاتب عبد الله بن عمر غلاما له يقال له شرف على خمسة وثلاثين ألف درهم، فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف. ولم يذكر نافع أنه أعطاه شيئا غير الذي وضع له.

19736- قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال مالك: سمعت بعض أهل العلم يقول: إن ذلك أن يكتب الرجل غلامه، ثم يضع عنه من آخر كتابته شيئا مسمى. قال مالك: وذلك أحسن ما سمعت، وعلى ذلك أهل العلم وعمل الناس عندنا.

19737- حدثني علي، قال: حدثنا زيد، قال: حدثنا سفيان: أحب إلي أن يعطيه الربع أو أقل منه شيئا، وليس بواجب وأن يفعل ذلك حسن. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن عطاء، عن عبد الله بن حبيب أبي عبد الرحمن السلمى، عن علي رضي الله عنه: وأتوهم من مال الله الذي أتاكم قال: هو ربع المكاتب.

وقال آخرون: بل ذلك حص من الله أهل الأموال على أن يعطوهم سهمهم الذي جعله لهم من الصدقات المفروضة لهم في أموالهم بقوله: إثمًا الصّدقاتُ للفقراءِ والمساكينِ والعامِلينَ عَلَیْها والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وفي الرِّقابِ قال: فالرِّقاب التي جعل فيها أحد سئمان الصدقة الثمانية هم المكاتبون، قال: وإياه عنى جل ثناؤه بقوله: وأتوهم من مال الله الذي أتاكم: أي سهمهم من الصدقة. ذكر من قال ذلك:

19738- حدثنا ابن حميد، قال: ثني يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين، عن ابن زيد، عن أبيه، قوله: وأتوهم من مال الله الذي أتاكم قال: يحت الله عليه، يعطونه.

19739- حدثني يعقوب، قال: ثني ابن علية، قال: أخبرنا يونس، عن الحسن: وأتوهم من مال الله الذي أتاكم قال: حت الناس عليه مولاة وغيره.

19740- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن حماد، عن إبراهيم، في قوله: وأتوهم من مال الله الذي أتاكم قال: يعطي مكاتبه وغيره، حت الناس عليه.

19741- حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم أنه قال في قوله: وأتوهم من مال الله الذي أتاكم قال: أمر مولاة والناس جميعا أن يعينوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد، قال: حدثنا شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ قَالَ: أمر المسلمين أَنْ يُعْطَوْهُم مما آتاهم الله.

19742- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن زيد، عن أبيه: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ قَالَ: ذلك في الزكاة على الولاة يعطونهم من الزكاة، يقول الله: وفي الرقاب.

19743- قال: ثني ابن زيد، عن أبيه: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ قَالَ: القِيء والصدقات. وقرأ قول الله: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وقرأ حتى بلغ: وفي الرقاب فأمر الله أن يوفوها منه، فليس ذلك من الكتابة. قال: وكان أبي يقول: ماله وللكتابة هو من مال الله الذي قرص له فيه نصيبا.

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول الثاني، وهو قول من قال: عَنَى به إيتاءهم سهمهم من الصدقة المفروضة. وإنما قلنا ذلك أولى القولين لأن قوله: وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ أمر من الله تعالى ذكره بإيتاء المكاتبين من ماله الذي أتى أهل الأموال، وأمر الله فرض على عباده الانتهاء إليه، ما لم يخبرهم أن مراده النذْب، لما قد بينا في غير موضع من كتابنا. فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن أخبرنا في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنه تَدَب، ففرض واجب. وإذا كان ذلك كذلك، وكانت الحجة قد قامت أن لا حق لأحد في مال أحد غيره من المسلمين إلا ما أوجبه الله لأهل سهمان الصدقة في أموال الأغنياء منهم، وكانت الكتابة التي يقتضيها سيد المكاتب من مكاتبه مالا من مال سيد المكاتب فيفاد أن الحق الذي أوجب الله له على المؤمنين أن يؤتوه من أموالهم هو ما فرض على الأغنياء في أموالهم له من الصدقة المفروضة، إذ كان لا حق في أموالهم لأحد سواها.

القول في تأويل قوله تعالى: وَلَيْسَتَغْفِي الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْزِبَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتُغُوا عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {

يقول تعالى ذكره: رَوَّجُوا الصالحين من عبادكم وإمائكم ولا تُكْرِهُوا إماءكم على البغاء، وهو الزنا إن أردن تَحَصُّنًا يقول: إن أردن تعففا عن الزنا. لِيَتَّبِعُوا عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يقول: لتلتمسوا بإكراهكم إياهن على الزنا عَرَصَ الْحَيَاةِ، وذلك ما تعرض لهم إليه الحاجة من رباحها وزينتها وأموالها. وَمَنْ يُكْرِهِنَّ يقول: ومن يُكْرِه قَتِيَاتَهُ عَلَى الْبِغَاءِ، فإن الله من بعد إكراهه إياهن على ذلك، لهم غَفُورٌ رَّحِيمٌ، ووَزَّر ما كان من ذلك عليهم دونهن.

وذكر أن هذه الآية أنزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول حين أكره أمته مُسَيِّكة على الزنا. ذكر من قال ذلك:

19744- حدثنا الحسن بن الصباح، قال: حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريح، قال: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: جاءت مُسَيِّكة لبعض الأنصار فقالت: إن سيدي يكرهني على الزنا فنزلت في ذلك: وَلَا تُكْرِهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ.

19745- حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر، قال: كانت جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها مُسَيِّكَة، فأجرها أو أكرهها الطبري شكك فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فشككت ذلك إليه، فأنزل الله: وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ يعني بهنّ.

19746- حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: حدثنا عبّتر، قال: حدثنا حصين، عن الشعبي، في قوله: وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ قال: رجل كانت له جارية تفجر، فلما أسلمت نزلت هذه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير، عن جابر، قال: جاءت جارية لبعض الأنصار، فقالت: إن سيدي أكرهني على البغاء فأنزل الله في ذلك: وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ.

19747- قال ابن جريج: وأخبرني عمرو بن دينار، عن عكرمة، قال: أمة لعبد الله بن أبي، أمرها فزنت، فجاءت بئرد، فقال لها: ارجعي فازني قالت: والله لا أفعل، إن يك هذا خيرا فقد استكثرت منه، وإن يك شرًا فقد أن لي أن أدعه. قال ابن جريج، وقال مجاهد نحو ذلك، وزاد قال: البغاء: الزنا. وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال: للمكروهات على الزنا، وفيها نزلت هذه الآية.

19748- حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري: أن رجلاً من قريش أسير يوم بدر. وكان عبد الله بن أبي أسره، وكان لعبد الله جارية يقال لها مُعَاذَة، فكان القرشي الأسير يريدها على نفسها، وكانت مسلمة، فكانت تمتنع منه لإسلامها، وكان ابن أبي يكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل للقرشي فيطلب فداء ولده، فقال الله: وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا قال الزهري: وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: غفور لهنّ ما أكرهن عليه.

19749- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، أنه كان يقرأ: «فإن الله من بعد إكراههنّ لهنّ غفورٌ رَحِيمٌ».

19750- حدثنا علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا يقول: ولا تكرهوا إماءكم على الزنا، فإن فعلتم فإن الله سبحانه لهنّ غفور رحيم وإثمهنّ على من أكرهنّ.

19751- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ... إلى آخر الآية، قال: كانوا في الجاهلية يكرهون إماءكم على الزنا، يأخذون أجورهنّ، فقال الله: لا تكرهوهنّ على الزنا من أجل المنالة في الدنيا، ومن يكرهنّ فإن الله من بعد إكراههنّ غفور رحيم لهن يعني إذا أكرهنّ.

19752- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ على الزنا. قال: عبد الله بن أبي ابن سلول أمر أمة له بالزنا، فجاءته بدينار أو بئرد شكك أبو عاصم فأعطته، فقال: ارجعي فازني باخر فقالت:



والله ما أنا براجعة، فالله غفور رحيم للمكْرَهَاتِ عَلَى الزنا ففي هذا أنزلت هذه الآية.

حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه، إلا أنه قال في حديثه: أمر أمة له بالزنا، فزنت، فجاءته ببرد فأعطته. فلم يشك.

19753- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلَا تُكْرَهُوا قَتَايَكُمُ عَلَى الْبِغَاءِ يقول: على الزنا. فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: غفور لهم، للمكْرَهَاتِ عَلَى الزنا.

19754- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ لهنَّ حين أكرهن وقسرن على ذلك.

19755- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قال: كانوا يأمرون ولأندهم يُبَاغِينَ، يفعلن ذلك، فيصبن، فيأتينهم بكسبهن، فكانت لعبد الله بن أبي ابن سلول جارية، فكانت تُبَاغِي، فكرهت وحلفت أن لا تفعله، فأكرهها أهلها، فانطلقت فباغت ببرد أخضر، فأنتهم به، فأنزل الله تبارك وتعالى: وَلَا تُكْرَهُوا قَتَايَكُمُ عَلَى الْبِغَاءِ... الآية.

### الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}.  
يقول تعالى ذكره: ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس دلائل وعلامات مبينات يقول: مفصلات الحق من الباطل، وموضحات ذلك.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين: «مُبَيِّنَاتٍ» بفتح الياء: بمعنى مفصلات، وأن الله فصلهن وبيهن لعباده، فهن مفصلات مبينات. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: مُبَيِّنَاتٍ بكسر الياء، بمعنى أن الآيات هن تبين الحق والصواب للناس وتهديهم إلى الحق.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، متقاربتا المعنى. وذلك أن الله إذ فصلها وبيتها صارت مبينة بنفسها الحق لمن التمسه من قبلها، وإذا بينت ذلك لمن التمسه من قبلها فيبين الله ذلك فيها. فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب.

وقوله: وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ، وموعظة لمن اتقى الله، فخاف عقابه وخشي عذابه.

### الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مَّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

يعني تعالى ذكره بقوله: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ هادي من في السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا. ذكر من قال ذلك:

19756- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يقول: الله سبحانه هادي أهل السموات والأرض.

19757- حدثني سليمان بن عمر بن خالد الرقي، قال: حدثنا وهب بن راشد، عن فرقد، عن أنس بن مالك، قال: إن إلهي يقول: نوري هادي. وقال آخرون: بل معنى ذلك: الله مدبر السموات والأرض. ذكر من قال ذلك:

19758- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد وابن عباس في قوله: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يدبر الأمر فيهما: نجومهما وشمسهما وقمرهما. وقال آخرون: بل عنى بذلك النور الضياء. وقالوا: معنى ذلك: ضياء السموات والأرض. ذكر من قال ذلك:

19759- حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع ابن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، في قول الله: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قال: فبدأ بنور نفسه، فذكره، ثم ذكر نور المؤمن.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لأنه عقيب قوله: وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ، وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ فكان ذلك بأن يكون خبراً عن موقع يقع تنزيله من خلقه ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه، أولى وأشبه، ما لم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه من غيره. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس آيات مبينات الحق من الباطل ومثلاً من الذين خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ فهديناكم بها، وبيننا لكم معالم دينكم بها، لأنني هادي أهل السموات وأهل الأرض. وترك وصل الكلام باللام، وابتدأ الخبر عن هداية خلقه ابتداء، وفيه المعنى الذي ذكرته، استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره. ثم ابتدأ في الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبينات التي أنزلها إليهم، فقال: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ يقول: مثل ما أنار من الحق بهذا التنزيل في بيانه كمشكاة.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء في قوله: مَثَلُ نُورِهِ علام هي عائدة؟ ومن ذكر ما هي؟ فقال بعضهم: هي من ذكر المؤمن. وقالوا: معنى الكلام: مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الإيمان والقرآن مثل مشكاة. ذكر من قال ذلك:

19760- حدثنا عبد الأعلى بن واصل، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، في قول الله: مَثَلُ نُورِهِ قال: ذكر نور المؤمن فقال: مثل نوره، يقول: مثل نور المؤمن. قال: وكان أبي يقرؤها كذلك: «مَثَلُ المؤمن». قال: هو المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر الرازي, عن أبي العالية, عن أبي بن كعب: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ قَالَ: بدأ بنور نفسه فذكره, ثم قال: مَثَلُ نُورِهِ يَقُول: مثل نور من آمن به. قال: وكذلك كان يقرأ أبي, قال: هو عبد جعل الله القرآن والإيمان في صدره.

19761- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير: مَثَلُ نُورِهِ قَالَ: مثل نور المؤمن.

19762- حدثني علي بن الحسن الأزدي, قال: حدثنا يحيى بن اليمان, عن أبي سنان, عن ثابت, عن الضحاك في قوله: مَثَلُ نُورِهِ قَالَ: نور المؤمن.

وقال آخرون: بل عُني بالنور: محمد صلى الله عليه وسلم, وقالوا: الهاء التي قوله: مَثَلُ نُورِهِ عائدة على اسم الله. ذكر من قال ذلك:

19763- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القمي, عن حفص, عن شمر, قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار, فقال له: حدثني عن قول الله عز وجل: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... الآية؟ فقال كعب: الله نور السموات والأرض, مَثَلُ نوره مثل محمد صلى الله عليه وسلم, كمشكاة. 19764- حدثني علي بن الحسن الأزدي, قال: حدثنا يحيى بن اليمان, عن أشعث, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن سعيد بن جبير في قوله: مَثَلُ نُورِهِ قَالَ: محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل عُني بذلك: هَدَى الله وبيانه, وهو القرآن. قالوا: والهاء من ذكر الله, قالوا: ومعنى الكلام: الله هادي أهل السموات والأرض بآياته المبينات, وهي وهي النور الذي استنار به السموات والأرض, مَثَلُ هداة وآياته التي هَدَى بها خلقه ووعظهم بها في قلوب المؤمنين كمشكاة. ذكر من قال ذلك:

19765- حدثني علي, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس: مَثَلُ نُورِهِ مثل هَدَاه في قلب المؤمن.

19766- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُليّة, عن أبي رجا, عن الحسن, في قوله: مَثَلُ نُورِهِ قَالَ: مثل هذا القرآن في القلب كمشكاة.

19767- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: مَثَلُ نُورِهِ: نور القرآن الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده, هذا مثل القرآن كمشكاة فيها مصباح.

19768- قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عبد الله بن عيَّاش, قال: قال زيد بن أسلم, في قول الله تبارك وتعالى: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ ونوره الذي ذكر: القرآن, ومَثَلُهُ الذي صَرَبَ له. وقال آخرون: بل معنى ذلك: مثل نور الله. وقالوا: يعني بالنور: الطاعة. ذكر من قال ذلك:

19769- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني بي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كمشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد: كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ فصرَبَ الله مَثَلُ ذلك لنوره, فقال: اللَّهُ نُورُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ قَالَ: وهو مثل ضربه الله لطاعته, فسَمَى طاعته نوراً, ثم سماها أنواراً سَمَّى.  
وقوله: كَمِشْكَاةٍ اختلف أهل التأويل في معنى المشكاة والمصباح وما المراد بذلك, وبالزجاجة, فقال بعضهم: المشكاة كل كَوْة لا منفذ لها,  
وقالوا: هذا مثل ضربه الله لقلب محمد صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

19770- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن حفص, عن شَمِر, قال:  
جاء ابن عباس إلى كعب الأحرار, فقال له: حدثني عن قول الله: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ قَالَ: المشكاة وهي الكَوْة, ضربها الله مثلاً لمحمد صلى الله عليه وسلم, المشكاة فيها مصباح المصباح قلبه في زُجَاةِ الرَّجَاةِ صدره الزجاجة كأنها كوكبٌ دريٌّ شبه صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدرّي, ثم رجع المصباح إلى قلبه فقال: تُوقدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ رَبُّوَتِي لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ لَمْ تَمْسُهَا شَمْسُ الْمَشْرِقِ وَلَا شَمْسُ الْمَغْرِبِ, يَكَادُ رَبُّهَا يُضِيءُ يَكَادُ مُحَمَّدٌ يَبِينُ لِلنَّاسِ وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ, كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تَمَسُّهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ.  
19771- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: كَمِشْكَاةٍ يقول: موضع الفتيلة.

19772- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال:  
ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... إلى كَمِشْكَاةٍ قَالَ: المشكاة: كَوْة البيت.  
وقال آخرون: عنى بالمشكاة: صدر المؤمن, وبالمصباح: القرآن والإيمان, وبالزجاجة: قلبه. ذكر من قال ذلك:

19773- حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى,  
قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن أبي بن كعب: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ قَالَ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ قَدْ جَعَلَ الْإِيمَانَ وَالْقُرْآنَ فِي صَدْرِهِ كَمِشْكَاةٍ, قَالَ: المشكاة: صدره. فيها مِصْبَاحٌ قَالَ: والمصباح القرآن الذي جعل في صدره. المِصْبَاحُ فِي زُجَاةٍ قَالَ: والزجاجة: قلبه. الزُجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ تَوْقَدُ, قَالَ: فمثله مما استنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب دريٌّ, يقول: مُضِيءٌ. تُوقدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ وَالشَّجَرَةُ الْمُبَارَكَةُ, أصله المباركة الإخلاص لله وحده وعبادته, لا شريك له. لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ قَالَ: فمثله مَثَلُ شَجَرَةٍ التَّفُّ بِهَا الشَّجَرُ, فهي خضراء ناعمة, لا تصيبها الشمس على أي حال كانت, لا إذا طلعت ولا إذا غربت, وكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصيبه شيء من الغير وقد ابتلي بها فثبته الله فيها, فهو بين أربع خلال: إن أعطى شكر, وإن ابتلي صبر, وإن حكّم عدل, وإن قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحيّ يمشي في قبور الأموات. قَالَ: نُورٌ عَلَى نُورٍ فهو يتقلب في خمسة من النور: فكلامه نور, وعمله نور, ومدخله نور, ومخرجه نور, ومصيره إلى النور يوم القيامة في الجنة.

19774- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني يحيى بن الإيمان, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن أبي بن كعب, قال: المشكاة: صدر المؤمن. فيها مصباح, قال: القرآن.

قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, عن أبي بن كعب, نحو حديث عبد الأعلى, عن عبيد الله. 19775- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ قَالَ: مثل هداة في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسّه النار, فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوء, كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم, فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور, كما قال إبراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة: قَالَ هَذَا رَبِّي حِينَ رَأَى الْكَوْكَبَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْبِرَهُ أَحَدٌ أَنْ لَهُ رَبًّا, فلما أخبره الله أنه ربه ازداد هُدَى على هدى.

19776- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم: كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مَثَلُ ذلك لنوره, فقال: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ والمِشْكَاةُ: كُوَّةُ الْبَيْتِ فِيهَا مِصْبَاحٌ, المِصْبَاحُ فِي رُجَاةِ الرَّجَاةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ وَالْمِصْبَاحُ: السَّرَاحُ يَكُونُ فِي الرُّجَاةِ, وهو مثل ضربه الله لطاعته, فسمى طاعته نورا وسمها أنواعا شتى.

قوله: ثُوَقْدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ رَبِّيَّةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ قَالَ: هي شجرة لا يفيء عليها ظلٌّ شرق ولا ظلٌّ غرب, ضاحية, ذلك أصفى للزيت. يَكَادُ رَبِّيُّهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ. قال معمر, وقال الحسن: ليست من شجر الدنيا, ليست شرقية ولا غربية. وقال آخرون: هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده, والمشكاة مثل لجوفه. ذكر من قال ذلك:

19777- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, قال: قال مجاهد وابن عباس جميعا: المصباح وما فيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه, المصباح مثل الفؤاد, والكوة مثل الجوف. قال ابن جريح: كَمِشْكَاةٍ: كُوَّةٌ غَيْرُ نَافِذَةٍ. قال ابن جريح, وقال ابن عباس: قوله: ثُوَرٌ عَلَى نُورٍ يَعْنِي: إِيْمَانُ الْمُؤْمِنِ وَعَمَلُهُ.

وقال آخرون: بل ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن. ذكر من قال ذلك: 19778- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ قَالَ: كَكُوَّةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةِ الرَّجَاةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ.

19779- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ نور القرآن الذي أنزل على رسوله وعباده, فهذا مثل القرآن كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ فِي رُجَاةِ فَقْرًا حَتَّى بَلَغَ: مُبَارَكَةٌ فَهَذَا مِثْلُ الْقُرْآنِ يَسْتَضَاءُ بِهِ فِي نُورِهِ وَيَعْلَمُونَهُ وَيَأْخُذُونَ بِهِ, وهو كما هو لا ينقص, فهذا مثل ضربه الله لنوره. وفي قوله: يَكَادُ رَبِّيُّهَا يُضِيءُ قَالَ: الضوء: إشراق ذلك الزيت, والمشكاة: التي فيها الفتيلة التي في المصباح, والقناديل تلك المصابيح.

19780- حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن عياض في قوله: كَمِشْكَاةٍ قال: الكوّة.

19781- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا قرة, عن عطية, في قوله: كَمِشْكَاةٍ قال: قال ابن عمر: المشكاة الكوّة. وقال آخرون: المشكاة القنديل. ذكر من قال ذلك:

19782- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: كَمِشْكَاةٍ قال: القنديل, ثم العمود الذي فيه القنديل.

19783- حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: كَمِشْكَاةٍ: الصُّفْرُ الذي في جوف القنديل.

19784- حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد بن عبد الله عن داود, عن رجل, عن مجاهد, قال: المشكاة: القنديل. وقال آخرون: المشكاة: الحديد الذي يعلق به القنديل. ذكر من قال ذلك:

19785- حدثنا محمد بن المثني, قال: حدثنا محمد بن المفضل, قال: حدثنا هشيم, قال: حدثنا داود بن أبي هند, عن مجاهد, قال: المشكاة: الحدائد التي يعلق بها القنديل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به, فقال: مَثَلُ نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد, الذي أنزله إليهم فأمنوا به وصدّقوا بما فيه, في قلوب المؤمنين, مثل مشكاة, وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وذلك هو نظير الكوّة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها. وإنما جعل ذلك العمود مشكاة, لأنه غير نافذ, وهو أجوف مفتوح الأعلى, فهو كالكوّة التي في الحائط التي لا تنفذ. ثم قال: فيها مِصْبَاحٌ وهو السراج, وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات. ثم قال: المِصْبَاحُ فِي رُجَاجَةٍ يعني أن السراج الذي في المشكاة في القنديل, وهو الرُجَاجَةُ, وذلك مثل للقرآن, يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره. ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه واستنارته بنور القرآن واستضاءته بآيات ربه المبينات ومواعظه فيها, بالكوكب الدرّي, فقال: الرُّجَاجَةُ وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه كأنها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ.

واختلفت القراء في قراءة قوله: دُرِّيٌّ فقراءته عامة قراء الحجاز: دُرِّيٌّ بضم الدال, وترك الهمز. وقرأ بعض قراء البصرة والكوفة: «دِرِّيٌّ» بكسر الدال وهمزة. وقرأ بعض قراء الكوفة: «دُرِّيٌّ» بضم الدال وهمزة. وكان الذين ضموا داله وتركوا الهمزة, وجهوا معناه إلى ما قاله أهل التفسير الذي ذكرنا عنهم, من أن الرُجَاجَةُ في صفائها وحسنها كالدرّ, وأنها منسوبة إليه لذلك من نعتها وصفتها. ووجه الذين قرءوا ذلك بكسر داله وهمزه, إلى أنه فِعِيلٌ من دُرِّيٍّ الكوكب: أي دُفِعَ ورجم به الشيطان, من قوله: وَيَدْرَأُهَا الْعَذَابَ: أي يدفع, والعرب تسمى الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الداراريّ بغير همز. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: هي الداراريّ بالهمز, من يَدْرَأُ. وأما الذين قرءوه بضمّ

داله وهمزه, فإن كانوا أرادوا به دَرَّوْءٌ مثل سُبُوحٍ و قدوسٍ من درأت, ثم استثقلوا كثرة الضمات فيه, فصرفوا بعضها إلى الكسرة, فقالوا: دَرَّىءٌ, كما قيل: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا وهو فُعُولٌ, من عتوت عُتُوًّا, ثم حَوَّلَتْ بعض ضماتها إلى الكسر, فقيل: عِتِيًّا. فهو مذهب, وإلا فلا أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجها, وذلك أنه لا يُعْرَفُ في كلام العرب فِعِيلٌ. وقد كان بعض أهل العربية يقول: هو لحن.

والذي هو أولى القراءات عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأ: دَرَّىءٌ بضم داله وترك همزه, على النسبة إلى الدر, لأن أهل التأويل بتأويل ذلك جاءوا. وقد ذكرنا أقوالهم في ذلك قبل, ففي ذلك مُكْتَفَى عن الاستشهاد على صحتها بغيره. فتأويل الكلام: الزجاجة: وهي صدر المؤمن, كأنها: يعني كأن الزجاجة, وذلك مثل صدر المؤمن, كَوَكَبٍ: يقول: في صفائها وضيائها وحسنها. وإنما يصف صدره بالنقاء من كل ريب وشك في أسباب الإيمان بالله وبعده من دنس المعاصي, كالكوكب الذي يُشَبِّهُ الدر في الصفاء والضياء والحسن.

واختلفوا أيضا في قراءة قوله: «تَوْقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ» فقرأ ذلك بعض المكيين والمدنيين وبعض البصريين: «تَوْقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ» بالتاء, وفتحها, وتشديد القاف, وفتح الدال. وكانهم وجهوا معنى ذلك إلى تَوْقَدُ المصباح من شجرة مباركة. وقرأه بعض عامة قراء المدنيين: يُوقَدُ بالياء, وتخفيف القاف, ورفع الدال بمعنى: يُوقَدُ المصباح مُوقَدُهُ من شجرة, ثم لم يُسَمِّ فاعله. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: «تَوْقَدُ» بضم التاء وتخفيف القاف ورفع الدال, بمعنى: يُوقَدُ الزجاجة مُوقَدُهَا من شجرة مباركة لما لم يسم فاعله, فقيل تَوْقَدُ. وقرأه بعض أهل مكة: «تَوْقَدُ» بفتح التاء, وتشديد القاف, وضم الدال بمعنى: تَتَّوَقَّدُ الزجاجة من شجرة, ثم أسقطت إحدى التاءين اكتفاء بالباقية من الذاهبة.

وهذه القراءات متقاربات المعاني وإن اختلفت الألفاظ بها وذلك أن الزجاجة إذا وُصِفَتْ بالتوقد أو بأنها تَوْقَدُ, فملعوم معنى ذلك, فإن المراد به تَوْقَدُ فيها المصباح أو يُوقَدُ فيها المصباح, ولكن وجهوا الخبر إلى أن وصفها بذلك أقرب في الكلام منها وفهم السامعين معناه والمراد منه. فإذا كان ذلك كذلك فبأي القراءات قرأ القارئ فمصيب, غير أن أعجب القراءات إلي أن أقرأ بها في ذلك: «تَوْقَدُ» بفتح التاء, وتشديد القاف وفتح الدال, بمعنى: وصف المصباح بالتوقد لأن التوقد والاتقاد لا شك أنهما من صفته, دون الزجاجة. فمعنى الكلام إذن: كمشكاة فيها مصباح, المصباح من دهن شجرة مباركة, زيتونة, لا شرقية ولا غربية.

وقد ذكرنا بعض ما رُوي عن بعضهم من الاختلاف في ذلك فيما قد مضى, ونذكر باقي ما حضرنا مما لم نذكره قبل. فقال بعضهم: إنما قيل لهذه الشجرة لا شرقية ولا غربية: أي ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت, وإنما لها نصيبها من الشمس بالغداة ما دامت بالجانب الذي يلي الشرق, ثم لا يكون لها نصيب منها إذا مالت إلى جانب الغرب. ولا هي غربية وحدها, فتصيبها الشمس بالعشي إذا مالت إلى جانب الغرب, ولا تصيبها بالغداة ولكنها شرقية غربية, تطلع عليها الشمس بالغداة وتغرب عليها, فيصلبها حر الشمس بالغداة والعشي. قالوا: وإذا كانت كذلك, كان أجود لزيتها. ذكر من قال ذلك:

19786- حدثنا هناد، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: رَيْثُوتِيَّةٌ، لا شَرْقِيَّةٌ وَلَا عَرَبِيَّةٌ قال: لا يسترها من الشمس جبل ولا واد، إذا طلعت وإذا غربت.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا جرهمي بن عُمارة، قال: حدثنا شعبة، قال: أخبرني عُمارة، عن عكرمة، في قوله: لا شَرْقِيَّةٌ وَلَا عَرَبِيَّةٌ قال: الشجرة تكون في مكان لا يسترها من الشمس شيء، تطلع عليها وتغرب عليها. 19787- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد وابن عباس: لا شَرْقِيَّةٌ وَلَا عَرَبِيَّةٌ قال: هي التي بشقّ الجبل، التي يصيبها شروق الشمس وغروبها، إذا طلعت أصابتها وإذا غربت أصابتها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ليست شرقية ولا غربية. ذكر من قال ذلك: 19788- حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثني محمد بن الصلت، قال: حدثنا أبو كدينة، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس: لا شَرْقِيَّةٌ وَلَا عَرَبِيَّةٌ قال: هي شجرة وَسَطُ الشجر، ليست من الشرق ولا من الغرب. 19789- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: رَيْثُوتِيَّةٌ لا شَرْقِيَّةٌ وَلَا عَرَبِيَّةٌ متيامنة الشام، لا شرقي ولا غربي. وقال آخرون: ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا. ذكر من قال ذلك: 19790- حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: حدثنا بشر بن المفضل، قال: حدثنا عوف، عن الحسن، في قول الله: لا شَرْقِيَّةٌ وَلَا عَرَبِيَّةٌ قال: والله لو كانت في الأرض لكانت شرقية أو غربية، ولكنما هو مثل ضربه الله لنوره.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عثمان، يعني بان الهيثم، قال: حدثنا عوف، عن الحسن، في قول الله: رَيْثُوتِيَّةٌ لا شَرْقِيَّةٌ وَلَا عَرَبِيَّةٌ قال: لو كانت في الأرض هذه الزيتونة كان شرقية أو غربية، ولكن والله ما هي في الأرض، وإنما هو مثل ضربه الله لنوره.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا عوف، عن الحسن، في قوله: لا شَرْقِيَّةٌ وَلَا عَرَبِيَّةٌ قال: هذا مَثَلٌ ضربه الله، ولو كانت هذه الشجرة في الدنيا لكانت إما شرقية وإما غربية.

وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك قول من قال: إنها شرقية غربية وقال: ومعنى الكلام: ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشيّ دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غربية. وإنما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام، لأن الله إنما وصف الزيت الذي يُوقَدُ على هذا المصباح بالصفاء والجودة، فإذا كان شجرة شرقياً غربياً كان زيتُه لا شكُّ أجود وأصفى وأضوأ.

وقوله: يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ يقول تعالى ذكره: يكاد زيت هذه الزيتونة يضيء من صفائه وحسن ضيائه. وَلَوْ لَمْ تَمَسْسُهُ نَارٌ يَقُولُ: فكيف إذا مسته النار. وإنما أريد بقوله: تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ أن هذا القرآن من عند الله وأنه كلامه، فجعل مَثَلَهُ وَمَثَلٌ كونه من عنده مثل المصباح الذي يوقد من الشجرة المباركة التي وصفها جل ثناؤه في هذه الآية. وَعِنِّي بقوله: يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ: أن حُجَجَ الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها ولها. وَلَوْ لَمْ تَمَسْسُهُ نَارٌ يقول: ولو لم يَزِدْهَا اللهُ بياناً ووضوحاً بإنزاله هذا القرآن



إليهم، منبها لهم على توحيده، فكيف إذا نبههم به وذكرهم بآياته فزادهم به حجة إلى حُججه عليهم قبل ذلك؟ فذلك بيان من الله ونور على البيان، والنور الذي كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله.  
وقوله: نُورٌ عَلَى نُورٍ يعني النار على هذا الزيت الذي كاد يضيء ولو لم تمسسه النار. كما:

19791- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: نُورٌ عَلَى نُورٍ قال: النار على الزيت.  
قال أبو جعفر: وهو عندي كما ذكرت مَثَلُ الْقُرْآنِ. ويعني بقوله: نُورٌ عَلَى نُورٍ هذا القرآن نور من عند الله، أنزله إلى خلقه يستضيئون به. على نور على الحُجج والبيان الذي قد نصبه لهم قبل مجيء القرآن إنزاله إياه، مما يدل على حقيقة وحدانيته. فذلك بيان من الله، ونور على البيان، والنور الذي كان وضعه لهم ونصبه قبل نزوله. وذكر عن زيد بن أسلم في ذلك، ما:

19792- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الله بن عياش، قال: قال زيد بن أسلم، في قوله: نُورٌ عَلَى نُورٍ يضيء بعضه بعضا، يعني القرآن.

وقوله: يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ: يقول تعالى ذكره: يُوقِّقُ اللَّهُ لَاتِبَاعِ نوره، وهو هذا القرآن، من يشاء من عباده. وقوله: يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ: يقول تعالى ذكره: يُوقِّقُ اللَّهُ لَاتِبَاعِ نوره، وهو هذا القرآن، من يشاء من عباده. وقوله: وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ يَقُولُ: وَيُمَثِّلُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ وَالْأَشْبَاهَ لِلنَّاسِ كَمَا مَثَّلَ لَهُمْ مَثَلُ هَذَا الْقُرْآنِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ بِالصَّبَاحِ فِي الْمَشْكَاءِ وَسَائِرِ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ. وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يَقُولُ: وَاللَّهُ بَضْرِبِ الْأَمْثَالَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، ذُو عِلْمٍ.

### **الآية : 36-38**

القول في تأويل قوله تعالى: { فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ \* رَجَالٌ لَا لِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ \* لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ اللَّهُ نور السموات والأرض، مَثَلُ نوره كمشكاة فيها مصباح، في بيوت أذن الله أن ترفع.  
كما:

19793- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: المشكاة: التي فيها الفتيلة التي فيها المصباح. قال: المصابيح في بيوت أذن الله أن ترفع.  
قال أبو جعفر: قد يحتمل أن تكون «من» في صلة «توقد»، فيكون المعنى: نُوقِدُ من شجرة مباركة ذلك المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع. وعنى بالبيوت: المساجد.  
وقد اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم بالذي قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

19794- حدثنا ابن حميد, ونصر بن عبد الرحمن الأودي, قال: حدثنا حكام, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح في قول الله: فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ قَالَ: المساجد.

19795- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وهي المساجد تُكْرَم, ونهي عن اللغو فيها.

19796- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ يعني: كل مسجد يصلّى فيه, جامع أو غيره.

19797- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ قَالَ: مساجد تُبْنَى.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

19798- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله: فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ قَالَ: في المساجد.

19799- قال: أخبرنا معمر, عن أبي إسحاق, عن عمرو بن ميمون, قال: أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون: المساجد: بيوت الله, وإنه حقّ على الله أن يُكْرَم من زاره فيها.

19800- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن سالم بن عمر, في قوله: فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ قَالَ: هي المساجد.

19801- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ قَالَ: المساجد.

وقال آخرون: عَنَى بِذَلِكَ الْبُيُوتَ كُلِّهَا. ذكر من قال ذلك:

19802- حدثنا ابن حميد, ونصر بن عبد الرحمن الأودي, قال: حدثنا حكام بن سلم, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن عكرمة: فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ قَالَ: هي البيوت كلها.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك, لدلالة قوله: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْإِنْسَانِ لَأَنْتَ أَهْلُهُمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَلَى أَنَّهَا بُيُوتٌ بَنِيَتْ لِلصَّلَاةِ فَكَذَلِكَ قُلْنَا هِيَ الْمَسَاجِدُ.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ فقال بعضهم: معناه: أذن الله أن تُبْنَى. ذكر من قال ذلك:

19803- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا

عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ قَالَ: تُبْنَى.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد مثله.

وقال آخرون: معناه: أذن الله أن تعظّم. ذكر من قال ذلك:

19804- حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله: أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ يقول: أن تعظّم لذكوره.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله مجاهد، وهو أن معناه: أذن الله أن ترفع بناء، كما قال جل ثناؤه: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية.

وقوله: وَيُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُهُ يقول: وَأَذِّنْ لعباده أن يذكروا اسمه فيها. وقد قيل: عُني به أنه أذن لهم بتلاوة القرآن فيها. ذكر من قال ذلك: 19805- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: ثم قال: وَيُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُهُ يقول: يُتْلَى فيها كتابه. وهذا القول قريب المعنى مما قلناه في ذلك، لأن تلاوة كتاب الله من معاني ذكر الله. غير أن الذي قلنا به أظهر معنيته، فلذلك اخترنا القول به. وقوله: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ رجالٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله اختلفت القراء في قراءة قوله: يُسَبِّحُ لَهُ، فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار: يُسَبِّحُ لَهُ بضم الياء وكسر الباء، بمعنى: يصلّي له فيها رجال، ويجعل «يسبّح» فعلاً لـ «الرجال» وخبراً عنهم، وترفع به «الرجال». سوى عاصم وابن عامر، فإنهما قرءا ذلك: «يُسَبِّحُ لَهُ» بضم الياء وفتح الباء، على ما لم يسم فاعله، ثم يرفعان «الرجال» بخبر ثان مضمّر، كأنهما أرادا: يسبّح الله في البيوت التي أذن الله أن ترفع، فسبّح له رجال فرفعوا «الرجال» بفعل مضمّر.

والقراءة التي هي أولهما بالصواب: قراءة من كسر الباء، وجعله خبراً لـ «الرجال» وفعلاً لهم. وإنما كان الاختيار رفع الرجال بمضمّر من الفعل لو كان الخبر عن البيوت لا يتم إلا بقوله: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا، فاما والخبر عنها دون ذلك تام، فلا وجه لتوجيه قوله: يُسَبِّحُ لَهُ إلى غيره، أي غير الخبر عن الرجال. وعُني بقوله: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ يصلّي له في هذه البيوت بالعدوات والعشيات رجال.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19806- حدثني عليّ بن الحسن الأزديّ، قال: حدثنا المعافى بن عمران، عن سفيان، عن عمّار الدّهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كلّ تسبيح في القرآن فهو صلاة.

19807- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: ثم قال: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ يقول: يصلّي له فيها بالعداة والعشيّ. يعني بالعدوّ: صلاة العداة، ويعني بالأصال: صلاة العصر. وهما أول ما افترض الله من الصلاة، فأحبّ أن يذكرهما ويذكر بهما عبادته.

19808- حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ رجالٌ أذن الله أن تُبنى، فيصلّي فيها بالعدوّ والأصال.

19809- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول في قوله: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ يعني الصلاة المفروضة.

وقوله: رجالٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله يقول تعالى ذكره: لا يشغل هؤلاء الرجال الذي يصلون في هذه المساجد التي أذن الله أن ترفع عن ذكر الله فيها وإقام الصلاة، تجارة ولا بيع. كما:

19810- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة,

عن سعيد بن أبي الحسن, عن رجل نسي اسمه في هذه الآية: فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ... إلى قوله: وَالْأَبْصَارِ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ فِي تِجَارَاتِهِمْ وَبُيُوعِهِمْ, لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَاتِهِمْ وَلَا بُيُوعَهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

19811- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا جعفر بن سليمان, عن عمرو بن دينار, عن سالم بن عبد الله: أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ السُّوقِ قَامُوا وَتَرَكَوا بِيَاعَاتِهِمْ إِلَى الصَّلَاةِ, فَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ... الآية.

19812- قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, عن سيار, عن حدثه, عن ابن مسعود, نحو ذلك.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن سيار, قال: حَدَّثْتُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ, أَنَّهُ رَأَى قَوْمًا مِنْ أَهْلِ السُّوقِ حَيْثُ نُوذِيَ بِالصَّلَاةِ تَرَكَوا بِيَاعَاتِهِمْ وَنَهَضُوا إِلَى الصَّلَاةِ, فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَؤُلَاءِ مِنَ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ. وقال بعضهم: معني ذلك: لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ صَلَاتِهِمْ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْهِمْ. ذكر من قال ذلك:

19813- حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ, قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ, قَالَ: ثَنِي مَعَاوِيَةَ, عَنِ عَلِيِّ بْنِ ابْنِ عَبَّاسٍ, قَالَ: ثُمَّ قَالَ: رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ يَقُولُ: عَنْ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ.

وقوله: وَإِقَامِ الصَّلَاةِ يَقُولُ: وَلَا يَشْغَلُهُمْ ذَلِكَ أَيْضًا عَنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ بِحُدُودِهَا فِي أَوْقَاتِهَا.

وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19814- حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد, قال: حدثنا عوف, عن سعيد بن أبي الحسن, عن رجل نسي عوف اسمه في: وَإِقَامِ الصَّلَاةِ قَالَ: يَقُومُونَ لِلصَّلَاةِ عِنْدَ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ.

فإن قال قائل: أو ليس قوله: وَإِقَامِ الصَّلَاةِ مصدرًا من قوله أقمته؟ قيل: بلى. فإن قال: أو ليس المصدر منه إقامة, كالمصدر من أجزت إجارة؟ قيل: بلى. فإن قال: وكيف قال: وَإِقَامِ الصَّلَاةِ, أو تجيز أن نقول: أقمته إقامًا؟ قيل: ولكنني أجزت: أعجبتني إقام الصلاة. فإن قيل: وما وجه جواز ذلك؟ قيل: إن الحكم في أقمته إذا جعل منه مصدرًا أن يقال إقامًا, كما يقال: أقعدت فلانًا إقعادًا وأعطيته إعطاءً ولكن العرب لما سكنت الواو من «أقمته» فسقطت لاجتماعها وهي ساكنة والميم ووهي ساكنة, بتوا المصدر على ذلك إذ جاءت الواو ساكنة قبل ألف الإفعال وهي ساكنة, فسقطت الأولى منهما, فأبدلوا منها هاء في آخر الحرف, كالتكثير للحرف, كما فعلوا ذلك في قولهم: وَعَدْتَهُ عِدَّةً, ووزنته زنة إذ ذهب الواو من أوله, كثروه من آخره بالهاء فلما أضيفت الإقامة إلى الصلاة, حذفوا الزيادة التي كانوا زادوها للتكثير, وهي الهاء في آخرها لأن الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد, فاستغنوا بالمضاف إليه من الحرف الزائد. وقد قال بعضهم في نظير ذلك:

إِنَّ الْخَلِيظَ أَجَدُّوا الْبَيْنَ فَأَنْجَرَدُوا وَأَخْلَفُوا عِدَّ الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُّوا

يريد: عدة الأمر. فأسقط الهاء من العدة لما أضافها، فكذلك ذلك في إقام الصلاة.

وقوله: وَإِنَاءِ الزَّكَاةِ قِيلَ: معناه: وإخلاص الطاعة لله. ذكر من قال ذلك: 19815- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة. وقوله: وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وقوله: وَلَوْ لَا قَضَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا، وقوله: وَخَانَا مِنْ لَدُنَّا وَرَكَاةً ونحو هذا في القرآن، قال: يعني بالزكاة: طاعة الله والإحصر. وقوله: يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ يقول: يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب من هوله، بين طمع بالنجاة وحذر بالهلاك. والأبصار: أي ناحية يؤخذ بهم: أذات اليمين أم ذات الشمال؟ ومن أين يؤتون كتبهم: أمن قبل الأيمان أو من قبل الشمائل؟ وذلك يوم القيامة. كما: 19816- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال عبد الله بن عياش، قال زيد بن أسلم، في قول الله: فِي بُيُوتٍ أُدْرِكُ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ... إلى قوله: تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ يوم القيامة.

وقوله: لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا يَقُولُ: فعلوا ذلك، يعني أنهم لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا ربهم، مخافة عذابه يوم القيامة كي يثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ويزيدهم على ثوابه إياهم على أحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا، من فضله، فيفضل عليهم عن عنده بما أحب من كرامته لهم. وقوله: وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ يقول تعالى ذكره: يتفضل على من شاء وأراد من طوله وكرامته، مما لم يستحقه بعمله ولم يبلغه بطاعته بغير حساب يقول: بغير محاسبة على ما بذل له وأعطاه.

### الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فُوقًاةً حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ } .

وهذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به، فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن وبمن جاء به، مثل أعمالهم التي عملوها كسراب يقول: مثل سراب، والسراب: ما لصق بالأرض، وذلك يكون نصف النهار وحين يشتد الحر. والآل ما كان كالماء بين السماء والأرض، وذلك يكون أول النهار، يرفع كل شيء ضحى. وقوله: بِقِيَعَةٍ وهي جمع قاع، كالجيرة جمع جار، والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السراب. وقوله: يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً يقول: يظن العطشان من الناس السراب، ماء. حتى إذا جاءه والهاء من ذكر السراب، والمعنى: حتى إذا جاء الظمان السراب ملتصقا ماء يستغيث به من عطشه لم يجد له شئاً يقول: لم يجد السراب شيئاً، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه، كما حسب الظمان الذي رأى السراب فظنه ماء يُرويه من ظمئه حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافع عند الله، لم يجده ينفعه شيئاً لأنه كان عمله على كفر بالله، ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد، فوقاه يوم

القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا وجزاه بها جزاءه الذي يستحقه عليه منه.

فإن قال قائل: وكيف قيل: حتى إذا جاءه لم يجد شئنا فإن لم يكن السراب شئنا، فعلام أدخلت الهاء في قوله: حتى إذا جاءه؟ قيل: إنه شيء يُرى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفا من بعيد والهباء، فإذا قرب منه المرء رقى وصار كالهواء. وقد يحتمل أن يكون معناه: حتى إذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شئنا، فاكتمفى بذكر السراب من ذكر موضعه. وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ يقول: والله سريع حسابه لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع ولا حفظ بقلب، ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد ومن بعد ما عمله.

وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19817- حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، قال: ثم ضرب مثلا آخر، فقال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ قَالَ: وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يحسب أن عند الله خيرا، فلا يجد، فيُدخله النار. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرازي، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب بنحوه. 19818- حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يقول: الأرض المستوية.

19819- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ... إلى قوله: وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ قَالَ: هو مثل ضربه الله لرجل عطش فاشتد عطشه، فرأى سرايا فحسبه ماء، فطلبه وطلب أنه قد قدر عليه، حتى أتاه، فلما أتاه لم يجده شئنا، وقُبض عند ذلك. يقول: الكافر كذلك، يحسب أن عمله مُغْن عنه أو نافعه شئنا، ولا يكون أتيا على شيء حتى يأتيه الموت، فإذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شئنا ولم ينفعه إلا كما نفع العطشان المشتد إلى السراب.

19820- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ قَالَ: بقاع من الأرض، والسراب: عَمَلُه. زاد الحارث في حديثه عن الحسن: والسراب عمل الكافر. إذا جاءه لم يجد شئنا. إتيانه إياه: موته وفراقه الدنيا. وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَ فِرَاقِهِ الدُّنْيَا، قَوْفَاهُ حِسَابَهُ.

19821- حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله: كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ قَالَ: بقية من الأرض. يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً: هو مثل ضربه الله لعمل الكافر، يقول: يحسب أنه في شيء كما يحسب هذا السراب ماء. حتى إذا جاءه لم يجد شئنا، وكذلك الكافر إذا مات لم يجد عمله شئنا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ قَوْفَاهُ حِسَابَهُ.

19822- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَالَّذِينَ كَفَرُوا... إلى قوله: وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ قَالَ: هذا مثل ضربه الله

للذين كفروا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ قَدْ رَأَى السَّرَابَ، وَوَثِقَ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ مَاءٌ، فَلَمَّا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا. قَالَ: وَهَؤُلَاءِ ظَنُّوا أَن أَعْمَالَهُمْ صَالِحَةٌ، وَأَنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ مِنْهَا إِلَى خَيْرٍ، فَلَمْ يَرْجِعُوا مِنْهَا إِلَّا كَمَا رَجَعَ صَاحِبُ السَّرَابِ فَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ. الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ} ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ {.

وهذا مَثَلٌ آخر ضربه الله لأعمال الكفار، يقول تعالى ذكره: وَمَثَلُ أَعْمَالِهِمْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ فِي أَنَّهُمْ عُمِلَتْ عَلَيْهِمْ خَطَاٌ وَفَسَادٌ وَضَلَالَةٌ وَحَيْرَةٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ فِيهَا وَعَلَى غَيْرِ هُدًى، مَثَلُ ظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِيٍّ. ونسب البحر إلى اللجة، وصف له بأنه عميق كثير الماء. ولجة البحر: معظمه. يَغْشَاهُ مَوْجٌ يَقُولُ: يَغْشَى الْبَحْرَ مَوْجٌ، مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ يَقُولُ: مِنْ فَوْقِ الْمَوْجِ مَوْجٌ آخَرَ يَغْشَاهُ، مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ يَقُولُ: مِنْ فَوْقِ الْمَوْجِ الْآخَرِ الَّذِي يَغْشَى الْمَوْجَ الْأَوَّلَ سَحَابٌ. فجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم، والبحر اللجج مثلاً لقلب الكافر، يقول: عَمِلَ بِنِيَّةِ قَلْبٍ قَدْ عَمَّرَهُ الْجَهْلُ وَتَغَشَّتْهُ الضَّلَالَةُ وَالْحَيْرَةُ كَمَا يَغْشَى هَذَا الْبَحْرَ اللَّجِيُّ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ، فَكَذَلِكَ قَلْبُ هَذَا الْكَافِرِ الَّذِي مَثَلُ عَمَلِهِ مَثَلُ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ، يَغْشَاهُ الْجَهْلُ بِاللَّهِ، بَأَنَّ اللَّهَ خَتَمَ عَلَيْهِ فَلَا يَعْقِلُ عَنِ اللَّهِ، وَعَلَى سَمْعِهِ فَلَا يَسْمَعُ مَوَاعِظَ اللَّهِ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَلَا يَبْصُرُ بِهِ حُجُجَ اللَّهِ، فَتَلُكُ ظُلُمَاتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19823- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ}... إلى قوله: {مِنْ نُورٍ} قال: يعني بالظلمات: الأعمال، وبالبحر اللجج: قلب الإنسان. قال: يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ، قَالَ: ظُلُمَاتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ يَعْنِي بِذَلِكَ الْغِشَاوَةَ الَّتِي عَلَى الْقَلْبِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ. وهو كقوله: خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ... الآية، وكقوله: أَقْرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ... إلى قوله: أَقَلَّا تَذَكَّرُونَ.

19824- حدثنا الحسين، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِيٍّ عَمِيقٍ، وَهُوَ مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِلْكَافِرِ يَعْمَلُ فِي ضَلَالَةٍ وَحَيْرَةٍ، قَالَ: ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. وَرُوي عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، مَا:

19825- حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، في قوله: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ... الآية}، قال: ضرب مثلاً آخر للكافر، فقال: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِيٍّ... الآية}، قال: فهو يتقلب في خمس من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرازي، عن أبي الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، بنحوه.

19826- جِدْثِي يُونُسَ، قَالَ: أَخْبِرْنَا ابْنَ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: أَوْ كَظَلَمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِّي يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ قَوْقِهِ مَوْجٌ... إِلَى قَوْلِهِ: ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ قَالَ: شَرَّ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ. وَقَوْلُهُ: إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا يَقُولُ: إِذَا أَخْرَجَ النَّاطِرُ يَدَهُ فِي هَذِهِ الظُّلْمَاتِ، لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا، مَعَ شِدَّةِ هَذِهِ الظُّلْمَةِ الَّتِي وَصَفَ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: لَمْ أَكْذِبْ أَرَى فَلَنَا، إِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتٌ مِنْهُ لِنَفْسِهِ رُؤْيَاهُ بَعْدَ جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، وَمِنْ دُونَ الظُّلْمَاتِ الَّتِي وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا لَا يَرَى النَّاطِرُ يَدَهُ إِذَا أَخْرَجَهَا فِيهِ، فَكَيْفَ فِيهَا؟ قِيلَ: فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ نَذَكَّرُهَا، ثُمَّ نَخْبِرُ بِالصَّوَابِ مِنْ ذَلِكَ. أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْكَلَامِ: إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ رَأَيْتُهَا لَهَا لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا أَيُّ لَمْ يَعْرِفْ مِنْ أَيْنَ يَرَاهَا. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَرَاهَا، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: لَمْ يَكَدْ فِي دَخُولِهِ فِي الْكَلَامِ، نَظِيرٌ دَخُولِ الظَّنِّ فِيمَا هُوَ يَقِينٌ مِنَ الْكَلَامِ، كَقَوْلِهِ: وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحْيٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَالثَّلَاثُ: أَنْ يَكُونَ قَدْ رَأَاهَا بَعْدَ بَطْءٍ وَجَهْدٍ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِآخِرٍ: مَا كَدْتُ أَرَاكَ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَقَدْ رَأَاهُ، وَلَكِنْ بَعْدَ إِيَّاسٍ وَشِدَّةٍ. وَهَذَا الْقَوْلُ الثَّلَاثُ أَظْهَرَ مَعَانِي الْكَلِمَةِ مِنْ جِهَةِ مَا تَسْتَعْمَلُ الْعَرَبُ «أَكَادًا» فِي كَلَامِهَا. وَالْقَوْلُ الْآخِرُ الَّذِي قُلْنَا إِنَّهُ يَتَوَجَّهُ إِلَى أَنَّهُ بِمَعْنَى لَمْ يَرَاهَا، قَوْلٌ أَوْضَحَ مِنْ جِهَةِ التَّفْسِيرِ، وَهُوَ أَخْفَى مَعَانِيهِ. وَإِنَّمَا حُسْنُ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، أَعْنِي أَنْ يَقُولَ: لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا مَعَ شِدَّةِ الظُّلْمَةِ الَّتِي ذَكَرَ لِأَنَّ ذَلِكَ مَثَلٌ لَا خَبَرَ عَنْ كَائِنٍ كَانَ. وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا يَقُولُ: مَنْ مِنْ لَمْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ إِيمَانًا وَهُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ وَمَعْرِفَةً بِكِتَابِهِ، فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ يَقُولُ: فَمَا لَهُ مِنْ إِيمَانٍ وَهُدًى وَمَعْرِفَةٍ بِكِتَابِهِ.

#### **الآية : 40**

القول في تأويل قوله تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ } . وهذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِأَعْمَالِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، فَقَالَ: وَالَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ رَبِّهِمْ وَكَدَّبُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ وَبِمَنْ جَاءَ بِهِ، مَثَلٌ أَعْمَالُهُمُ الَّتِي عَمَلُوهَا كَسَرَابٍ يَقُولُ: مَثَلٌ سَرَابٍ، وَالسَّرَابُ: مَا لَصِقَ بِالْأَرْضِ، وَذَلِكَ يَكُونُ نِصْفَ النَّهَارِ وَحِينَ يَشْتَدُّ الْحَرُّ. وَالْأَلُّ مَا كَانَ كَالْمَاءِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَذَلِكَ يَكُونُ أَوَّلَ النَّهَارِ، يَرْفَعُ كُلُّ شَيْءٍ ضَخِّي. وَقَوْلُهُ: بِقِيَعَةٍ وَهِيَ جَمْعُ قَاعٍ، كَالجِيرَةِ جَمْعُ جَارٍ، وَالْقَاعُ: مَا انْبَسَطَ مِنَ الْأَرْضِ وَاتَّسَعَ، وَفِيهِ يَكُونُ السَّرَابُ. وَقَوْلُهُ: يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً يَقُولُ: يَظُنُّ الْعَطِشَانُ مِنَ النَّاسِ السَّرَابَ، مَاءً. حَتَّى إِذَا جَاءَهُ وَالْهَاءُ مِنْ ذِكْرِ السَّرَابِ، وَالْمَعْنَى: حَتَّى إِذَا جَاءَ الظَّمَانُ السَّرَابَ مَلْتَمِسًا مَاءً يَسْتَعِيثُ بِهِ مِنْ عَطَشِهِ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا يَقُولُ: لَمْ يَجِدِ السَّرَابَ شَيْئًا، فَكَذَلِكَ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمَلُوهَا فِي غُرُورٍ يَحْسِبُونَ أَنَّهَا مَنْجِيَّتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عَذَابِهِ، كَمَا حَسِبَ الظَّمَانُ الَّذِي رَأَى السَّرَابَ فَظَنَّهُ مَاءً يُزْوِبُهُ مِنْ ظَمْنِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ وَصَارَ إِلَى الْحَاجَةِ إِلَى عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَرَى أَنَّهُ نَافِعُهُ عِنْدَ اللَّهِ، لَمْ يَجِدْهُ يَنْفَعُهُ شَيْئًا لِأَنَّهُ كَانَ عَمَلُهُ عَلَى كُفْرٍ بِاللَّهِ، وَوَجَدَ اللَّهُ هَذَا الْكَافِرَ عِنْدَ هَلَاكِهِ بِالْمِرْصَادِ، فَوْقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسَابَ أَعْمَالِهِ الَّتِي عَمَلَهَا فِي الدُّنْيَا وَجَازَاهُ بِهَا جَزَاءَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِ مِنْهُ.



فإن قال قائل: وكيف قيل: حتى إذا جاءه لم يجد شئنا فإن لم يكن السراب شيئاً، فعلام أدخلت الهاء في قوله: حتى إذا جاءه؟ قيل: إنه شيء يُرى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفاً من بعيد والهباء، فإذا قرب منه المرء رقّ وصار كالهواء. وقد يحتمل أن يكون معناه: حتى إذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيئاً، فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه. وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ يقول: والله سريع حسابه لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع ولا حفظ بقلب، ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد ومن بعد ما عمله.

وينحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19817- حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، قال: ثم ضرب مثلاً آخر، فقال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ قَالَ: وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يحسب أن عند الله خيراً، فلا يجد، فيدخله النار.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرازي، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب بنحوه. 19818- حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يقول: الأرض المستوية.

19819- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ... إلى قوله: وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ قَالَ: هو مثل ضربه الله لرجل عطش فاشتد عطشه، فرأى سرايا فحسبه ماء، فطلبه وطلب أنه قد قدر عليه، حتى أتاه، فلما أتاه لم يجده شيئاً، وقُبض عند ذلك. يقول: الكافر كذلك، يحسب أن عمله مُعْن عنه أو نافعه شيئاً، ولا يكون أتياً على شيء حتى يأتيه الموت، فإذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئاً ولم ينفعه إلا كما نفع العطشان المشتد إلى السراب.

19820- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ قَالَ: بقاع من الأرض، والسراب: عمّله. زاد الحارث في حديثه عن الحسن: والسراب عمل الكافر. إذا جاءه لم يجد شئنا. إتيانه إياه: موته وفراقه الدنيا. وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَ فِرْعَوْنَ حِسَابَهُ.

19821- حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله: كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ قَالَ: بقية من الأرض. يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً: هو مثل ضربه الله لعمل الكافر، يقول: يحسب أنه في شيء كما يحسب هذا السراب ماء. حتى إذا جاءه لم يجد شئنا، وكذلك الكافر إذا مات لم يجد عمله شيئاً وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فِرْعَوْنَ حِسَابَهُ.

19822- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَالَّذِينَ كَفَرُوا... إلى قوله: وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ قَالَ: هذا مثل ضربه الله للذين كفروا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ قد رأى السراب، ووثق بنفسه أنه ماء، فلما جاءه لم يجده شيئاً. قال: وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة، وأنهم

سَيَرْجِعُونَ مِنْهَا إِلَى خَيْرٍ، فَلَمْ يَرْجِعُوا مِنْهَا إِلَّا كَمَا رَجَعَ صَاحِبُ السَّرَابِ  
فَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ. الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ  
تَعَالَى: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِّي يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ قَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ قَوْقِهِ  
سَبْحَاتٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ  
اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ}.

وهذا مَثَلٌ آخر ضَرَبَهُ اللَّهُ لأَعْمَالِ الْكُفَّارِ، يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَمَثَلُ أَعْمَالِ  
هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ فِي أَنَّهُا عُمِلَتْ عَلَى خَطَاٍ وَفَسَادٍ وَضَلَالَةٍ وَحَيْرَةٍ مِنْ عَمَالِهَا  
فِيهَا وَعَلَى غَيْرِ هُدَى، مَثَلُ ظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِّيٍّ. وَنَسَبَ الْبَحْرَ إِلَى  
اللَّجَّةِ، وَصَفَا لَهُ بِأَنَّهُ عَمِيقٌ كَثِيرُ الْمَاءِ. وَلِجَّةُ الْبَحْرِ: مَعْظَمُهُ. يَعْشَاهُ مَوْجٌ  
يَقُولُ: يَغْشَى الْبَحْرَ مَوْجٌ، مِنْ قَوْقِهِ مَوْجٌ: يَقُولُ: مِنْ فَوْقِ الْمَوْجِ مَوْجٌ آخَرَ  
يَغْشَاهُ، مِنْ قَوْقِهِ سَحَابٌ: يَقُولُ: مِنْ فَوْقِ الْمَوْجِ الثَّانِي الَّذِي يَغْشَى  
الْمَوْجَ الْأَوَّلَ سَحَابٌ. فَجَعَلَ الظُّلُمَاتُ مَثَلًا لِأَعْمَالِهِمْ، وَالْبَحْرَ اللَّجِّيَّ مَثَلًا  
لِقَلْبِ الْكَافِرِ، يَقُولُ: عَمِلَ بِنِيَّةِ قَلْبٍ قَدْ عَمَّرَهُ الْجَهْلُ وَتَغَشَّتْهُ الضَّلَالَةُ  
وَالْحَيْرَةُ كَمَا يَغْشَى هَذَا الْبَحْرَ اللَّجِّيَّ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ،  
فَكَذَلِكَ قَلْبُ هَذَا الْكَافِرِ الَّذِي مَثَلُ عَمَلِهِ مَثَلُ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ، يَغْشَاهُ الْجَهْلُ  
بِاللَّهِ، بَأَنَّ اللَّهَ خَتَمَ عَلَيْهِ فَلَا يَعْقِلُ عَنِ اللَّهِ، وَعَلَى سَمْعِهِ فَلَا يَسْمَعُ  
مَوَاعِظَ اللَّهِ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَلَا يَبْصُرُ بِهِ حُجْجَ اللَّهِ، فَتَلْكَ  
ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:  
19823- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثَنِي أَبِي، قَالَ: ثَنِي عَمِّي، قَالَ:  
حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِّيٍّ  
يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ قَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ قَوْقِهِ سَحَابٌ... إِلَى قَوْلِهِ: مِنْ نُورٍ قَالَ:  
يَعْنِي بِالظُّلُمَاتِ: الْأَعْمَالُ، وَبِالْبَحْرِ اللَّجِّيِّ: قَلْبَ الْإِنْسَانِ. قَالَ: يَغْشَاهُ  
مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ، قَالَ: ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ يَعْنِي  
بِذَلِكَ الْغِشَاوَةَ الَّتِي عَلَى الْقَلْبِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ.  
وَهُوَ كَقَوْلِهِ: خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ... الْآيَةُ، وَكَقَوْلِهِ: أَقْرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ  
إِلَهَهُ هَوَاهُ... إِلَى قَوْلِهِ: أَفَلَا تَذَكَّرُونَ.

19824- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ  
قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِّيٍّ عَمِيقٍ، وَهُوَ مِثْلُ ضَرَبِهِ اللَّهُ  
لِلْكَافِرِ يَعْمَلُ فِي ضَلَالَةٍ وَحَيْرَةٍ، قَالَ: ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. وَرُويَ عَنْ  
أَبِي بَنِي كَعْبٍ، مَا:

19825- حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ وَاصِلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى،  
قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنْ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أَبِي بَنِي  
كَعْبٍ، فِي قَوْلِهِ: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِّيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ... الْآيَةَ، قَالَ:  
ضَرَبَ مِثْلًا آخَرَ لِلْكَافِرِ، فَقَالَ: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِّيٍّ... الْآيَةَ، قَالَ:  
فَهُوَ يَتَقَلَّبُ فِي خَمْسٍ مِنَ الظُّلْمِ: فَكَلَامُهُ ظُلْمَةٌ، وَعَمَلُهُ ظُلْمَةٌ، وَمَدْخَلُهُ  
ظُلْمَةٌ، وَمَخْرَجُهُ ظُلْمَةٌ، وَمَصِيرُهُ إِلَى الظُّلُمَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّارِ.  
حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: ثَنِي حُجَّاجٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرِ  
الرَّازِيِّ، عَنْ أَبِي الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أَبِي بَنِي كَعْبٍ، بِنَحْوِهِ.

19826- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي  
قَوْلِهِ: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِّيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ قَوْقِهِ مَوْجٌ... إِلَى قَوْلِهِ:  
ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ قَالَ: شَرَّ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ.

وقوله: إِذَا أُخْرِجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأَاهَا يَقول: إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات, لم يكذب يراها.

فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: لم يكذب يراها, مع شدة هذه الظلمة التي وصف, وقد علمت أن قول القائل: لم أكد أرى فلانا, إنما هو إثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدة, ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فيه, فكيف فيها؟ قيل: في ذلك أقوال نذكرها, ثم نخبر بالصواب من ذلك. أحدها: أن يكون معنى الكلام: إذا أخرج يده راثيا لها لم يكذب يراها أي لم يعرف من أين يراها. والثاني: أن يكون معناه: إذا أخرج يده لم يرها, ويكون قوله: لَمْ يَكْذِبْ فِي دُخُولِهِ فِي الْكَلَامِ, نظير دخول الظن فيما هو يقين من الكلام, كقوله: وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ. والثالث: أن يكون قد رآها بعد بقاء وجهه, كما يقول القائل لآخر: ما كدت أراك من الظلمة, وقد رآه, ولكن بعد إياس وشدة.

وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب «أكاد» في كلامها. والقول الآخر الذي قلنا إنه يتوجه إلى أنه بمعنى لم يرها, قول أوضح من جهة التفسير, وهو أخفى معانيه. وإنما حسن ذلك في هذا الموضوع, أعني أن يقول: لم يكذب يراها مع شدة الظلمة التي ذكر لأن ذلك مَثَلٌ لا خبر عن كائن كان. وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا يَقول: من من لم يرزقه الله إيمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه, فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ يَقول: فما له من إيمان وهدى ومعرفة بكتابه.

### الآية : 41-42

القول في تأويل قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَاقَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ \* وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظريا محمد بعين قلبك فتعليم أن الله يصلي له من في السموات والأرض من مَلَكٍ وَإِنْسٍ وَجَنٍّ. وَالطَّيْرِ صَاقَاتٍ فِي الْهَوَاءِ أَيْضًا تَسْبِيحَ لَهُ. كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَالتسبيح عندك صلاة, فيقال: قيل: إن الصلاة لنبى آدم والتسبيح لغيرهم من الخلق, ولذلك فضل فيما بين ذلك.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19827- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَاقَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ قَالَ: والصلاة للإنسان, والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق.

19828- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: قوله: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَاقَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ قَالَ: صلاته: للناس, وتسبيحه: عامة لكل شيء.

ويتوجه قوله: كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ لوجوه: أحدها: أن تكون الهاء التي في قوله: صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ من ذكر «كل», فيكون تأويل الكلام: كل مصلٍّ ومسبحٍ منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه, ويكون «الكل» حينئذٍ

مرتفعا بالعائد من ذكره في قوله: **كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ**, وهو الهاء التي في الصلاة.

والوجه الآخر: أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح أيضا لـ «الكل»، ويكون «الكل» مرتفعا بالعائد من ذكره عليه في: **عَلِمَ**, ويكون: **عَلِمَ** فعلا لـ «الكل»، فيكون تأويل الكلام حينئذ: **قد علم كل مصل ومسبح منهم صلاة نفسه وتسبيحه الذي كلفه وألزمه.**

والوجه الآخر: أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح من ذكر الله, والعلم لـ «الكل», فيكون تأويل الكلام حينئذ: **قد علم كل مسبح ومصل صلاة الله التي كلفه إياها, وتسبيحه.** وأظهر هذه المعاني الثلاثة على هذا الكلام المعنى الأول, وهو أن يكون المعنى: **كل مصل منهم ومسبح, قد علم الله صلته وتسبيحه.**

وقوله: **وَاللَّهُ عَلِيمٌ** بما يفعلون يقول تعالى ذكره: **والله ذو علم بما يفعل كل مصل ومسبح منهم, لا يخفى عليه شيء من أفعالهم, طاعتها ومعصيتها, محيط بذلك كله, وهو مجازيهم على ذلك كله.**  
وقوله: **وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** يقول جل ثناؤه: **ولله سلطان السموات والأرض وملكها, دون كل من هو دونه من سلطان ومليك, إياه فارهبوا أيها الناس, وإليه فارغبوا لا إلى غيره, فإن بيده خزائن السموات والأرض, لا يخشى بعطاياكم منها فقرا. وإلى الله المصير:**  
يقول: **وأنتم إليه بعد وفاتكم, مصيركم ومعادكم, فيوفيكم أجور أعمالكم التي عملتموها في الدنيا, فأحسنوا عبادته, واجتهدوا في طاعته, وقدموا لأنفسكم الصالحات من الأعمال.**

### **الآية : 43-44**

القول في تأويل قوله تعالى: **{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثْرًا جِبَالًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيَقْبِضُ بِهِ مِنْ سِيشَاءٍ وَيَصْرِفُهُ عَن مِّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ \* يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ }**

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم: **أَلَمْ تَرَ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا** حيث يريد. **ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ**: يقول: **ثم يؤلف بين السحاب.** وأضاف «بين» إلى السحاب, ولم يذكر معه غيره, و«بين» لا تكون مضافة إلا إلى جماعة أو اثنين, لأن السحاب في معنى جمع, واحده سحابة, كما يجمع النخلة: **نَخْل**, والتمر: **تمر**, فهو نظير قول قائل: **جلس فلان بين النخل.** وتألّف الله السحاب: **جمعه بين متفرّقا.**

وقوله: **ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا** يقول: **ثم يجعل السحاب الذي يزجيه ويؤلف بعضه إلى بعض رُكَامًا** يعني: متراكما بعضه على بعض. وقد:

19829- حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: أخبرنا خالد, قال: حدثنا مطر, عن حبيب بن أبي ثابت, عن عبيد بن عمير الليثي, قال: **الرياح أربع: يبعث الله الريح الأولى فتقم الأرض قَمًا, ثم يبعث الثانية فتنشئ سحبابا, ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله رُكَامًا, ثم يبعث الرابعة فتمطره.**

وقوله: **فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ** يقول: **فترى المطر يخرج من بين السحاب, وهو الودق,** قال الشاعر:

فَلَا مُزْتَهُ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا  
والهاء في قوله: مِنْ خِلَالِهِ من ذكر السحاب, والخلال: جمع خَلَل. وُدَّكَر  
عن ابن عباس وجماعة أنهم كانوا يقرءون ذلك: «مِنْ خَلَلِهِ».  
19830- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا جِزْمِي بن عُمَارَةَ, قال: حدثنا  
شعبة, قال: حدثنا قَتَادَةَ, عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ هذا الحرف: فَتَرَى  
الْوَدُقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ: «مِنْ خَلَلِهِ».  
19831- قال: حدثنا شُعبَةَ, قال: أخبرني عُمَارَةَ, عن رجل, عن ابن  
عباس, أنه قر هذا الحرف: فَتَرَى الْوَدُقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ: «مِنْ خَلَلِهِ».  
حدثنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن هارون,  
قال: أخبرني عُمَارَةَ بن أبي حفصة, عن رجل, عن ابن عباس, أنه قرأها:  
«مِنْ خَلَلِهِ» بفتح الخاء, من غير ألف.  
قال هارون: فذكرت ذلك لأبي عمرو, فقال: إنها لحسنة, ولكن خِلاله  
أعم.

وأما قرء الأمصار, فإنهم على القراءة الأخرى: مِنْ خِلَالِهِ وهي التي  
نختار, لإجماع الحجة من القراء عليها.  
19832- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في  
قوله: فَتَرَى الْوَدُقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ قال: الودق: القطر, والخلال: السحاب.  
وقوله: وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ: قيل في ذلك قولان:  
أحدهما: أن معناه: وأن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من  
بَرَدٍ مخلوقة هنالك خلقه. كأن الجبال على هذا القول, هي من بَرَدٍ, كما  
يقال: جبال من طين. والقول الآخر: أن الله ينزل من السماء قَدْرَ جبال  
وأمثال جبال من بَرَدٍ إلى الأرض, كما يقال: عندي بَيْتَانِ تَبْنَا. والمعنى:  
قدر بيتين من التبن, والبيتان ليسا من التبن.  
وقوله: فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يقول: فيعدُّب ذلك الذي  
ينزل من السماء من جبال فيها من بَرَدٍ من يشاء فيهلكه, أو يهلك به  
زروعه وماله. وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ من خلقه, يعني عن زروعهم وأمواهم.  
وقوله: يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ يقول: يكاد شدة ضوء برق هذا  
السحاب يذهب بأبصار من لاقى بصره. والسنا: مقصور, وهو ضوء البرق.)  
كما:

19833- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن  
جُرَيْجٍ, عن عطاء الخُراساني, عن ابن عباس, قوله: يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ قال:  
ضوء برقه.

19834- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتَادَةَ,  
في قوله: يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يقول: لَمَعَانِ البرق يذهب بالأبصار.

19835- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في  
قوله: يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ قال: سناه: ضوء يذهب بالأبصار.  
وقرأت قرء الأمصار: يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِفَتْحِ الْبَاءِ مِنْ «يَذْهَبُ»,  
سوى أبي جعفر القاريء فإنه قرأه بضم الباء: «يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ».  
والقراءة التي لا أختار غيرها هي فتحها, لإجماع الحجة من القراء عليها,  
وأن العرب إذا أدخلت الباء في مفعول «ذهبت», لم يقولوا: إلا ذهب به,  
دون أذهبت به. وإذا أدخلوا الألف في «أذهبت», لم يكادوا أن يدخلوا  
الباء في مفعوله, فيقولون: أذهبت, وذهبت به.

وقوله: يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يقول: يُعَقِّبُ الله بين الليل والنهار ويصرفهما، إذا أذهب هذا جاء هذا، وإذا أذهب هذا جاء هذا. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ يقول: إِنَّ فِي إنشَاء الله السحاب وإنزاله منه الْوَدْقَ ومن السماء البردَ وفي تقلبيه الليل والنهار، لعبرة لمن اعتبر به وعظة لمن اتعظ به ممن له فهم وعقل لأن ذلك ينبيء ويبدل على أنه له مدبراً ومصرفاً ومقلباً، لا يشبهه شيء.

#### الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

اختلفت القراء في قراءة قوله: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم: «وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ»، وقراءته عامة قراء المدينة والبصرة وعاصم: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ بِنَصْبِ «كُلِّ»، و«خَلَقَ» على مثال «فَعَلَ». وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، وذلك أن الإضافة في قراءة من قرأ ذلك «خالق» تدل على أن معنى ذلك المصنوع، فبأيتهاما قرأ القارئ فمصيب. وقوله: {خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ} يعني: من نطفة. فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ كالحياة وما أشبهها. وقيل إنما قيل: فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ والمشى لا يكون على البطن لأن المشى إنما يكون لما له قوائم، على التشبيه، وأنه لما خالط ما له قوائم ما لا قوائم له، جاز، كما قال: وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ كَالطَّيْرِ، وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ كَالْبَهَائِمِ.

فإن قال قائل: فكيف قيل: فمنهم من يمشى، و«مَنْ» للناس، وكل هذه الأجناس أو أكثرها لغيرهم؟ قيل: لأنه تفريق ما هو داخل في قوله: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ} وكان داخل في ذلك الناس وغيرهم، ثم قال: فمنهم لاجتماع الناس والبهائم وغيرهم في ذلك واختلاطهم، فكفى عن جميعهم كناية عن بني آدم، ثم فسره ب«مَنْ»، إذ كان قد كنى عنهم كناية بني آدم خاصة. يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ يقول: يحدث الله ما يشاء من الخلق. إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول: إن الله على إحداث ذلك وخلقه وخلق ما يشاء من الأشياء غيره، ذو قدرة لا يتعدر عليه شيء أراد.

#### الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}.

يقول تعالى ذكره: لقد أنزلنا أيها الناس علامات واضحات، دالات على طريق الحق، وسبيل الرشاد. وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ يقول: والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه، فيهديه إلى دين الإسلام، وهو الصراط المستقيم والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فيه.

#### الآية : 47-48

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ويقول المنافقون: صدقنا بالله وبالرسول وأطعنا الله وأطعنا الرسول. ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَقُولُ: ثُمَّ تُذِيرُ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَدْعُو إِلَى الْمَحَاكِمَةِ إِلَى غَيْرِهِ خَصْمَهَا. وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: وَلَيْسَ قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ، يَعْنِي قَوْلَهُ: أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا بِالْمُؤْمِنِينَ، لَتَرْكِبَهُمُ الْاِحْتِكَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِعْرَاضَهُمْ عَنْهُ إِذَا دُعُوا إِلَيْهِ. وَقَوْلُهُ: وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ يَقُولُ: وَإِذَا دُعِيَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ لِيَحْكَمَ بَيْنَهُمْ فِيمَا اِخْتَصَمُوا فِيهِ بِحُكْمِ اللَّهِ، إِذَا قَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ وَالرِّضَا بِحُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

### الآية : 49-50

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ\* أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أَوْلَيْتَهُمُ الظَّالِمُونَ}.

يقول تعالى ذكره: وإن يكن الحق لهؤلاء الذين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، فيأتون ويُعرضون عن الإجابة إلى ذلك، قَبِلَ الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، يَأْتُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مُذْعِنِينَ، يَقُولُ مُذْعِنِينَ مُنْقَادِينَ لِحُكْمِهِ، مُقَرِّينَ بِهِ طَائِعِينَ غَيْرِ مُكْرِهِينَ يُقَالُ مِنْهُ: قَدْ أَذَعَنَ فُلَانٌ بِحَقِّهِ: إِذَا أَقْرَبَهُ طَائِعًا غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ وَانْقَادَ لَهُ وَسَلَّمَ. وَكَانَ مُجَاهِدٌ فِيمَا ذَكَرَ عَنْهُ يَقُولُ فِي ذَلِكَ، مَا:

19836- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ قَالَ: سِرَاعًا. وَقَوْلُهُ: أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: أَفِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُعْرِضُونَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكَمَ بَيْنَهُمْ، شَكٌّ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ فَهُمْ يَمْتَنِعُونَ مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَى حُكْمِهِ وَالرِّضَا بِهِ. أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ إِذَا اِحْتَكَمُوا إِلَى حُكْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ. وَقَوْلُهُ: أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ وَالْمَعْنَى: أَنْ يَحِيفَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَبَدَأَ بِاللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ تَعْظِيمًا لِلَّهِ، كَمَا يُقَالُ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ، بِمَعْنَى: مَا شِئْتُ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكَمَ بَيْنَهُمْ فَأَفْرَدَ الرَّسُولَ بِالْحُكْمِ، وَلَمْ يَقُلْ: لِيَحْكَمَا. وَقَوْلُهُ: بَلْ أَوْلَيْتَهُمُ الظَّالِمُونَ يَقُولُ: مَا خَافَ هَؤُلَاءِ الْمَعْرِضُونَ عَنِ حُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ، إِذْ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِجَابَةِ إِلَى ذَلِكَ، مِمَّا دُعُوا إِلَيْهِ، أَنْ يَحِيفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَجُورَ فِي حُكْمِهِ عَلَيْهِمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ أَهْلٌ ظَلَمُوا لِنَفْسِهِمْ بِخِلَافِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ وَمَعْصِيَتَهُمْ اللَّهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ مِنَ الرِّضَا بِحُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَحْبَبُوا وَكَرَهُوا، وَالتَّسْلِيمَ لَهُ.

### الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكَمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. يقول تعالى ذكره: إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دُعُوا إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَإِلَى حُكْمِ رَسُولِهِ، لِيَحْكَمَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خُصُومِهِمْ، أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا مَا قِيلَ لَنَا، وَأَطَعْنَا مِنْ دَعَانَا إِلَى ذَلِكَ. وَلَمْ يُعَنَّ بِكَانَ فِي هَذَا



الموضع الخبير عن أمر قد مضى فيقضى، ولكنه تأنيب من الله الذي أنزلت هذه الآية بسببهم وتأديب منه آخرين غيرهم. وقوله: وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ يقول تعالى ذكره: والذين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم، أن يقولوا: سمعنا وأطعنا. المفلحون: يقول: هم المنجحون المدركون طلباتهم، بفعلهم ذلك، المخلدون في جنات الله.

### الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ }. يقول تعالى ذكره: ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه، ويسلم لحكمهما له وعليه، ويخف عاقبة معصية الله ويحذره، ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه فأولئك يقول: فالذين يفعلون ذلك هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة وأمنهم من عذابه. القول في تأويل قوله تعالى: { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفٍ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }. يقول تعالى ذكره: وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله إذ دعوا إليه بالله جهداً أيمانهم يقول: أغلظ أيمانهم وأشدّها: لئِنْ أَمَرْتَهُمْ يا محمد بالخروج إلى جهاد عدوك وعدو المؤمنين ليخرجن قُل لا تُفْسِمُوا لا تحلفوا، فإن هذه طاعة معروفة منكم، فيها التكذيب. كما:

19837- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: قُلْ لا تُفْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفٍ قال: قد عرفت طاعتكم إلي أنكم تكذبون. إن الله خبير بما تعملون يقول: إن الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله، أو خلافكم أمرهما أو غير ذلك من أموركم، لا يخفي عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم بكل ذلك.

### الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ }. يقول تعالى ذكره: ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه، ويسلم لحكمهما له وعليه، ويخف عاقبة معصية الله ويحذره، ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه فأولئك يقول: فالذين يفعلون ذلك هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة وأمنهم من عذابه. القول في تأويل قوله تعالى: { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفٍ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }. يقول تعالى ذكره: وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله إذ دعوا إليه بالله جهداً أيمانهم يقول: أغلظ أيمانهم وأشدّها: لئِنْ أَمَرْتَهُمْ يا محمد بالخروج إلى جهاد عدوك وعدو المؤمنين ليخرجن قُل لا تُفْسِمُوا لا تحلفوا، فإن هذه طاعة معروفة منكم، فيها التكذيب. كما:

19837- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: قُلْ لا تُفْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفٍ قال: قد عرفت طاعتكم إلي أنكم تكذبون. إن الله خبير بما تعملون يقول: إن الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله، أو خلافكم أمرهما أو غير ذلك من أموركم، لا يخفي عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم بكل ذلك.



## الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }.

يقول تعالى ذكره: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤَلَاءِ الْمَقْسَمِينَ بِاللَّهِ جَهْدَ إِيمَانِهِمْ لئن أمرتهم ليُخْرِجَنَّ وغيرهم من أمتك: أَطِيعُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْقَوْمُ فِيمَا أَمَرَكُم بِهِ وَنَهَاكُم عَنْهُ. وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن طَاعْتَهُ لِلَّهِ طَاعَةٌ. فَإِن تَوَلَّوْا يَقُولُ: فَإِن تُعْرِضُوا وَتُذَبِّرُوا عَمَّا أَمَرَكُم بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ نَهَاكُم عَنْهُ، وَتَأْبُوا أَن تُذْعَبُوا لِحُكْمِهِ لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ. فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ يَقُولُ: فَإِنَّمَا عَلَيْهِ فَعَلٌ مَا أَمَرَ بِفِعْلِهِ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، عَلَى مَا كَلَّفَهُ مِنَ التَّبْلِيغِ. وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ يَقُولُ: وَعَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَفْعَلُوا مَا أَلْزَمَكُم وَأَوْجِبَ عَلَيْكُمْ مِنْ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالِاتِّهَاءِ إِلَى طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُم وَنَهَاكُم.

وقلنا: إن قوله: فَإِن تَوَلَّوْا بِمَعْنَى: فَإِن تَوَلَّوْا، فَإِنَّهُ فِي مَوْضِعِ جُزْمٍ لِأَنَّهُ خُطَابٌ لِلَّذِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ، وَلَوْ كَانَ قَوْلُهُ: تَوَلَّوْا فَعَلًا مَاضِيًا عَلَى وَجْهِ الْخَيْرِ عَنْ غَيْبٍ، لَكَانَ فِي مَوْضِعِ قَوْلِهِ: وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَعَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا.

وقوله: وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَإِن تَطِيعُوا أَيُّهَا النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ وَنَهَاكُم، تَزُشُّدُوا وَتَصِيبُوا الْحَقَّ فِي أُمُورِكُمْ. وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَقُولُ: وَغَيْرُ وَاجِبٍ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمٍ بِرِسَالَةٍ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَهُمْ رِسَالَتَهُ بِلَاغًا يَبِينُ لَهُمْ ذَلِكَ الْبَلَاغَ عَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ، يَقُولُ: فَلَيْسَ عَلَى مُحَمَّدٍ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا أَدَاءُ رِسَالَةِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ وَعَلَيْكُمْ الطَّاعَةَ وَإِن أَطَعْتُمُوهُ لِحُظُوظِ أَنْفُسِكُمْ تَصِيبُونَ، وَإِن عَصَيْتُمُوهُ بِأَنْفُسِكُمْ فَتُوبِقُونَ.

## الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَقُولُ: وَأَطَاعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَنَهَايَهُمْ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ يَقُولُ: لَيُؤَثِّرَنَّهُمْ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، فَيَجْعَلُهُمْ مُلُوكًا وَسَاسَتَهَا. كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَقُولُ: كَمَا فَعَلَ مِنْ قَبْلِهِمْ ذَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ أَهْلَكَ الْجَبَابِرَةَ بِالشَّامِ وَجَعَلَهُمْ مُلُوكًا وَسَكَانَهَا. وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ يَقُولُ: وَلَيُؤَثِّرَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَاهَا لَهُمْ فَأَمْرَهُمْ بِهَا. وَقِيلَ: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، ثُمَّ تَلَقَّى ذَلِكَ بِجَوَابِ الْيَمِينِ بِقَوْلِهِ: لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ لِأَنَّ الْوَعْدَ قَوْلُ يَصْلُحُ فِيهِ «أَنْ»، وَجَوَابِ الْيَمِينِ كَقَوْلِهِ: وَعَدْتُكَ أَنْ أَكْرِمَكَ، وَوَعَدْتُكَ لِأَكْرِمَنَّكَ.

واختلف القراء في قراءة قوله: كَمَا اسْتَخْلَفَ فَقَرَأْتَهُ عَامَةُ الْقُرَّاءِ: كَمَا اسْتَخْلَفَ بفتح التاء واللام، بِمَعْنَى: كَمَا اسْتَخْلَفَ اللَّهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

من الأمم. وقرأ ذلك عاصم: «كَمَا اسْتُخْلِيفَ» بضم التاء وكسر اللام، على مذهب ما لم يُسَمَّ فاعله.  
واختلفوا أيضا في قراءة قوله: وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَةً قَرَاءَ الْأَمْصَارِ  
سوى عاصم: وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ، بِمَعْنَى: وَلَيُعَيِّرَنَّ حَالَهُمْ عَمَا هِيَ  
عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْفِ إِلَى الْأَمْنِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: قَدْ بَدَّلَ فُلَانٌ: إِذَا غَيَّرَ حَالَهُ  
وَلَمْ يَأْتِ مَكَانَ غَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَغْيِرٍ عَنِ حَالِهِ فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَبْدَلٌ  
بِالتَّشْدِيدِ. وَرَبَّمَا قِيلَ بِالتَّخْفِيفِ، وَلَيْسَ بِالفَصِيحِ. فَأَمَّا إِذَا جُعِلَ مَكَانَ  
الشَّيْءِ الْمَبْدَلِ غَيْرَهُ، فَذَلِكَ بِالتَّخْفِيفِ: أَبَدَلْتَهُ فَهُوَ مُبَدَّلٌ. وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ:  
أَبْدَلْ هَذَا الثَّوْبَ: أَيِ جُعِلْ مَكَانَهُ آخَرَ غَيْرِهِ، وَقَدْ يُقَالُ بِالتَّشْدِيدِ غَيْرُ أَنْ  
الفَصِيحُ مِنَ الْكَلَامِ مَا وَصَفَتْ. وَكَانَ عَاصِمٌ يَقْرَأُ: «وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ» بِتَخْفِيفِ  
الدَّالِ.

والصواب من القراءة في ذلك: التشديد، على المعنى الذي وصفت قبل،  
لإجماع الحجة من قراءة الأمصار عليه، وأن ذاك تغيير حال الخوف إلى  
الأمن. وأرى عاصما ذهب إلى أن الأمن لما كان خلاف الخوف وجه  
المعنى إلى أنه ذهب بحال الخوف وجاء بحال الأمن، فحَقَّفَ ذلك.  
ومن الدليل على ما قلنا من أن التخفيف إنما هو ما كان في إبدال  
شيء مكان آخر، قول أبي النجم:

عَزَلُ الْأَمِيرِ لِلْأَمِيرِ الْمُبَدَّلِ

وقوله: يَعْْبُدُونَنِي يَقُولُ: يَخْضَعُونَ لِي بِالطَّاعَةِ وَيَتَذَلَّلُونَ لِأَمْرِي وَنَهْيِي.  
لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا يَقُولُ: لَا يَشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّايَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ  
وَلَا شَيْئًا غَيْرَهَا، بَلْ يَخْلَصُونَ لِي الْعِبَادَةَ فَيَفْرِدُونَهَا إِلَيَّ دُونَ كُلِّ مَا عُبِدَ  
مِنْ شَيْءٍ غَيْرِي. وَذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ مِنْ أَجْلِ شِكَايَةِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي كَانُوا  
فِيهَا مِنَ الْعَدُوِّ فِي خَوْفٍ شَدِيدٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الرَّعْبِ وَالْخَوْفِ وَمَا  
يَلْقَوْنَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الْأَذَى وَالْمَكْرُوهِ. ذَكَرَ الرَّوَايَةَ بِذَلِكَ:

19838- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثنا ججاج، عن أبي  
جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قوله: وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... الآية، قال: مكث النبي صلى الله عليه وسلم عشر  
سنين خائفا يدعو إلى الله سرا وعلانية، قال: ثم أمر بالهجرة إلى  
المدينة. قال: فمكث بها هو وأصحابه خائفون، يُصْبِحُونَ فِي السَّلَاحِ  
وَيُمْسُونَ فِيهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا يَأْتِي عَلَيْنَا يَوْمَ نَأْمَنُ فِيهِ وَنَضَعُ عَنَّا السَّلَاحَ  
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَعْبُرُونَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَجْلِسَ  
الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبِياً فِيهِ لَيْسَ فِيهِ حَدِيدَةٌ». فَأَنْزَلَ  
اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ... إِلَى قَوْلِهِ: قَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ»  
قال: يقول: من كفر بهذه النعمة فأولئك هم الفاسقون وليس يعني الكفر  
بالله. قال: فأظهره الله على جزيرة العرب، فأمنوا، ثم تجبروا، فعير الله  
ما بهم. وكفروا بهذه النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه  
عنهم قال القاسم: قال أبو علي: بقتلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه.  
واختلف أهل التأويل في معنى الكفر الذي ذكره الله في قوله: قَمَنْ كَفَرَ  
بَعْدَ ذَلِكَ فقال أبو العالية ما ذكرنا عنه من أنه كفر بالنعمة لا كفر بالله.  
وروى عن حذيفة في ذلك ما:

19839- حدثنا به ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب بن أبي الشعثاء, قال: كنت جالسا مع حذيفة وعبد الله بن مسعود, فقال حذيفة: ذهب النفاق, وإنما كان النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم, وإنما هو الكفر بعد الإيمان قال: فضحك عبد الله, فقال: لم تقول ذلك؟ قال: علمت ذلك, قال: وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ... حتى بلغ آخرها.

19840- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عدي, قال: حدثنا شعبة, عن أبي الشعثاء, قال: قعدت إلى ابن مسعود وحذيفة, فقال حذيفة: ذهب النفاق فلا نفاق, وإنما هو الكفر بعد الإيمان فقال عبد الله: تعلم ما تقول؟ قال: فتلا هذه الآية: إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ... حتى بلغ: فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ قال: فضحك عبد الله. قال: فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بأيام, فقلت: من أي شيء ضحك عبد الله؟ قال: لا فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بأيام, فقلت: من أي شيء ضحك عبد الله؟ قال: لا أدري, إن الرجل ربما ضحك من الشيء الذي يُعجبه وربما ضحك من الشيء الذي لا يعجبه, فمن أي شيء ضحك؟ لا أدري.

والذي قاله أبو العالية من التأويل أشبه بتأويل الآية, وذلك أن الله وعد الإنعام على هذه الأمة بما أخبر في هذه الآية أنه منعم به عليهم ثم قال عقيب ذلك: فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.

19841- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قول الله: يَعْْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا قال: تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

19842- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد: أَمَا يَعْْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا قال: لا يخافون غيري.

### **الآية : 56-57**

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} \* لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ {.

يقول تعالى ذكره: وأقيموا أيها الناس الصلاة بحدودها فلا تضيعوها. وآتوا الزكاة التي فرضها الله عليكم أهلها, وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم. لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ يقول: كي يرحمكم ربكم فينجيكم من عذابه, وقوله: لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ يقول تعالى ذكره: لا تحسبن يا محمد الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض إذا أراد إهلاكهم. وما واهم بعد هلاكهم النارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ الذي يصيرون إليه ذلك الماوى. وقد كان بعضهم يقول: «لا يحسبن الذين كفروا» بالياء. وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية وذلك أن «تحسب» محتاج إلى منصوبين. وإذا قرئ «يَحْسَبَنَّ» لم يكن واقعا إلا على منصوب واحد, غير أني أحسب أن قائله بالياء ظن أنه قد عمل في «معجزين», وأن منصوبه الثاني في «الأرض», وذلك لا معنى له إن كان ذلك قصد.

### **الآية : 58**

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ

وَجِينَ تَصْعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظُّهَيْرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: لَيْسَتْ عَلَيْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فقال بعضهم: عُني بذلك الرجال دون النساء، ونهوا عن أن يدخلوا عليهم في هذه الأوقات الثلاثة هؤلاء الذين سُموا في هذه الآية إلا بإذن. ذكر من قال ذلك:

19843- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن نافع، عن ابن عمر، قوله: لَيْسَتْ عَلَيْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ قال: هي على الذكور دون الإناث.

وقال آخرون: بل عُني به الرجال والنساء. ذكر من قال ذلك: 19844- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن، في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ عَلَيْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ قال: هي في الرجال والنساء، يستأذنون على كلِّ حال، بالليل والنهار.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُني به الذكور والإناث لأن الله عمَّ بقوله: الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ جميع أملاك أيماننا، ولم يخص منهم ذكرا ولا أنثى فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل. فتأويل الكلام: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَيْسَتْ عَلَيْكُمْ فِي الدُّخُولِ عَلَيْكُمْ عِبِيدُكُمْ وَإِمَاؤُكُمْ، فَلَا يَدْخُلُوا عَلَيْكُمْ إِلَّا بِإِذْنِ مَنْكُمْ لَهُمْ. وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلْمَ مِنْكُمْ يَقُولُ: وَالَّذِينَ لَمْ يَحْتَلَمُوا مِنْ أَحْرَارِكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَعْنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي ثَلَاثَةِ أَوْقَاتٍ مِنْ سَاعَاتٍ لَيْلِكُمْ وَنَهَارِكُمْ. كما:

19845- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ عَلَيْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ قال: عبيدكم المملوكون. وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلْمَ مِنْكُمْ قال: لم يحتلموا من أحراركم.

قال ابن جريج: قال لي عطاء بن أبي رباح: فذلك على كل صغير وصغيرة أن يستأذن، كما قال: ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَجِينَ تَصْعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظُّهَيْرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ قالوا: هي العتمة. قلت: فإذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة استأذنوا عليهم حتى يصبحوا؟ قال نعم. قلت لعطاء: هل استأذنهم إلا عند وضع الناس ثيابهم؟ قال: لا.

19846- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن صالح بن كيسان وبعقوب بن عتبة وإسماعيل بن محمد، قالوا: لا استأذنان على خدم الرجل عليه إلا في العورات الثلاث.

19847- حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: لَيْسَتْ عَلَيْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يقول: إذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء، فلا يدخل عليه خادم ولا صبي إلا بإذن حتى يصلي الغداة، فإذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك.

19848- حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني قرة بن عبد الرحمن، عن ابن شهاب، عن ثعلبة، عن أبي مالك القرظي: أنه سأل عبد الله بن سويد الحارثي، وكان من أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم, عن الإذن في العورات الثلاث, فقال: إذا وضعت ثيابي من الظهيرة, لم يلج عليّ أحد من الخدم الذي بلغ الحلم ولا أحد ممن لم يبلغ الحلم من الأحرار, إلا بإذن.  
19849- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُليّة, عن ابن جُرَيْج, قال: سمعت عطاء يقول: قال ابن عباس: ثلاث آيات جَدَّهِنَّ النَّاسُ: الإذن كله, وقال: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ وقال الناس: أكرمكم أعظمكم بيتا, ونسيت الثالثة.

19850- حدثنا ابن أبي الشوارب, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا يونس, عن الحسن, في هذه الآية: لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ قال: كان الحسن يقول: إذا أبات الرجل خادمه معه فهو إذنه, وإن لم يته معه استأذن في هذه الساعات.

19851- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا سفيان, قال: ثنا موسى بن أبي عائشة, عن الشعبي في قوله: لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ قال: لم تُنسخ. قلت: إن الناس لا يعملون به قال: الله المستعان.

قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن موسى بن أبي عائشة, عن الشعبي, وسألته عن هذه الآية: لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ قلت: منسوخة هي؟ قال: لا والله ما تُسخت, قلت: إن الناس لا يعملون بها قال: الله المستعان.

19852- قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا أبو عَوانة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير, قال: إن ناسا يقولون نسخت, ولكنها مما يتهاون الناس به.

19853- قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير في هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ... إلى آخر الآية, قال: لا يعمل بها اليوم.

19854- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: حدثنا حنظلة, أنه سمع القاسم بن محمد يُسأل عن الإذن, فقال: يستأذن عند كلِّ عورة, ثم هو طَوَّاف يعني الرجل على أمه.

19855- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عثمان بن عمر, قال: أخبرنا عبد العزيز بن أبي رَوَاد, قال: أخبرني رجل من أهل الطائف, عن عَيَّان بن شَرْحَبِيل, عن عبد الرحمن بن عوف, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَغْلِبَنَّكُمْ الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمْ, قَالَ اللَّهُ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ وَإِنَّمَا الْعَتَمَةُ عَتَمَةُ الْإِيلِ».

وقوله: ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ اختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة: ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ برفع «الثلاث», بمعنى الخبر عن هذه الأوقات التي ذكرت. كأنه عندهم قيل: هذه الأوقات الثلاثة التي أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا إلا بإذن, ثلاث عورات لكم لأنكم تضعون فيها ثيابكم وتخلون بأهلكم. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: «ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ» بنصب «الثلاث» على الرَدِّ على «الثلاث» الأولى. وكان معنى الكلام عندهم: ليستأذِنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرّات, ثلاث عورات لكم.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وقوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ يقول تعالى ذكره: ليس عليكم معشر أرباب البيوت والمساكن، ولا عليهم يعني: ولا على الذين ملكت أيمانكم من الرجال والنساء والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار حرج ولا إثم بعدهنَّ، يعني بعد العورات الثلاث. والهاء والنون في قوله: بَعْدَهُنَّ عائدتان على «الثلاث» من قوله: ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ. وإنما يعني بذلك أنه لا حرج ولا جناح على الناس أن يدخل عليهم مماليتهم البالغون وصبيانهم الصغار بغير إذن بعد هذه الأوقات الثلاث اللاتي ذكرهنَّ في قوله: مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَصْعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ.)

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19856- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: ثم رخص لهم في الدخول فيما بين ذلك بغير إذن، يعني فيما بين صلاة الغداة إلى الظهر، وبعد الظهر إلى صلاة العشاء أنه رخص لخدام الرجل والصبي أن يدخل عليه منزله بغير إذن. قال: وهو قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ فاما من بلغ الحلم فإنه لا يدخل على الرجل وأهله إلا بإذن على كل حال. وقوله: طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ رفع «الطَوَّافُونَ» بمضمر، وذلك «هم». يقول لهؤلاء المماليك والصبيان الصغار هم طَوَّافُونَ عليكم أيها الناس، ويعني بالطَوَّافِينَ: أنهم يدخلون ويخرجون على مواليتهم وأقربائهم في منازلهم غدوة وعشية بغير إذن، يطوفون عليهم بعضهم على بعض في غير الأوقات الثلاث التي أمرهم أن لا يدخلوا على ساداتهم وأقربائهم فيها إلا بإذن. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان في هذه الآية، كذلك يبين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ يقول: والله ذو علم بما يصلح عباده، حكيم في تدبيره إياهم وغير ذلك من أموره.

### الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: { وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } . يقول تعالى ذكره: إذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم، ويعني بقوله: مِنْكُمْ من أحراركم الحُلُم يعني الاحتلام واحتلموا. فَلْيَسْتَأْذِنُوا يقول: فلا يدخلوا عليكم في وقت من الأوقات إلا بإذن، لا في أوقات العورات الثلاث ولا في غيرها. وقوله: كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول: كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الأحرار. وخصَّ الله تعالى ذكره في هذه الآية الأطفال بالذكر وتعريف حكمهم عباده في الاستئذان دون ذكر ما ملكت أيماننا، وقد تقدّمت الآية التي قبلها بتعريفهم حكم الأطفال الأحرار والمماليك لأن حكم ما ملكت أيماننا من ذلك حكم واحد، سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم في أن الإذن عليهم في الساعات الثلاث التي ذكرها الله في الآية التي قبل.

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19857- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: أما من بلغ الحُلم، فإنه لا يدخل على الرجل وأهله يعني من الصبيان الأحوار إلا بإذن عليّ كل حال وهو قوله: وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلْمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.

19858- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عطاء: وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلْمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا قال: واجب على الناس أن يستأذنوا إذا احتلموا، على مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ.

19859- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، قال: يستأذن الرجل على أمه. قال: إنما نزلت: وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلْمَ فِي ذَلِكَ. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ يقول: هكذا يبين الله لكم آياته، أحكامه وشرائع دينه، كما بين لكم أمر هؤلاء الأطفال في الاستئذان بعد البلوغ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ يقول: والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأشياء، حكيم في تدبيره خلقه.

### الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: واللواتي قد قعدن عن الولد من الكبر من النساء، فلا يحضن ولا يلدن واحدهنّ قاعد. اللاتي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا يقول: اللاتي قد يئسن من البعولة، فلا يطمعن في الأزواج. فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ يقول: فليس عليهنّ حرج ولا إثم أن يضعن ثيابهنّ، يعني جلابيبهنّ، وهي القناع الذي يكون فوق الخمار والرداء الذي يكون فوق الثياب، لا حرج عليهنّ أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال وغير المحارم من الغرباء غير متبرّجات بزينة.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19860- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا وهي المرأة، لا جناح عليها أن تجلس في بيتها بدرع وخمار وتضع عنها الجلاب ما لم تتبرّج لما يكره الله، وهو قوله: فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ثم قال: وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ.

19861- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ يعني: الجلاب، وهو القناع وهذا للكبيرة التي قد قعدت عن الولد، فلا يضرها أن لا تجلب فوق الخمار. وأما كلّ امرأة مسلمة حرّة، فعليها إذا بلغت المحيض أن تديّ الجلاب على الخمار. وقال الله في سورة الأحزاب: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ رِجَالٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ إِذَا مَرَّتْ بِهِمْ امْرَأَةٌ سَيِّئَةٌ هَيْئَةً وَازِيًّا، حسب المنافقون أنها مزنية وأنها من بغيتهم، فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث، ولا يعلمون الحرّة من الأمة فأنزل الله في ذلك: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوَاكُ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ يقول: إذا كان زيهنّ حسنا لم يطمع فيهنّ المنافقون.

19862- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيْجٍ, في قوله: وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ التي قعدت من الولد وكبرت. قال ابن جُرَيْجٍ: قال مجاهد: اللاتي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا قال: لا يردنه. فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَصَعْنَ ثِيَابَهُنَّ قال: جلابيهنَّ.

19863- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَصَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ قال: وضع الخمار, قال: التي لا ترجو نكاحا, التي قد بلغت أن لا يكون لها في الرجال حاجة ولا للرجال فيها حاجة فإذا بلغن ذلك وضمن الخمار غير متبرجات بزينة. ثم قال: وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ كَانَ أَبِي يَقُولُ هَذَا كُلَّهُ.

19864- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن, قالوا: حدثنا سفيان, عن علقمة بن مَرْزُوقٍ, عن ذَرٍّ, عن أبي وائل, عن عبد الله, في قوله: فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَصَعْنَ ثِيَابَهُنَّ قال: الجلباب أو الرداء. شك سفيان.

19865- قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن مالك بن الحارث, عن عبد الرحمن بن يزيد, عن عبد الله: لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَصَعْنَ ثِيَابَهُنَّ قال: الرداء.

19866- حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن مالك بن الحارث, عن عبد الرحمن بن يزيد, قال: قال عبد الله في هذه الآية: فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَصَعْنَ ثِيَابَهُنَّ قال: هي المَلْحَفَةُ.

19867- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, قال: سمعت أبا وائل قال: سمعت عبد الله يقول في هذه الآية: فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَصَعْنَ ثِيَابَهُنَّ قال: الجلباب. حدثنا يحيى بن سعيد, عن شعبة, قال: أخبرني الحَكَمُ, عن أبي وائل, عن عبد الله, مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن الثَّورِيِّ, عن الأعمش, عن مالك بن الحارث, عن عبد الرحمن بن يزيد, عن ابن مسعود, في قوله: أَنْ يَصَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ قال: هو الرداء.

19868- قال الحسن, قال: عبد الرزاق, قال الثَّورِيُّ: وأخبرني أبو حصين وسالم الأبطس, عن سعيد بن جُبَيْرٍ, قال: هو الرداء.

19869- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن الشعبي: أَنْ يَصَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ قال: تضع الجلباب المرأة التي قد عجزت ولم تزوج. قال الشعبي: فَإِنَّ أَبِيَّ بْنَ كَعْبٍ يَقْرَأُ: «أَنْ يَصَعْنَ مِنْ ثِيَابَهُنَّ».

19870- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُليّة, قال: قلت لابن أبي نجيح, قوله: فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَصَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ قال: الجلباب. قال يعقوب, قال أبو يونس: قلت له: عن مجاهد؟ قال: نعم, في الدار والحجرة.

19871- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا,



عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَلَيْسَ عَلَيْهِ جُنَاحٌ أَنْ يَصَعْنَ ثِيَابَهُنَّ قَالَ: جلابيهنَّ.

وقوله: غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ يَزِينَنَّ يَقُولُ: ليس عليهنَّ جناح في وضع أرديتهنَّ إذا لم يُردن بوضع ذلك عنهنَّ أن يبدن ما عليهنَّ من الزينة للرجال. والتبرُّج: هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره. وقوله: وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ حَيْرٌ لَهُنَّ يَقُولُ: وإن تعففن عن وضع جلابيهنَّ وأرديتهنَّ, فيلبسنها, خير لهنَّ من أن يضعنها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19872- حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أَنْ يَسْتَعْفِفْنَ حَيْرٌ لَهُنَّ قَالَ: أن يلبسن جلابيهنَّ. 19873- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مُغيرة, عن الشعبي: وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ حَيْرٌ لَهُنَّ قَالَ: ترك ذلك, يعني ترك وضع الثياب.

19874- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ حَيْرٌ لَهُنَّ والاستعفاف: لبس الخمار على رأسها, كان أبي يقول هذا كله.

وَاللَّهُ سَمِيعٌ مَا تَنْطِقُونَ بِالسُّنْتِكُمْ. عَلِيمٌ بما تضره صدوركم, فاتقوه أن تنطقوا بالسنتكم ما قد نهاكم عن أن تنطقوا بها, أو تضرروا في صدوركم ما قد كرهه لكم, فتستوجبوا بذلك منه عقوبة.

## الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكَ إِعْظَمٌ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَسْتَأْتُوا قَدْ دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في هذه الآية في المعنى الذي أنزلت فيه, فقال بعضهم: أنزلت هذه الآية ترخيصاً للمسلمين في الأكل مع العُميان والعُرجان والمرضى وأهل الرِّمانة من طعامهم, من أجل أنهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم, خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم شيئاً مما نهاهم الله عنه بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ. ذكر من قال ذلك:

19875- حدثني عليّ, قال: ثنا عبد الله, قال: ثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ... إلى قوله: أَوْ أَسْتَأْتُوا وذلك لما أنزل الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ فقال المسلمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل, والطعام من أفضل الأموال, فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد. فكفّ الناس عن ذلك, فأنزل الله بعد ذلك: لَيْسَ عَلَيْكَ إِعْظَمٌ حَرَجٌ... إلى قوله: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مَفَاتِحَهُ.

19876- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد,  
قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ... الآية,  
كان أهل المدينة قبل أن يُبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالطهم في  
طعامهم أعمى ولا مريض, فقال بعضهم: إنما كان بهم التقدر والتقرُّز.  
وقال بعضهم: المريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح, والأعرج  
المنحسب لا يستطيع المزاحمة على الطعام, والأعمى لا يبصر طيب  
الطعام. فأنزل الله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرْجٌ فِي مَوْلَاةِ الْمَرِيضِ وَالْأَعْمَى  
وَالْأَعْرَجِ.

فمعنى الكلام على تأويل هؤلاء: ليس عليكم أيها الناس في الأعمى  
حرج أن تأكلوا منه ومعه, ولا في الأعرج حرج, ولا في المريض حرج, ولا  
في أنفسكم, أن تأكلوا من بيوتكم. فوجهوا معنى «على» في هذا  
الموضع إلى معنى «في».

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية ترخيصة لأهل الزمانة في الأكل من  
بيوت من سمى الله في هذه الآية لأن قوما كانوا من أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن عندهم في بيوتهم ما يطعمونهم, ذهبوا  
بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمى الله في هذه الآية,  
فكان أهل الزمانة يتخوَّفون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنه أطعمهم غير  
ملكه. ذكر من قال ذلك:

19874 حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى  
وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن  
أبي نجيح, عن مجاهد: لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ  
أَبَائِكُمْ قَالَ: كان رجال رَمَيْتِي قال ابن عمرو في حديثه: عُمَيَانُ وَعُزْجَانُ.  
وقال الحارث: عُمَيُّ عُرْجٌ أولوا حاجة, يستتبعهم رجال إلى بيوتهم, فإن  
لم يجدوا طعاما ذهبوا بهم إلى بوت آبائهم ومن عدد منهم من البيوت,  
فكره ذلك المستتبعون, فأنزل الله في ذلك: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ, وَأَحَلَّ  
لَهُمُ الطَّعَامَ حَيْثُ وَجَدُوهُ.

19877- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن ابن أبي  
نجيح, عن مجاهد, قال: كان الرجل يذهب بالأعمى والمريض والأعرج  
إلى بيت أبيه, أو إلى بيت أخيه, أو عمه, أو خاله, أو خالته, فكان  
الرَّمَنِي يتحرَّجون من ذلك, يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم,  
فنزلت هذه الآية رُخْصَةً لَهُمْ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن  
مجاهد, نحو حديث ابن عمرو, عن أبي عاصم.  
وقال آخرون: بل نزلت ترخيصة لأهل الزمانة الذين وصفهم الله في هذه  
الآية أن يأكلوا من بيوت من خَلَفَهُمْ فِي بَيْوتِهِ مِنَ الْغَزَاةِ. ذكر من قال  
ذلك:

19878- حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر,  
قال: قلت للزهري, في قوله: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ ما بال الأعمى ذكر  
ها هنا والأعرج والمريض؟ فقال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن  
المسلمين كانوا إذا عَرَّوْا خَلَفُوا رَمْنَاهُمْ, وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح  
أبوابهم, يقولون: قد أحللتنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يتحرَّجون  
من ذلك, يقولون: لا ندخلها وهي عُيْبٌ. فأنزلت هذه الآية رخصة لهم.

وقال آخرون: بل عُني بقوله: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.  
قالوا: وقوله: وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ كَلَامٌ مَنْقُوعٌ عَمَّا قَبْلَهُ.  
ذكر من قال ذلك:

19879- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ قال: هذا في الجهاد في سبيل الله. وفي قوله: وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ... إلى قوله: أَوْ صَدِيقِكُمْ قال: هذا شيء قد انقطع، إنما كان هذا في الأول، لم يكن لهم أبواب وكانت الستور مُرْخَاة، فربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد، فربما وجد الطعام وهو جائع، فسوّغه الله أن يأكله. قال: وقد ذهب ذلك اليوم البيوت اليوم فيما أهلها، وإذا أخرجوا أغلقوها فقد ذهب ذلك.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية ترخيصة للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة في مؤاكلاتهم إذا شاءوا ذلك. ذكر من قال ذلك:  
19880- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن مِقْسَمٍ، في قوله: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ قال: كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج، فنزلت: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا.

واختلفوا أيضا في معنى قوله: أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحَهُ فقال بعضهم: عُني بذلك وكيل الرجل وَقِيْمُهُ، أنه لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته، ونحو ذلك. ذكر من قال ذلك:

19881- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحَهُ وهو الرجل يوكّل الرجل بضيعته، فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتمر ويشرب اللبن.

وقال آخرون: بل عُني بذلك: منزل الرجل نفسه أنه لا بأس عليه أن يأكل. ذكر من قال ذلك:

19882- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحَهُ يعني: بيت أحدهم، فإنه يملكه، والعبيد منهم مما ملكوا.

19883- حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله: أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحَهُ مما تحبون يا ابن آدم.

19884- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن مجاهد، قال: أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحَهُ قال: خزائن لأنفسهم، ليست لغيرهم.

وأشبه الأقوال التي ذكرنا في تأويل قوله: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ... إلى قوله: أَوْ صَدِيقِكُمْ القول الذي ذكرنا عن الزهريّ عن عبيد الله بن عبد الله، وذلك أن أظهر معاني قوله: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ: أنه لا حرج على هؤلاء الذين سُمّوا في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها، على ما أباح لهم من الأكل منها. فإذا كان ذلك أظهر معانيه، فتوجيه معناه إلى الأغلب الأعراف من معانيه أولى من توجيهه إلى الأنكر منها. فإذا كان ذلك كذلك، كان ما خالف من التأويل قول من

قال: معناه: ليس في الأعمى والأعرج حرج، أُولَى بالصواب. وكذلك أيضا الأغلب من تأويل قوله: وَلَا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَنَّهُ بِمَعْنَى: ولا عليكم أيها الناس، ثم جمع هؤلاء والرّمَى الذين ذكرهم قبل في الخطاب، فقال: أن تأكلوا من بيوت أنفسكم. وكذلك تفعل العرب إذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب، غلبت المخاطب فقالت: أنت وأخوك قمتما، وأنت وزيد جلستما، ولا تقول: أنت وأخوك جلسا، وكذلك قوله: وَلَا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ والخبر عن الأعمى والأعرج والمريض، غلب المخاطب، فقال: أن تأكلوا، ولم يقل: أن يأكلوا.

فإن قال قائل: فهذا الأكل من بيوتهم قد علمناه كان لهم حلالاً إذ كان ملكاً لهم، أو كان أيضاً حلالاً لهم الأكل من مال غيرهم؟ قيل له: ليس الأمر في ذلك على ما توهمت ولكنه كما ذكرناه عن عبید الله بن عبد الله، أنهم كانوا إذا غابوا في مغازيهم وتخلف أهل الزمانة منهم، دفع الغازي مفتاح مسكنه إلى المتخلف منهم، فأطلق له في الأكل مما يخلف في منزله من الطعام، فكان المتخلفون يتخوفون الأكل من ذلك وربه غائب، فأعلمه الله أنه لا حرج عليه في الأكل منه وأذن لهم في أكله. فإذا كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال: إنما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستنبح أكل طعام غير المستنبح لأن ذلك لو كان كما قال من قال ذلك: لقليل: ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غير من أضافكم، أو من طعام آباء من دعاكم، ولم يقل: أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم. وكذلك لا وجه لقول من قال: معنى ذلك: ليس عليّ الأعمى حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله، لأن قوله: أن تأكلوا خبر «ليس»، و«أن» في موضع نصب على أنها خبر لها، فهي متعلقة بـ«ليس»، فمعلوم بذلك أن معنى الكلام: ليس على الأعمى حرج أن يأكل من بيته، ولا ما قاله الذين ذكرنا من أنه لا حرج عليه في التخلف عن الجهاد. فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا، تبين أن معنى الكلام: لا ضيق عليّ الأعمى، ولا على الأعرج، ولا على المريض، ولا عليكم أيها الناس، أن تأكلوا من بيوت أنفسكم أو من بيوت آبائكم أو من بيوت أمهاتكم أو من بيوت إخوانكم أو من بيوت أخواتكم أو من بيوت أعمامكم أو من بيوت عماتكم أو من بيوت أخوالكم أو من بيوت خالاتكم أو من البيوت التي ملكتم مفاتيحها أو من بيوت صديقكم، إذا أذنوا لكم في ذلك، عند مغيبهم ومشهدهم. والمفاتيح: الخزائن، واحدها: «مفتاح» إذا أريد به المصدر، وإذا كان من المفاتيح التي يفتح بها، فهي مفتاح ومفاتيح وهي ها هنا على التأويل الذي اخترناه جمع مفتاح الذي يفتح به، وكان قناة يتأول في قوله: أو صديقكم، ما:

19885- حدثنا به الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة: أو صديقكم فلو أكلت من بيت صديقك من غير أمره، لم يكن بذلك بأس. قال معمر: قلت لقتادة: أو لا أشرب من هذا الحُبِّ؟ قال: أنت لي صديق.

وأما قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِنَّ أَهْلَ التَّوْبِيلِ اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: كان الغني من الناس يتخوف أن يأكل مع الفقير، فرخص لهم في الأكل معهم. ذكر من قال ذلك:

19886- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قوله: أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتَا قال: كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصديقه, فيدعوه إلى طعامه ليأكل معه, فيقول: والله إنني لأجرح أن أكل معك والجرح: الحرج وأنا غني وأنت فقير فأمرنا أن يأكلوا جميعا أو أشتاتا. وقال آخرون: بل غني بذلك حي من أحياء العرب, كانوا لا يأكل أحدهم وحده ولا يأكل إلا مع غيره, فأذن الله لهم أن يأكل من شاء منهم وحده ومن شاء منهم مع غيره. ذكر من قال ذلك:

19887- حدثني علي, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قال: كانوا يأنفون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطعام ووجهه حتى يكون معه غيره, فرخص الله لهم, فقال: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتَا.

19888- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: كانت بنو كنانة يستحي الرجل منهم أن يأكل وحده, حتى نزلت هذه الآية.

19889- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاک يقول: كانوا لا يأكلون إلا جميعا, ولا يأكلون متفرقين, وكان ذلك فيهم دينا فأنزل الله: ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والأعمى, وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا.

19890- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتَا قال: كان من العرب من لا يأكل أبدا جميعا ومنهم من لا يأكل إلا جميعا, فقال الله ذلك.

19891- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, حدثنا نزلت: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتَا في حي من في العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده, كان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه. قال: وأحسب أنه ذكر أنهم من كنانة.

وقال آخرون: بل غني بذلك قوم كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم, فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاءوا. ذكر من قال ذلك:

19892- حدثني أبو السائب, قال: حدثنا حفص, عن عمران بن سليمان, عن أبي صالح وعكرمة, قالوا: كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم, فرخص لهم, قال الله: لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتَا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعا معا إذا شاءوا, أو أشتاتا متفرقين إذا أرادوا. وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل مع الفقير, وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وُجُدَانًا, وبسبب غير ذلك ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر, ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه. والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل, والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل.

وقوله: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ, فقال بعضهم: معناه: فإذا دخلتم أيها الناس بيوت أنفسكم, فسلموا على أهليكم وعيالكم. ذكر من قال ذلك:

19893- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهري وقتادة في قوله: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ قالا: بيتك, إذا دخلته فقل: سلام عليكم.

19894- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ قَالَ: سَلِّمُوا عَلَى أَهْلِكُمْ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: وَسُئِلَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ: أَحَقُّ عَلَى الرَّجُلِ إِذَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ أَنْ يَسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَقَالَهَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ. وَتَلَّوْا: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً قَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ.

19895- قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني أبو الزبير, قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة. قال: ما رأيته إلا يوجهه. قال ابن جريج, وأخبرني زياد, عن ابن طاوس أنه كان يقول: إذا دخل أحدكم بيته فليسلم.

19896- قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قلت لعطاء: إذا خرجت أوجب السلام؟ هل أسلم عليهم؟ وإنما قال: إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا؟ قال: ما أعلمه واجبا ولا أثر عن أحد وجوبه, ولكن أحب إلي, وما أدعه إلا ناسيا. قال ابن جريج, وقال عمرو بن دينار: لا, قال: قلت لعطاء: فإن لم يكن في البيت أحد؟ قال: سلم قل: السلام على النبي ورحمة الله وبركاته, السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين, السلام على أهل البيت ورحمة الله. قلت له: قولك هذا إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ممن تأثره؟ قال: سمعته ولم يؤثر لي عن أحد. قال ابن جريج, وأخبرني عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قال: السلام علينا من ربنا, وقال عمرو بن دينار: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

19897- حدثنا أحمد بن عبد الرحيم, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, قال: حدثنا صدقة, عن زهير, عن ابن جريج, عن أبي الزبير, عن جابر بن عبد الله, قال: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم, تحية من عند الله مباركة طيبة. قال: ما رأيته إلا يوجهه.

حدثنا محمد بن عباد الرازي, قال: حدثنا حجاج بن محمد الأعور, قال: قال لي ابن جريج, أخبرني أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: فذكر مثله.

19898- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ يقول: سلموا على أهاليكم إذا دخلتم بيوتكم, وعلى غير أهاليكم, فسلموا إذا دخلتم بيوتهم.

وقال آخرون: بل معناه: فإذا دخلتم المساجد فسلموا على أهلها. ذكر من قال ذلك:

19899- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا عبد الله بن المبارك, عن معمر, عن عمرو بن دينار, عن ابن عباس: إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ قَالَ: هِيَ الْمَسَاجِدُ, يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.

19900- قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن إبراهيم, في قوله: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ قال: إذا دخلت المسجد فقل: السلام على رسول الله وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد, فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وإذا دخلت بيتك فقل: السلام عليكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم, فليسلم بعضهم على بعض. ذكر من قال ذلك:

19901- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أي ليسلم بعضهم على بعض, كقوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ.

19902- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ قال: إذا دخل المسلم سلم عليه, كمثل قوله: لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إنما هو: لَا تَقْتُلْ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ. وقوله: ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ قال: يقتل بعضهم بعضا, قُرْبَةً وَالتَّضْيِيرِ.

وقال آخرون: معناه: فإذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد, فسلموا على أنفسكم. ذكر من قال ذلك:

19903- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن أبي مالك, قال: إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد, فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وإذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين, فقل مثل ذلك.

19904- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي سنان, عن ماهان, قال: إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم, قال: تقولوا: السلام علينا من ربنا.

19905- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: أخبرنا شعبة عن منصور, قال شعبة: وسألته عن هذه الآية: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قال: قال إبراهيم: إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد, فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

19906- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحارث, عن بكير بن الأشج, عن نافع: أن عبد الله كان إذا دخل بيتا ليس فيه أحد, قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

19907- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, قال: حدثنا منصور, عن إبراهيم: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ قال: إذا دخلت بيتا فيه يهود فقل: السلام عليكم وإن لم يكن فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه: فإذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين, فليسلم بعضهم على بعض.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن الله جل ثناؤه قال: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا وَلَمْ يَخْصُصْ مِنْ ذَلِكَ بَيْتًا دُونَ بَيْتٍ, وقال: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ يعني:

بعضكم على بعض. فكان معلوما إذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض, أنه معني به جميعها, مساجدها وغير مساجدها. ومعنى قوله: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ نظير قوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ. وقوله: تَحِيَّةً مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ وَنُصِبَ تَحِيَّةٌ، بِمَعْنَى: تُحَيُّونَ أَنْفُسَكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ السَّلَامَ تَحِيَّةً، فَكَانَهُ قَالَ: فَلِيَحْيِي بَعْضَكُمْ بَعْضًا تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: إِنَّمَا نُصِبَتْ بِمَعْنَى: أَمَرَكَم بِهَا تَفْعَلُونَهَا تَحِيَّةً مِنْهُ، وَوَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَذِهِ التَّحِيَّةَ الْمُبَارَكَةَ الطَّيِّبَةَ لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ وَالثَّوَابِ الْعَظِيمِ.

وقوله: كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: هَكَذَا يَفْصِلُ اللَّهُ لَكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ فَيُبَيِّنُهَا لَكُمْ، كَمَا فَصَلَ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا أَحَلَّ لَكُمْ فِيهَا، وَعَرَّفَكُمْ سَبِيلَ الدَّخُولِ عَلَى مَنْ تَدْخُلُونَ عَلَيْهِ. لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ يَقُولُ: لَكِي تَفْقَهُوا عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَأَدَبَهُ.

## الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ قَاذَنَ لَمَنْ سَأَلْتَهُ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ}

يقول تعالى ذكره: ما المؤمنون حق الإيمان، إلا الذين صدقوا الله ورسوله. وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ يَقُولُ: وَإِذَا كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ يَقُولُ: عَلَى أَمْرٍ يَجْمَعُ جَمِيعَهُمْ مِنْ حَرْبٍ حَضَرَتْ، أَوْ صَلَاةٍ اجْتَمَعَ لَهَا، أَوْ تَشَاوُرٍ فِي أَمْرٍ نَزَلَ لَمْ يَذْهَبُوا يَقُولُ: لَمْ يَنْصَرَفُوا عَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ مِنَ الْأَمْرِ، حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

19908- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ} يقول: إِذَا كَانَ أَمْرٌ طَاعَةَ لِلَّهِ.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: قال ابن عباس، قوله: {وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ} قال: أَمْرٌ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَامًّا.

19909- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن بكر، قال: أخبرنا ابن جُرَيْجٍ، قال: سَأَلَ مَكْحُولًا الشَّامِيَّ إِنْسَانًا وَأَنَا أَسْمَعُ، وَمَكْحُولٌ جَالِسٌ مَعَ عَطَاءٍ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ} فَقَالَ مَكْحُولٌ: فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَفِي زَحْفٍ، وَفِي كُلِّ أَمْرٍ جَامِعٍ، قَدْ أَمَرَ أَنْ لَا يَذْهَبَ أَحَدٌ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى يَسْتَأْذِنَ الْإِمَامَ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ جَامِعٍ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ: {وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ}.

19910- حدثني يعقوب، قال: ثني ابن عُليَّة، قال: أخبرنا هشام بن حسان، عن الحسن، قال: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، قَامَ فَامْسَكَ بِأَنْفِهِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ أَنْ يَخْرُجَ. قَالَ: فَكَانَ رَجُلٌ قَدْ أَرَادَ الرَّجُوعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَامَ إِلَى هَرَمِ بْنِ جِيَانَ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَأَخَذَ بِأَنْفِهِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ هَرَمٌ أَنْ يَذْهَبَ. فَخَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ فَأَقَامَ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدَّمَ قَالَ لَهُ هَرَمٌ: أَيْنَ كُنْتَ؟ قَالَ: فِي أَهْلِي؟ قَالَ: أَيْدُنَ ذَهَبَتْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَمْتُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَخْطُبُ، فَأَخَذَتْ بِأَنْفِي، فَأَشْرَتْ إِلَيَّ أَنْ أَدْهَبَ فَذَهَبْتُ. فَقَالَ: أَفَاتَّخَذْتَ هَذَا دَعْلًا؟ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَخْرِ رِجَالَ السُّوءِ إِلَى زَمَانِ السُّوءِ.



19911- حدثني الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهري, في قوله: وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ قَالَ: هو الجمعة إذا كانوا معه, لم يذهبوا حتى يستأذنوه.

19912- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ قَالَ: الأمر الجامع حين يكونون معه في جماعة الحرب أو جمعة. قال: والجمعة من الأمر الجامع, لا ينبغي لأحد أن يخرج إذا قعد الإمام على المنبر يوم الجمعة إلا بإذن سلطان إذا كان حيث يراه أو يقدر عليه, ولا يخرج إلا بإذن. وإذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه ولا يصل إليه, فالله أولى بالعدر.

وقوله: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يَقول تعالى ذكره: إن الذين لا ينصرفون يا محمد إذا كانوا معك في أمر جامع, عنك إلا بإذنك لهم, طاعة منهم لله ولك وتصديقا بما أتيتهم به من عندي أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقًا, لا من خالف أمر الله وأمر رسوله فينصرف عنك بغير إذن منك له بعد تقدّمك إليه أن لا ينصرف عنك إلا بإذنك. وقوله: فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ قَاذَنٌ لِّمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ يَقول تعالى ذكره: فإذا استأذنتك يا محمد الذين لا يذهبون عنك إلا بإذنك في هذه المواطن لبعض شأنهم يعني لبعض حاجاتهم التي تعرض لهم فأذن لمن شئت منهم في الانصراف عنك لقضائها. وَاسْتَعْفِرْ لَهُمْ يَقول: وادع الله لهم بأن يتفضل عليهم بالعفو عن تبيعات ما بينه وبينهم. إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ لِّذُنُوبِ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ, رَجِيمٌ بِهِمْ أَنْ يَعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.)

### الآية: 63

القول في تأويل قوله تعالى: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لِيُؤَاذِنُوا الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تجعلوا أيها المؤمنون دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضهم بعضًا.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: تهى الله بهذه الآية المؤمنين أن يتعرضوا لدعاء الرسول عليهم, وقال لهم: اتقوا دعاءه عليكم, بأن تفعلوا ما يسخطه فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا, فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس, فإن دعاءه موجبة. ذكر من قال ذلك:

19913- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا دَعْوَةَ الرَّسُولِ عَلَيْكُمْ مَوْجِبَةً, فاحذروها.

وقال آخرون: بل ذلك نهى من الله أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء, وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع. ذكر من قال ذلك:

19914- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي جريح, عن مجاهد: كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَالَ: أمرهم أن يدعوا يا رسول الله, في لين وتواضع, ولا يقولوا يا محمد, في تجهم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قال: أمرهم أن يدعوه: يا رسول الله, في لين وتواضع.

19915- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قال: أمرهم أن يفخموه وبشرفوه.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي التأويل الذي قاله ابن عباس, وذلك أن الذي قبل قوله: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا نهى من الله المؤمنين أن يأتوا من الانصراف عنه في الأمر الذي يجمع جميعهم ما يكرهه, والذي بعده وعيد للمُنصرفين بغير إذنه عنه, فالذي بينهما بأن يكون تحذيرا لهم سُخْطَةً أن يضطره إلى الدعاء عليهم أشبه من أن يكون أمرا لهم بما لم يجر له ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء.

وقوله: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه, تسترا وخفية منه, وإن خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإن الله يعلم ذلك ولا يخفي عليه, فليتق من يفعل ذلك منكم الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإذنه, أن تصيبهم فتنة من الله أو يصيبهم عذاب أليم, فيطبع على قلوبهم, فيكفروا بالله.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19916- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمرو بن قيس, عن جوبير, عن الضحاك, في قول الله: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا قال: كانوا يستتر بعضهم ببعض, فيقومون, فقال: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة, قال: يطبع على قلبه, فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عُقْبَهُ.

19917- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا قال:

خلافًا. 19918- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا قال: هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: اللواذ: يلوذ عنه ويروغ ويذهب بغير إذن النبي صلى الله عليه وسلم.

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذَا, أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. الفتنة ها هنا. الكفر, واللواذ: مصدر لاوذت بفلان مُلاوذة ولواذا, ولذلك ظهرت الواو, ولو كان مصدرا للذت لقيلا: ليأذا, كما يقال: قُمت قياما, وإذا قيل: قاومتك, قيل: قواما طويلا. واللواذ: هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض, يستتر هذا بهذا وهذا, كما قال الضحاك. وقوله: أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع, على صنيعهم ذلك وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ وَأَدْخِلْتَ «عَنْ» لَأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: فليحذر الذين يلوذون عن أمره ويُديرُونَ عنه معرضين.)

## الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُزْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره: ألا إن لله ملك جميع السموات والأرض يقول: فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكة فيعصيه، فيستوجب بذلك عقوبته. يقول: فكذلك أنتم أيها الناس، لا يصلح لكم خلاف ربكم الذي هو مالكم، فأطيعوه وأطيعوا لأمره ولا تنصرفوا عن رسوله إذا كنتم معه على أمر جامع إلا بإذنه.

وقوله: قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك، كما:

19919- حدثني أيضا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ صنيعكم هذا أيضا. وَيَوْمَ يُزْجَعُونَ إِلَيْهِ يقول: ويوم يرجع إلى الله الذين يخالفون عن أمره. فَيُنَبِّئُهُمْ يقول: فيخبرهم حينئذ، بما عملوا في الدنيا، ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها، من خلافهم على ربهم. وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يقول: والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وهم وغيركم وغيرك ذلك من الأمور، لا يخفي عليه شيء، بل هو محيط بذلك كله، وهو مؤف كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه.

## سورة الفرقان

سورة الفرقان مكية

وآياتها سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

## الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}.

قال أبو جعفر: تبارك: تفاعل من البركة، كما:

19920- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمار، قال: حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس، قال: تبارك: تفاعل من البركة.

وهو كقول القائل: تقدس ربنا، فقوله: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ يقول: تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل، فصلاً بعد فصل وسورة بعد سورة، على عبده محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون محمد لجميع الجن والإنس الذين بعثه الله إليهم داعياً إليه، نذيراً: يعني منذراً يُنذِرهم عقابه ويخوفهم عذابه، إن لم يوحدوه ولم يخلصوا له العبادة ويخلصوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19921- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا قال:

النبيّ النذير. وقرأ: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ وقرأ: وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ قال: رسل. قال: المندرون: الرسل. قال: وكان نذيراً واحداً بلغ ما بين المشرق والمغرب، ذو القرنين، ثم بلغ السدّين، وكان نذيراً، ولم أسمع أحداً يُحَقِّقُ أنه كان نبياً. وأوجي إليّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ قال: من بلغه القرآن من الخلق، فرسول الله نذيره. وقرأ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً وقال: لم يرسل الله رسولاً إلى الناس عامة إلا نوحاً، بدأ به الخلق، فكان رسول أهل الأرض كلهم، ومحمد صلى الله عليه وسلم ختم به.

## الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا } .  
يقول تعالى ذكره: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ... الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ف «الذي» من نعت «الذي» الأولى، وهما جميعاً في موضع رفع، الأولى بقوله «تبارك»، والثانية نعت لها. ويعني بقوله: الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الذي له سلطان السموات والأرض يُنْفِذُ فِي جَمِيعِهَا أمره وقضاءه، وَيُمْضِي فِي كِلَيْهَا أَحْكَامَهُ. يقول: فحقّ على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته وَمَنْ فِي سُلْطَانِهِ وَلَا يَعْصُوهُ، يقول: فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس، واتبعوه، واعملوا بما جاءكم به من الحق. وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا يقول تكديماً لمن أضاف إليه الولد وقال الملائكة بنات الله: ما اتخذ الذي نزل الفرقان على عبده ولداً. فمن أضاف إليه ولداً فقد كذب وافترى على ربه. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ يقول تكديماً لمن كان يضيف الألوهة إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب ويقول في تليته «لَيْتِكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلِكٌ»: كذب قائلوا هذا القول، ما كان لله شريك في ملكه وسلطانه فيصلح أن يُعْبَدَ من دونه يقول تعالى ذكره: فَأفردوا أيها الناس لربكم الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه صلى الله عليه وسلم الألوهة، وأخلصوا له العبادة، دون كل ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجن والإنس، فإن كل ذلك خلقه وفي ملكه، فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جمعي ذلك. وقوله: وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ يقول تعالى ذكره: وخلق الذي نزل على محمد الفرقان كل شيء، فالأشياء كلها خلقه وملكه، وعلى المماليك طاعة مالِكهم وخدمة سيدهم دون غيره. يقول: وأنا خالقكم ومالككم، فأخلصوا لي العبادة دون غيري. وقوله: فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا يقول: فسوّى كل ما خلق وهياه لما يصلح له، فلا حَلَّ فيه ولا تفاوت.

## الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا } .

يقول تعالى ذكره: مُقَرَّرًا مشركي العرب بعبادتهما ما دونه من الآلهة، ومعجباً أولي التّهي منهم، ومُتَّبِعُهُمْ على موضع خطأ فعلهم وذهابهم عن منهج الحق وركوبهم من سبُل الضلالة ما لا يركبه إلا كل مدخول الرأي مسلوب العقل: واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذي له مُلْكُ السموات والأرض وحده، من غير شريك، الذي خلق كل شيء فقدره، آلهة

يعني أصناما بأيديهم يعبدونها، لا تخلق شيئاً وهي تُخلق، ولا تملك لأنفسها نفعا تجرّه إليها ولا ضرراً تدفعه عنها ممن أرادها بضرٍ، ولا تملك إمامة حيٍّ ولا إحياء ميت ولا نشره من بعد مماته، وتركوا عبادة خالق كل شيء وخالق ألهتهم ومالك الضر والنفع والذي بيده الموت والحياة والنشور. والنشور: مصدر نُشِرَ الميت نشوراً، وهو أن يُبعث ويحيا بعد الموت.

#### الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَاتَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا } .  
يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بالله الذين اتخذوا من دونه آلهة: ما هذا القرآن الذي جاءنا به محمد إلا إفكٌ يعني: إلا كذبٌ وبُهتانٌ، افترأه اختلقه وتخرّصه بقوله، وأعاته عليه قَوْمٌ آخَرُونَ ذكر أنهم كانوا يقولون: إنما يُعلم محمدًا هذا الذي يجئنا به اليهود، فذلك قوله: وأعاته عليه قَوْمٌ آخَرُونَ يقول: وأعان محمدًا على هذا الإفك الذي افتراه يهود. ذكر من قال ذلك:

19922- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: وأعاته عليه قَوْمٌ آخَرُونَ قال: يهود.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقوله: فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا يقول تعالى ذكره: فقد أتى قائلو هذه المقالة، يعني الذين قالوا: إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَاتَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ظلماً، يعني بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله إلى أنه إفكٌ افتراه محمد صلى الله عليه وسلم. وقد بيّنا فيما مضى أن معنى الظلم: وضع الشيء في غير موضعه فكان ظلم قائلِي هذه المقالة القرآن بقتلهم هذا وصفهم إياه بغير صفته. والزور: أصله تحسِين الباطل. فتأويل الكلام: فقد أتى هؤلاء القوم في قتلهم إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَاتَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ كذباً مَحْضاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19923- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وحدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا قال: كذباً.

#### الآية : 5 - 6

القول في تأويل قوله تعالى: { وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا رَحِيمًا } .

ذكر أن هذه الآية نزلت في النَّصْر بن الحارث، وأنه المعنيُّ بقوله: وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. ذكر من قال ذلك:

19924\_ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, قال: حدثنا شيخ من أهل مصر, قدم منذ بضع وأربعين سنة, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: كان النَّصْرُ بن الحارث بن كَلْدَةَ بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ من شياطين قريش, وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة, وكان قد قَدِمَ الحِيرة, تعلم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رُسْتَمٍ وأسفنديار, فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلساً فذكر بالله وحدث قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله, خلفه في مجلسه إذا قام, ثم يقول: أنا والله يا معشر قُريش أحسن حديثاً منه, فهلّموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورُسْتَمٍ وأسفنديار, ثم يقول: ما محمد أحسن حديثاً مني قال: فأنزل الله تبارك وتعالى في النصر ثمانِي آيات من القرآن, قوله: وَإِذَا بُدئَ عَليهِ آياتنا قالَ أساطيرُ الأولينَ وكلَّ ما ذُكِرَ فيه الأساطير في القرآن.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني محمد بن أبي محمد, عن سعيد أو عكرمة, عن ابن عباس نحوه, إلا أنه جعل قوله: «فأنزل الله في النصر ثمانِي آيات», عن ابن إسحاق, عن الكلبي, عن أبي صالح, عن ابن عباس.

19925\_ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج: أساطيرُ الأولينَ أشعارهم وكهانتهم وقالها النصر بن الحارث. فتأويل الكلام: وقال هؤلاء المشركون بالله الذين قالوا لهذا القرآن إن هذا إلا إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم: هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الأولين, يعنون أحاديثهم التي كانوا يُسْطَرُونها في كتبهم, اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود. فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ يعنون بقوله: فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ فهذه الأساطير تُقرأ عليه, من قولهم: أمليت عليك الكتاب وأملت. بُكْرَةً وَأَصِيلاً يقول: وتملى عليه عُدوة وعشياً. وقوله: قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذِّبين بآيات الله من مشركي قومك: ما الأمر كما تقولون من أن هذا القرآن أساطير الأولين وأن محمد صلى الله عليه وسلم افتراه وأعانه عليه قوم آخرون, بل هو الحق, أنزله الرب الذي يعلم سر من في السموات ومن في الأرض, ولا يخفى عليه شيء, ومُخْصِي ذلك على خلقه, ومُجَازِيهم بما عزمت عليه قلوبهم وأضمروه في نفوسهم. إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَجِيمًا يقول: إنه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم, فيتفضل عليهم بعفوه, يقول: فلأن ذلك من عادته في خلقه, يُمهلكم أيها القائلون ما قلتم من الإفك والفاعلون ما فعلتم من الكفر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19926\_ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج: قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قال: ما يسر أهل الأرض وأهل المساء.

## الآية : 7 - 8

القول في تأويل قوله تعالى: { وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا \* أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ



كَثْرٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَبِيعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا

ذُكِرَ أَنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ نَزَلتا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا كَانَ مُشْرِكُو قَوْمِهِ قَالُوا لَهُ لَيْلَةَ اجْتِمَاعِ أَشْرَافِهِمْ بِظَهْرِ الْكَعْبَةِ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَشْيَاءَ، وَيَسْأَلُوهُ الْآيَاتِ.

فَكَانَ فِيمَا كَلِمُوهُ بِهِ حِينئِذٍ، فِيمَا:

19927\_ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَوْ عَكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ قَالُوا لَهُ: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَنَا هَذَا يَعْنِي مَا سَأَلُوهُ مِنْ تَسْيِيرِ جِبَالِهِمْ عَنْهُمْ، وَإِحْيَاءِ آبَائِهِمْ، وَالْمَجِيءِ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً، وَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَخِذْ لِنَفْسِكَ، سَلْ رَبِّكَ يَبْعَثْ مَعَكَ مَلَكًا يَصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ وَيُرَاجِعُنَا عَنْكَ، وَسَلْهُ فَيَجْعَلْ لَكَ قِصُورًا وَجَنَانًا وَكُنُوزًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، تَغْنِيكَ عَمَّا نَرَاكَ تَتَّبِعِي، فَإِنَّكَ تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا نَلْتَمِسُهُ، حَتَّى نَعْلَمَ فَضْلَكَ وَمَنْزِلَتَكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ كُنْتَ رَسُولًا كَمَا تَزْعُمُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنَا بِفَاعِلٍ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي قَوْلِهِمْ: أَنْ خُذْ لِنَفْسِكَ مَا سَأَلُوهُ أَنْ يَأْخُذَ لَهَا: أَنْ يَجْعَلَ لَهُ جَنَانًا وَقِصُورًا وَكُنُوزًا، أَوْ يَبْعَثَ مَعَهُ مَلَكًا يَصَدِّقُهُ بِمَا يَقُولُ وَيُرَدِّدُ عَنْهُ مِنْ خَاصِمِهِ. وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ تَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَثْرٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَبِيعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا.

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَبْعَثُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَهُ إِلَيْنَا، يَأْكُلُ الطَّعَامَ كَمَا نَأْكُلُ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ كَمَا نَمْشِي. لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ يَقُولُ: هَلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ إِنْ كَانَ صَادِقًا مِنَ السَّمَاءِ، فَيَكُونُ مَعَهُ مَنذِرًا لِلنَّاسِ، مُصَدِّقًا لَهُ عَلَى مَا يَقُولُ، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ فَلَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَيَّ التَّصَرُّفَ فِي طَلْبِ الْمَعَاشِ، أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَقُولُ: أَوْ يَكُونُ لَهُ بَسْتَانٌ يَأْكُلُ مِنْهَا. وَاخْتَلَفَ الْقَوَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ: يَأْكُلُ بِالْيَاءِ، بِمَعْنَى: يَأْكُلُ مِنْهَا الرَّسُولُ. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ: «تَأْكُلُ مِنْهَا» بِالنُّونِ، بِمَعْنَى: نَأْكُلُ مِنَ الْجَنَّةِ.

وَأُولَى الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهُ بِالْيَاءِ وَذَلِكَ لِلْخَبَرِ الَّذِي ذَكَرْنَا قَبْلَ بَانَ مَسْأَلَةَ مَنْ سَأَلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ هَذِهِ الْخَلَالَ لِنَفْسِهِ لَا لَهُمْ فَإِذْ كَانَتْ مَسْأَلَتُهُمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولُوا لَهُ: سَلْ لِنَفْسِكَ ذَلِكَ لِنَأْكُلَ نَحْنُ.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ: تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ سَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، دَلِيلًا بَيْنًا عَلَى أَنَّهُمْ إِنَّمَا قَالُوا لَهُ: اطْلُبْ ذَلِكَ لِنَفْسِكَ، لِتَأْكُلَ أَنْتَ مِنْهُ، لَا نَحْنُ.

وَقَوْلُهُ: وَقَالَ الظَّالِمُونَ يَقُولُ: وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ: إِنْ تَبِيعُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ، بِاتِّبَاعِكُمْ مُحَمَّدًا إِلَّا رَجُلًا بِهِ سِحْرٌ.

**الآية : 9 - 10**

القول في تأويل قوله تعالى: { انظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَصَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا \* تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك: هو مسحور، فضلوا بذلك عن قصد السبيل وأخطئوا طريق الهدى والرشاد فلا يَسْتَطِيعُونَ يقول: فلا يجدون سبيلًا إلى الحق، إلا فيما بعثك به، ومن الوجه الذي ضلوا عنه.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19928- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس: انظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَصَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا أَي التمسوا الهدى في غير ما بعثك به إليهم فضلوا، فلن يستطيعوا أن يصيبوا الهدى في غيره. وقال آخرون في ذلك ما:

19929- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: فلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا قال: مخرجاً يخرجهم من الأمثال التي ضربوا لك.

وقوله: تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يقول تعالى ذكره: تقدس الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك. واختلف أهل التأويل في المعنى بـ«ذلك» التي في قوله: جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ فقال بعضهم: معنى ذلك: خيراً مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد، هلا أوتيته وأنت لله رسول ثم بين تعالى ذكره عن الذي لو شاء جعل له من خير مما قالوا، فقال: جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ. ذكر من قال ذلك:

19930- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ خيراً مما قالوا.

19931- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ قال: مما قالوا وتمنوا لك، فيجعل لك مكان ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار.

وقال آخرون: غني بذلك المشي في الأسواق والتماس المعاش. ذكر من قال ذلك:

19932- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، فيما يرى الطبري، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: ثم قال: تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ من أن تمشي في الأسواق وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس، جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا.

قال أبو جعفر: والقول الذي ذكرناه عن مجاهد في ذلك أشبه بتأويل الآية، لأن المشركين إنما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها وأن لا



يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ، وَاسْتَنْكِرُوا أَنْ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَهُوَ لِلَّهِ رَسُولٌ. فالذي هو أولى بوعد الله إياه أن يكون وعداً بما هو خير ما كان عند المشركين عظيماً، لا مما كان منكراً عندهم. وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ: جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ بِسَاتِينَ تَجْرِي فِي أَصُولِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارِ. كما:

19933- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قال: حوائط. وقوله: وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا يعني بالقصور: البيوت المبنية.

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19934- حدثني محمد بن عمرو، قال: قال: أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا قال: بيوتا مبنية مشيدة، كان ذلك في الدنيا. قال: كانت قريش ترى البيت من الحجارة قصراً كائناً ما كان.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا مشيدة في الدنيا، كل هذا قالته قريش. وكانت قريش ترى البيت من حجارة ما كان صغيراً قَصْرًا.

19935- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن حبيب قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن شئت أن نعطيك من خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم يُعْطَ نبي قبلك ولا يعطى من بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله تعالى؟ فقال: «اجْمَعُوهَا لِي فِي الْآخِرَةِ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا.

## الآية : 11 - 12

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا \* إِذَا رَأَوْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا }.

يقول تعالى ذكره: ما كَذَّبَ هؤلاء المشركون بالله وأنكروا ما جنتهم به يا محمد من الحق، من أجل أنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، ولكن من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد ولا يصدقون بالثواب والعقاب، تكذبا منهم بالقيامة وبعث الله الأموات أحياء لحشر القيامة. وَأَعْتَدْنَا يقول: وأعدنا لمن كَذَّبَ ببعث الله الأموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة، نارا تسعر عليهم وتتقد. إِذَا رَأَوْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ يقول: إذا رأت هذه النار التي أعتدناها لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان بعيد، تغيظت عليهم وذلك أن تغلى وتفور. يقال: فلان تغيظ على فلان، وذلك إذ غضب عليه فَعَلَى صدره من الغضب عليه وتبين في كلامه. وزفيراً، وهو صوتها.

فإن قال قائل: وكيف قيل: سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا والتغيظ: لا يسمع؟ قيل: معنى ذلك: سمعوا لها صوت التغيظ، من التلهب والتوقد.

19936- حدثني محمود بن خدّاش، قال: حدثنا محمد بن يزيد الواسطي، قال: حدثنا أصعب بن زيد الوراق، عن خالد بن كثير، عن قديك، عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَقُولُ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلَيْتَبَوَّأُ بَيْنَ عَيْنَيْ جَهَنَّمَ مَفْعَدًا» قالوا: يا رسول الله، وهل لها من عين؟ قال: «أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ اللَّهِ: إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ؟»... الآية.

19937- حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر في قوله: سَمِعُوا لَهَا تَعْيِظًا وَرَفِيرًا قال: أخبرني المنصور بن المعتمر، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير، قال: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبي إلا خِرَّ ترعد فرائصه حتى إن إبراهيم ليجثو على ركبتيه، فيقول: يا رَبِّ لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي.

19938- حدثنا أحمد بن إبراهيم الدُّورقي، قال: حدثنا عُبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُجَرَّ إِلَى النَّارِ، فَتَنْزَوِي وَيَنْقَبُضُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَيَقُولُ لَهَا الرَّحْمَنُ مَا لَكَ؟ فَتَقُولُ: إِنَّهُ لَيْسَتْ جِيرَ مَنِي فَيَقُولُ: أَرْسَلُوا عِبْدِي وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيُجَرَّ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا كَانَ هَذَا الظَّنُّ بِكَ فَيَقُولُ: فَمَا كَانَ ظَنُّكَ؟ فَيَقُولُ: أَنْ تَسْعَنِي رَحْمَتُكَ قَالَ: فَيَقُولُ أَرْسَلُوا عِبْدِي وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيُجَرَّ إِلَى النَّارِ فَتَشْهَقُ إِلَيْهِ النَّارُ سُهْوَقَ الْبَغْلَةِ إِلَى الشَّعِيرِ وَتَزْفِرُ زَفْرَةَ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا خَافَ».

### الآية : 13 - 14

القول في تأويل قوله تعالى: { وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا صَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا \* لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا } .  
يقول تعالى ذكره: وإذا ألقى هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكانا صيقا، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا. واختلف أهل التأويل في معنى الثبور، فقال بعضهم: هو الويل. ذكر من قال ذلك:

19939- حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا يَقُولُ: وَيَلًا.

19940- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا يَقُولُ: لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ وَيَلًا وَاحِدًا، وَادْعُوا وَيَلًا كَثِيرًا. وقال آخرون: الثبور الهلاك. ذكر من قال ذلك:

19941- حَدَّثَنَا عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ، فِي قَوْلِهِ: لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا الثُّبُورُ: الْهَلَاكُ.

قال أبو جعفر: والثبور في كلام العرب أصله انصراف الرجل عن الشيء، يقال منه: ما تَبَرَكَ عن هذا الأمر؟ أي ما صرفك عنه. وهو في هذا الموضوع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا والإيمان بما جاءهم به نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة منه، كما يقول القائل: واندامتاه، واحسرتاه علي ما فرطت في جنب الله. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول في قوله: دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا أَي هَلَكَةً، ويقول: هو مصدر من ثَبَرَ الرجل: أَي أَهْلَكَ، وَيَسْتَشْهَدُ لِقَبِيلِهِ فِي ذَلِكَ بَيْتِ ابْنِ الرَّبْعَرِيِّ:  
إِذْ أَجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْعَيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورٌ

وقوله: لا تَدْعُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ ندما واحدا: أي مَرَّةً واحدة، ولكن ادعوا ذلك كثيرا. وإنما قيل: لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا لِأَنَّ الثُّبُورَ مُصَدَّرٌ، وَالْمَصَادِرُ لَا تَجْمَعُ، وَإِنَّمَا تُوصَفُ بِإِمْتِدَادِ وَقْتِهَا وَكَثْرَتِهَا، كَمَا يُقَالُ: قَعِدَا طَوِيلًا، وَأَكَلَا أَكْلًا كَثِيرًا.

19942- حدثنا محمد بن مرزوق، قال: حدثنا حجاج، قال: حدثنا حماد، قال: حدثنا علي بن زيد، عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى حُلَّةً مِنَ النَّارِ إِبْلِيسُ، فَيَصْعُقُهَا عَلَى حَاجِبَيْهِ، وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ، وَدُرْبَتُهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ وَهُمْ يُنَادُونَ: يَا ثُبُورَهُمْ حَتَّى يَقِفُوا عَلَى النَّارِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ وَهُمْ يُنَادُونَ: يَا ثُبُورَهُمْ فَيُقَالُ: لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا.»

### الآية : 15 - 16

القول في تأويل قوله تعالى: { قُلْ أَدْرِكَ حَيْرٌ أَمْ جِنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَأَنَّ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا \* لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا }.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذِّبين بالساعة: أهذه النار التي وصف لكم ربكم صفتها وصفة أهلها خير، أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يبديد، الذي وعد من اتقاه في الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه؟ وقوله: كَأَنَّ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا يقول: كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله في الدنيا بطاعته وثواب تقواهم إياه ومصيرا لهم، يقول: ومصيرا للمتقين يصيرون إليها في الآخرة. وقوله: لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ يقول: لهؤلاء المتقين في جنة الخلد التي وعدهموها الله، ما يشاءون مما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين. خَالِدِينَ فِيهَا، يقول: لا تبثن فيها ما كثرين أبدا، لا يزولون عنها ولا يزول عنهم نعيمها. وقوله: كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا: إِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: كَانَ إِعْطَاءُ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي وَصَفَ صِفَتَهَا فِي الْآخِرَةِ، وَعْدًا وَعَدَّهُمُ اللَّهُ عَلَى طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا وَمَسْئَلَتِهِمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19943- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا قَالَ: فَسَأَلُوا الَّذِي وَعَدَّهُمْ وَتَنَجَزَوْهُ.

19944- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا قَالَ: سَأَلُوهُ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا، طَلَبُوا ذَلِكَ فَأَعْطَاهُمْ وَعَدَّهُمْ، إِذْ سَأَلُوهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ فَأَعْطَاهُمْ، فَكَانَ ذَلِكَ وَعْدًا مَسْئُولًا، كَمَا وَقَّتْ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ فَجَعَلَهَا أَقْوَاتًا لِلسَّائِلِينَ، وَقَّتْ ذَلِكَ عَلَى مَسْئَلَتِهِمْ. وَقَرَأَ: وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ.

وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله: وَعْدًا مَسْئُولًا إِلَى أَنَّهُ مَعْنَى بِهِ وَعْدًا وَاجِبًا، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَسْئُولَ وَاجِبٌ، وَإِنْ لَمْ يُسْأَلْ كَالدِّينِ، وَيَقُولُ: ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ الْعَرَبِ: لِأَعْطَيْتُكَ أَلْفًا وَعْدًا مَسْئُولًا، بِمَعْنَى وَاجِبٌ لَكَ فَتَسْأَلُهُ.

## الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قِيقُولُ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ }.

يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة العابدين الأوثان وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجن. كما: 19945\_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قِيقُولُ: أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ قَالَ: عيسى وعزير والملائكة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, نحوه.

واختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأه أبو جعفر القاريء وعبد الله بن كثير: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قِيقُولُ بالياء جميعا, بمعنى: ويوم يحشرهم ربك, ويحشر ما يعبدون من دون فيقول. وقرأته عامة قراء الكوفيين: «تَحْشُرُهُمْ» بالنون, «فنقول». وكذلك قرأه نافع. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القاريء فمصيب.

وقوله: قِيقُولُ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ يقول: فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله: أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ؟ يقول: أَنْتُمْ أَرَلْتُمُوهُمْ عن طريق الهدى ودعوتموهم إلى الغي والضلالة حتى تاهوا وهلكوا, أم هم ضلوا السبيل؟ يقول: أم عبادي هم الذين ضلوا سبيل الرشدهم والحق وسلوكوا العطب.

## الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا }.

يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى: تنزيها لك يا ربنا وتبرئه مما أضاف إليك هؤلاء المشركون, ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليتهم, أنت ولينا من دونهم, ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة حتى نسوا الذكر وكانوا قوما هلكي قد غلب عليهم الشقاء والخذلان. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19946\_ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا يقول: قوم قد ذهب أعمالهم وهم في الدنيا, ولم تكن لهم أعمال صالحة.

19947\_ حدثني علي, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا يقول: هلكي.

19948- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وكأثوا قوما بُورا يقول: هَلَكَى.  
 19949- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر عن الحسن: وكأثوا قوما بُورا قال: هم الذين لا خير فيهم.  
 19950- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وكأثوا قوما بُورا قال: يقول: ليس من الخير في شيء. البور: الذي ليس فيه من الخير شيء.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياءٍ فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار: تتخذ بفتح النون سوى الحسن ويزيد بن القعقاع, فإنهما قرآه: «أَنْ تُتَّخَذَ» بضم النون. فذهب الذين فتحوها إلى المعنى الذي بيّناه في تأويله, من أن الملائكة وعيسى ومن عبد من دون الله من المؤمنين هم الذين تبرّءوا أن يكون كان لهم ولي غير الله تعالى ذكره. وأما الذين قرءوا ذلك بضم النون, فإنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن المعبودين في الدنيا إنما تبرّءوا إلى الله أن يكون كان لهم أن يُعبدوا من دون الله جل ثناؤه, كما أخبر الله عن عيسى أنه قال إذا قيل أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بفتح النون, لعل ثلاث: إحداهن إجماع من القراء عليها. والثانية: أن الله جل ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سبأ, فقال: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ, فأخبر عن الملائكة أنهم إذا سُئِلُوا عن عبادة من عبدتهم تبرّءوا إلى الله من ولايتهم, فقالوا لربهم: أنت ولينا من دونهم, فذلك يوضح عن صحة قراءة من قرأ ذلك: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء بمعنى: ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء. والثالثة: أن العرب لا تدخل «من» هذه التي تدخل في الجحد إلا في الأسماء, ولا تدخلها في الأخبار, لا يقولون: ما رأيت أخاك من رجل, وإنما يقولون: ما رأيت من أحد, وما عندي من رجل وقد دخلت هاهنا في الأولياء وهي في موضع الخبر, ولو لم تكن فيها «من», كان وجهها حسنا. وأما البور: فمصدر واحد, وجمع للبائر, يقال: أصبحت منازلهم بُورا: أي خالية لا شيء فيها, ومنه قولهم: بارت السوق وبار الطعام: إذا خلا من الطلاب والمشتري فلم يكن له طالب, فصار كالشيء الهالك ومنه قول ابن الرِّبَعَرِي:

يا رَسُولَ الْمَلِيكَ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ

وقد قيل: إن بور: مصدر, كالعدل والزور والقطع, لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث. وإنما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة لأنها لم تكن لله, كما ذكرنا عن ابن عباس.

## الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: { فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا تَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبزي من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم: قد كذبوكم أيها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم ودعوكم إلى عبادتهم بما تقولون يعني بقولكم، يقول: كذبوكم بكذبكم.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19951- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعزيرا والملائكة، يكذبون المشركين.

19952- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ قال: عيسى وعزير والملائكة، يكذبون المشركين بقولهم.

وكان ابن زيد يقول في تأويل ذلك، ما:

19953- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا تَصْرًا قال: كذبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الأنبياء والمؤمنون آمنوا به وكذب هؤلاء.

فوجه ابن زيد تأويل قوله: فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ إِلَى: فقد كذبوكم أيها المؤمنون المكذبون بما جاءهم به محمد من عند الله بما تقولون من الحق، وهو أن يكون خيرا عن الذين كذبوا الكافرين في زعمهم أنهم دعواهم إلى الضلالة وأمروهم بها، على ما قاله مجاهد من القول الذي ذكرنا عنه، أشبهه وأولى لأنه في سياق الخبر عنهم. والقراءة في ذلك عندنا: فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ بِالتاء، على التأويل الذي ذكرناه، لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليه. وقد حكي عن بعضهم أنه قرأه: «فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا يَقُولُونَ» بالياء، بمعنى: فقد كذبوكم بقولهم.

وقوله جل ثناؤه: فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا تَصْرًا يقول: فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم، ولا تَصْرَهَا من الله حين عذبها وعاقبها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19954- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا تَصْرًا قال: المشركون لا يستطيعونه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا تَصْرًا قال: المشركون.

قال ابن جريج: لا يستطيعون صرف العذاب عنهم، ولا نصر أنفسهم.

19955- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا تَصْرًا قال: لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كذبوا، ولا أن ينتصروا. قال: وينادي مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق: ما لكم لا تنصرون؟ قال: من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده، وقال العابدون من دون الله لا ينصره اليوم



إلهه الذي يعبد من دون الله، فقال الله تبارك وتعالى: بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ. وقرأ قول الله جل ثناؤه: فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا.  
وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي ذَلِكَ مَا:

19956- حدثنا به أحمد بن يونس، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج، عن هارون، قال: هي في حرف عبد الله بن مسعود: «فَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَكَ صَرَفًا».

فإن تكن هذه الرواية عنه صحيحة، صحَّ التأويل الذي تأوله ابن زيد في قوله: فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ، وبصير قوله: فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ خبرا عن المشركين أنهم كذبوا المؤمنين، ويكون تأويل قوله حينئذٍ: فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرَفًا وَلَا تَصْرًا فما يستطيع يا محمد هؤلاء الكفار لك صرفا عن الحق الذي هداك الله له، ولا نصر أنفسهم، مما بهم من البلاء الذي هم فيه، بتكذيبهم إياك.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ يَعْنِي بِقَوْلِهِ: وَمَنْ يَظْلِمْ وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَيَظْلِمُ نَفْسَهُ فَذَلِكَ نَذَقَهُ عَذَابًا كَبِيرًا، كالذي ذكرنا أن نذيقه الذين كذبوا بالساعة.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19957- حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، في قوله: وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمُ قَالَ: يُشْرِكُ نَفْسَهُ عَذَابًا كَبِيرًا.  
19958- حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله: وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمُ قَالَ: هو الشرك.

## الآية : 20

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا }.

وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وجواب لهم عنه، يقول لهم جل ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، من أكلك الطعام ومشيك في الأسواق، وأنت لله رسول فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق كالذي تأكل أنت وتمشي، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة.

فإن قال قائل: فإن «مَنْ» ليست في التلاوة، فكيف قلت معنى الكلام: إِلَّا مَنْ إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ؟ قيل: قلنا في ذلك معناه: أن الهاء والميم في قوله: «إنهم»، كناية أسماء لم تُذكر، ولا بد لها من أن تعود على من كني عنه بها، وإنما ترك ذكر «مَنْ» وإظهاره في الكلام اكتفاء بدلالة قوله: مِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ، كما اكتفي في قوله: وَمَا مِثًّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ مِنْ إِظْهَارِ «مَنْ»، ولا شك أن معنى ذلك: وما منا إلا من له مقام معلوم، كما قيل: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا وَمَعْنَاهُ: وإن منكم إلا من هو واردها فقوله: إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ صَلَةٌ ل «مَنْ» المتروك، كما يقال في الكلام: ما أرسلت إليك من الناس إلا مَنْ إنه ليبلغك الرسالة، فإنه «ليبلغك الرسالة» صلة ل «مَنْ».

وقوله: وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: وامتحاننا أيها الناس بعضكم ببعض، جعلنا هذا نبياً وخصصناه بالرسالة، وهذا ملكاً وخصصناه بالدنيا، وهذا فقيراً وحرمانه الدنيا، لنختبر الفقير بصره على ما حُرِمَ مما أعطيه الغني، والملك بصره على ما أعطيه الرسول من الكرامة، وكيف رضي كل إنسان منهم بما أعطى وقُسم له، وطاعته ربه مع ما حُرِمَ مما أعطى غيره. يقول: فمن أجل ذلك لم أعط محمداً الدنيا، وجعلته يطلب المعاش في الأسواق، ولأبتليكم أيها الناس، وأختبر طاعتكم بكم وإجاباتكم رسوله إلى ما دعاكم إليه، بغير عَرَضٍ من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم إياه لأنني لو أعطيته الدنيا، لسارع كثير منكم إلى اتباعه طمعا في دنياه أن ينال منها.

وينحو الذي قلنا تأويل في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:  
19959- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه عن أبي رجا، قال: ثنا عبد القدوس، عن الحسن، في قوله: وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً... الآية، يقول هذا الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيراً مثل فلان، ويقول هذا الفقير: لو شاء الله لجعلني غنياً مثل فلان، ويقول هذا السقيم: لو شاء الله لجعلني صحيحاً مثل فلان.

19960- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، في قوله: وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ قال: يُمَسِّكُ عَنْ هَذَا وَيُوسِّعُ عَلَى هَذَا، فيقول: لم يعطني مثل ما أعطى فلاناً، وَيُبَيِّنُكَ بِالْوَجْعِ كَذَلِكَ، فيقول: لم يجعلني ربي صحيحاً مثل فلان في أشباه ذلك من البلاء، ليعلم من يصبر ممن يجزع.

19961- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: ثنا محمد بن أبي محمد، فيما يروي الطبري، عن عكرمة، أو عن سعيد، عن ابن عباس، قال: وأنزل عليه في ذلك من قولهم: مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ... الآية: وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ أي جعلت بعضكم لبعض بلاء، لتصبروا على ما تسمعون منهم، وترون من خلافهم، وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيتهم عليه الدنيا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت، ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بكم وأبتليكم بهم.

وقوله: وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا يقول: وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتحن به من المحن. كما:

19962- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج: وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا إِنْ رَبُّكَ لَبصير بمن يجزع ومن يصبر.